حروف على سور العقيدة والوطن

كتبه

أ. د / أحمد بن جزاع بن محمد الرضيمان

أستاذ العقيدة في جامعة حائل

تقديم

سماحة الشيخ العلامة د. صالح بن فوزان الفوزان

والأديب الدكتـــور / حسن بن فهد الهويمل

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرضيمان، أحمد جزاع بن محمد
حروف على سور العقيدة والوطن؛ أحمد بن جزاع بن محمد الرضيمان، الرياض، ١٤٣٩هـ
ص ٢٩٦ ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٩ - ٢٠٨٢ - ٠٢ - ٦٠٣-٩٧٨
١- المقالات العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٠٨١،٩٥٣١ ١٤٣٩/٢٩١٣

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٩١٣
ردمك: ٩-٦٠٨٢-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة سماحة الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارات البحوث العلمية والإفتاء
هيئة كبار العلماء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

الحمد لله، وبعد فقد اطلعت على كتاب بعنوان:
(مقالات تحمي سور العقيدة) للشيخ: أحمد الرضيان
فوجدته كتاباً مفيداً في موضوعه. جيداً في أسلوبه
فجزاه الله خيراً ونفع بعلمه وبما كتب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
في ٢/٦/١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

إفادة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:
فإن الشيخ الدكتور: أحمد بن جزاع بن محمد الرضيمان معروف لدي معرفة تامة حيث إنني أشرفت عليه في إعداد رسالة الدكتوراه فكان خير باحث وعرفته في أعماله الوظيفية أستاذاً في العقيدة بجامعة حائل وعضواً في لجنة المناصحة في وزارة الداخلية فكان جاداً في عمله إضافة إلى قيامه في الدعوة إلى الله ونشر العقيدة الصحيحة وحب الخير للمسلمين. وفقه الله وزاده علماً وعملاً. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٢٦/٤/٩هـ

تقديم الدكتور/ حسن الهويمل

حَبَّبَ إلي الأستاذ الدكتور/ أحمد الرضيمان التشرف بتقديمه إلى قرائه، وذلك فضل يسديه إلي، وثقة يمنحني إياها؛ وكتابه الذي يدفع به إلى قرائه، مجموعة مقالات نشرها في جريدة (الوطن) وأراد أن يجمعها بعد تفرق، ويلمها بعد شتات، لأنها لم تكن وقتية، تنتهي قيمتها، وإنما هي رؤية في (الدين والحياة) دفعه إلى تحبيرها ما يساوره من هموم: (دينية) و(وطنية).

وقيمتها تتمثل في حفظ التوازن، وسلامة المقاصد، وغزارة المعارف، والمعايشة الواعية - أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدا -

وجمع المقالات سنة حسنة عمد إليها كبار الكتاب، والمفكرين، كـ (العقاد) و(أحمد أمين) و(الرافعي) و(الزيات) لقد حفظت لنا ثروة فكرية، وأدبية لو لا جمعها لضاعت في أنهر الصحف، وظاهرة (المقال) واكبت ظهور الصحافة.

وفِي الإرث العربي إرهاصات تتمثل:-ب(الرسائل) والخواطر. ك (صيد الخاطر).

مقالات الدكتور/ أحمد الرضيمان ينظمها خيط رفيع يتمثل ب (العقيدة) و (الوطن) وكثيرون من يحملون هذا الهم، ولكن القلة من يصيبون المحز، ويجمجمون عما في النفوس. أحسب أن أخي أحمد ممن يصيبون، ويجمجمون.

عواطف الكاتب تتفاوت حدة؛ وهدوءا؛ وحدية؛ ولكنه في كل الأحوال رابط الجأش، لا يفرط علينا، ولا على نفسه.

المقالات الصحفية تغلب عليها الإنشائية، ومقالات صاحبنا تميل إلى

العلميـة، ولهذا تظل تحتفـظ بقيمتها، فالمقالات زاخرة بالشـواهد حتى لكأنك أمام بحث علمي.

أختلـف مـع صاحبـي ؛ وأتفـق، ولكنني أظـل أحترمه، وأطلـب المزيد من القول، وتلك سـنة الحياة(ولا يزالون مختلفين) واختلافي معه اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد؛ المهم أن نحسـن إدارة الاختلاف، وألا يفسـد الاختلاف ما بيننا من الود.

مشـهد أمتنا كـ (مَلاعب جِنَّة) وهـو أحوج إلى المعرفة، والتجربة، وحسـن الأداء، وما قرأته من مقالات يوفر الحاجة، ويسد الخلة ٠ فمزيدا من الإسهامات الكافية الشافية.

والله الهادي إلى سواء السبيل

د / حسن بن فهد الهويمل

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد فتح لي الأخ الفاضل الدكتور/ عثمان الصيني رئيس صحيفة الوطن السعودية وفقه الله، نافذةً أُطل من خلالها على القُراءَ في داخل البلاد وخارجها بمقالات أكتبها في صحيفة الوطن، فاستعنتُ بالله على ذلك، وكتبت ولاأزال أكتب في موضوعات شتى، ولكن عمود فقارها موضوعان رئيسان هما: العقيدة والوطن، لاسيما وأنا أرى استهدافا ظالمـًا من أعداء الاسلام وأدواتهم لهذا الوطن المملكة العربية السعودية، فكان من من الواجب الشرعي رد الصائل الذي ساءه ما تتميز به المملكة العربية السعودية من خصائص لا توجد في أي بلد في العالَم، نعم لبلادنا خصائص، وإن أنكرها المنبهرون بالغرب، أليست هي وحدها مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، ومأرز الإيمان، وفيها الحرمان الشريفان، ويطبع فيها كلام الرحمن، وتُتَرجم معانيه لجميع لغات بني الإنسان، وتوزع عليهم بالمجان، ونظام دستور هذا الوطن ينص على أن الحاكم على جميع أنظمة الدولة هو السنة والقرآن، وقادتها هم أنصار التوحيد بالحجة والبرهان، فهل يوجد لهذه البلاد نظير في أي دولة في هذا الزمان ؟!

هل توجد هذه الخصائص في غير بلادنا المملكة العربية السعودية؟

تأملوا ذلك، وسترون صدق ما قاله شيخنا ابن عثيمين رحمه الله:(أشهد الله تعالى على ما أقول، وأُشهدكم أيضًا، أَنني لا أَعلم أَن في الأرض اليومَ من يطبق شريعة الله ما يطبقه هذا الوطن، أعني: المملكة العربية السعودية)

وهذه الميزات والخصائص هي سبب استهداف هذه البلاد السعودية، يدل عليه قول ورقة بن نوفل للنبي عليه الصلاة والسلام - كما في صحيح البخاري -:(ما جاء أحدٌ بمثل ما جئت به إلا عُودي وأُوذي)[1]، ولكن العاقبة للمتقين، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، وكل مؤمن محب للتوحيد فإنه يتقرب إلى الله بمحبة هذا البلاد السعودية وولاتها، ومن كان عدوا للتوحيد، فإنه لايستغرب منه العداء لهذه الدولة السعودية، وفي هذا يقول ابن باز رحمه الله:(العداء لهذه الدولة السعودية عداءٌ للتوحيد)

وقد أشار علي بعض الفضلاء أن أجمع هذه المقالات التي كتبتها و تم نشرها في صحيفة الوطن في كتاب، رجاء أن ينفع الله بها من يطلع عليها، فاستحسنت ذلك، وجمعتها في هذا الكتاب، وأسميته «حروف على سور العقيدة والوطن»، ولا أملك - أيها القاريء الكريم - إلا أن أقول كما قال ابن القيم رحمه الله: هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك، وهذا فهمه وعقله معروض عليك، لك غنمه وعلى كاتبه غرمه، ولك ثمرته، وعليه عائدته، فإن عدم منك حمداً وشكراً، فلا يعدم منك مغفرة وعذراً، وإن أبيت إلا الملام فبابه مفتوح، وقد:

---

(١) صحيح البخاري، ١/ ٧، حديث رقم ٣.

استأثر الله بالثناء وبالحمد.... وولى الملامة الرجلا

والله المسئول أن يجعله لوجهه خالصًا، وينفع به كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة، إنه سميع الدعاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أ.د / أحمد الرضيمان

أستاذ العقيدة في جامعة حائل

جوال/ ٠٥٣٩٣٥٣٥٠٥

لسراة الليل هتف الصباح

هذا عنوان لكتاب الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، رحمه الله، قرأته عـدة مرات، وهو كتاب عظيم، يتضمن وثائق لأحـداث وتضحيات قام بها الملك عبدالعزيز رحمـه الله، صنعت التاريخ، ووحدت الكيـان، ونشرت الأمن والعلم، بعد الخوف والجهل، وقد صوَّر الشـاعر العابـد الزاهد محمد بن عبدالله بن عثيمين رحمه الله، واقع الحال آنذاك في أبيات منها:

لقد كـان في نـجدٍ قُبيل ظهوره ... من الهرج ما يُبكي العيون تفاصله

تهـارش هـذا النـاس في كـل بلدةٍ ... ومـن يتعد السـور فالذئب آكله

فـما بـين مسلوبٍ ومـا بـين سالب ... وآخــر مـقـتـول وهـــذاك قـاتـلـه

إليكم بني الإسـلام شرقا ومغربا ... نصيحة من تهُدى إليكم رسائله

هلموا إلى داعـي الهـدى وتعاونوا ... عـلى الـبر والـتـقـوى فأنتم أماثله

وقـومـوا فـرادى ثم مثنى وفكروا ... تروا أن نصحي لا اغتشاش يُدَاخله

بـأن إمـام المسلمين ابـن فيصل ... هـو القائم الهـادي بـما هـو فاصله

فـأبـدلـكـم ربي مـن الـفـقـر دولـة ... وبـالـذل عـزا بـزَّ خصما يُناضلُه

بـيُـمـنِ إمـــامٍ أنـتـم في ظـلالـه ... يُـدافـع عـنـكـم رأيـــه وذوابـلُــه

بــه الله أعـطـانـا حـيـاة جـديـدة ... رَفَهنا بها من ضنك بؤس نطاوله

هكذا يصف الشـاعر الواقع قبـل توحيد الملك عبدالعزيـز، رحمه الله، لبلادنا السـعودية، وهو ما تحكيـه الوثائق التي جمعها الشـيخ التويجري، جـزاه الله خيرا، وغفـر لـه، كل وثيقـة تحكـي حيـاة في الإدارة والإرادة، والكتـاب يتضمن أيضا تعليقات نفيسة وعميقة وصادقة للشيخ عبدالعزيز التويجري، تدل على عمق علمه وثقافتـه، مـع أن قارئ تعليقـات التويجري سـيلحظ تواضع الكبـار في كل تعليقٍ

يكتبه، يقول التويجري عن هذا الكتاب: «إنه ليس كتابي، ولكنه بريد حملته لشاب اليوم وشابته، من الشاب عبدالعزيز ثم الملك، وهو بريد ما أكثر ما كان ضائعا عن أهله في شعاب الجبال والأودية والصحاري وخداع السراب وغموضه، وكثيرا ما ضلَّل العِطاش عن مياه السحب»، ومع نفاسة هذا الكتاب ووثائقه التي تحكي واقع الكفاح والتعب والنصح الذي بذله الملك عبدالعزيز، فقد وردت تساؤلات للشيخ عبدالعزيز التويجري، رحمه الله، تقول: قرأنا الجانب الإيجابي فأين السلبي؟

يقول الشيخ التويجري: «أصغيت إلى هذه التساؤلات، ورحت أراجعها، فإذا دولة الملك عبدالعزيز ومملكته الواسعة ذات الأبعاد التاريخية في تراث العرب والمسلمين تقول لي: أَبَعْدَ ما أنتم عليه اليوم، يأتي من يتساءل عن سلبيات الملك عبدالعزيز؟ أية سلبيات مع هذه النتيجة العظيمة، المملكة العربية السعودية.

فالملك عبدالعزيز غفر الله له لا يمكن لنا نحن أبناء شعبه، أن نقول: إنه لنا وحدنا، لا شركاء لنا فيه، لو قلنا ذلك لهزلنا بوعينا الخلقي والسياسي والتاريخي، ولهزلت معنا مفاهيمنا لمقادير الرجال.. الحقائق لا تُغَالَط، وها هي الحقيقة ماثلة في دولة حديثة، أقامتها الإيجابيات، فالسلبيات لا تُقيم دولة، ولا تُحقق قيما كبرى، ولمن يتساءل عن السلبيات أقول له: سأواصل السير وإياك مع الإيجابيات، لعلك ترى أن الملك عبدالعزيز لم يكن عنده مكان يستريح فيه جسده وفكره وروحه لتعيش معه السلبيات، فحياته منذ كان شابا إلى أن توفَّاه الله، كلها للناس، قضاها في بناء هذه الوحدة، وتأمينها.. سآخذك إلى شعب الملك عبدالعزيز لتسائله عن أيامه قبل أن يأتي إليه.. ستقول لك كل أسرة كريمة، أو قبيلة دخلت الصراع مع الملك عبدالعزيز: إن ما أنا عليه اليوم، وأعيشه رخاء وأمنا واستقرارا ومدرسة

وجامعـة وشريعة وآمـالا كبارا، ما وصـل إليَّ إلا بالله ثم بكدح الملـك عبدالعزيز ورجاله وعزيمته، فلو لم تشـمل رحمة الله هذا الشعب المشتت الفاقد لوحدته وأمنه بمجيء الملك عبدالعزيز، ما حال شبه الجزيرة العربية اليوم؟ وما حال إنسانها؟ وما حال الضعيف ومن لا عصبة له ولا قوة؟

ما كتبته هو لطالبي الحقيقة، وليس لإنسـان جفت منابع الخير في نفسه، فآذت روائحـه الماشـين على الطريق إلى مسـاجدهم عـبر التاريخ، ولمن يحـاول أن يغالط الحقائـق عليه أن يسـأل كل أسرة دخلت الـصراع معه، وانتصر عليهـا: ماذا فعل بكـم؟ ولأنهـا أسر كريمة وعادلة سـتقول: أكرمنـا وحفظ لنا مكانتنـا.. خصومه أصبحـوا شركاءه في مجالسـه.. مـاذا لو أخذت هـذا الأخ المتسـائل: وأوقفته على الجالسـين على مائـدة الملك عبدالعزيز ممـن كانوا على خلاف معـه، وقلت له: ألق بتسـاؤلاتك جميعها عليهم، لتسـتقبل الجواب في قولهم: ألغِ تساؤلاتك! فنحن من يملك أعظم شهادة للملك عبدالعزيز وأصدقها، أنه من أبر الرجال وأعفهم.. هل الجواب قد اكتمل في مثل هذه الحقائق؟ وهل انتفت السلبيات بعظمة النتيجة التي هي المملكة العربية السـعودية؟ أيبقى لمتسائلٍ شـك؟ والنتيجة مشهودة ومرئية في مكانتهـا من هذا العالم؟ وقد تحولت من النقيـض إلى النقيض، من الصحاري، من التبدد والتوزع، من الغزو والنهب والسـلب، من فقدان الأمن إلى الوحدة والأمن والمعرفة إلى آخر القصة التي معنا اليوم تحكي لنا وللعالم هذا الواقع».

فيا معشر الشباب: هكذا كان واقعنا قبل مجيء الملك عبدالعزيز، رحمه الله، فمنَّ الله علينا بمجيئه، فأمضى حياته كلها في سـبيل وحدتنا ونهضتنا وأمننا، ثم توفاه الله تعـالى، بعد أن سـلم الراية بيضاء نقية إلى أبنائه الذين سـلكوا نهجـه، أفيليق بنا أن

نـزدري نعمـة الله علينا؟! فنخـرب بيوتنا بأيدينا! أيصح أن نكـون أدوات لأعداء يريدون ملء القلوب حقدا على من كان سببا في وحدتنا وأمننا ونهضتنا؟!

اقـرؤوا التاريخ، واقرؤوا الوثائق، وحافظوا على هـذا الأمن والوحدة التي لم تأت بعد توفيق الله إلا بالجهد والتعب والكفاح.

الدولة السعودية ورسوخ الهوية

بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية تأسست كما هو معلوم على الخير والهدى من أول يوم، منذ ذلك اللقاء التاريخي بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب- رحمهما الله- عام ١١٥٧ للهجرة، عندما قال الإمام محمد بن سعود للشيخ محمد: «أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعزة والمنعة»، فأجابه الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله: «وأنا أبشرك بالعزة والتمكين، وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها، وعمل بها، ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأرجو الله أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك، وقد نصر الإمامُ محمد بن سعود وأبناؤه من بعده كلمةَ التوحيد، ونشروها بين الناس، وحذّروا مما ضادها، فنصرهم الله، تحقيقا لوعده سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]، فعلوا ذلك تنفيذا للغاية التي خلق الله الخلق من أجلها، وهي التوحيد، عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[2]،أي: يُوحِّدون، وقد استمروا على ذلك، إلا أن أعداء التوحيد، وعُبَّاد القبور، شَرِقوا بدعوة التوحيد، وتواصوا على عداوتها، ومحاربة أنصارها، فسقطت الدولة السعودية الأولى، لكنها قامت بتوفيق الله مرة أخرى على يد الإمام تركي بن عبدالله رحمه الله، فالناس يحبونها، ويحبون أئمتها،

(١) سورة محمد: ٧.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

وجذورها في الأرض راسخة، وفروعها في السماء عالية، ومنافعها ناصعة، ثم قدر الله أن تسقط الدولة السعودية الثانية، فحصل من التفرق والشرور والجهل ما حصل، فهيأ الله الملك عبدالعزيز رحمه الله فأسس الدولة السعودية الثالثة، التي نتفيأ ظلالها الآن، فقام بالحق والعدل، فرحم الله به العباد، وأمَّن به البلاد، وألف الله به بين القلوب، ووحّد به البلاد، وقام ببناء الدولة على أسس متينة، وتنمية في جميع المجالات، وخَلَفَه في مواصلة مسيرة التنمية والبناء أبناؤه البررة سعود ثم فيصل ثم خالد ثم فهد ثم عبدالله ثم الآن الملك سلمان وفقه الله، وكل ملك يكمل مسيرة من قبله، ويبني لبنة في هذا البناء الشامخ؛ ويقوم بتحديث أنظمة الدولة وتطويرها، لتواكب المستجدات وتراعي المتغيرات، لكن هوية الدولة بحمد الله ثابتة في كل مراحلها، وهي التمسك بالكتاب والسنة، ونصرة العقيدة الصحيحة، وكون الكتاب والسنة هما الحاكمان على جميع أنظمة الدولة، كما هو منصوص عليه في النظام الأساسي للحكم.

ومن هذا المنطلق فإن الحديث عن دولة سعودية جديدة (رابعة)، لا معنى له، ما دام البناء شامخا ومتماسكا في دولتنا السعودية الثالثة ولله الحمد، وما دامت الهوية ثابتة بتوفيق الله ثم بفضل ولاة أمرنا، وما دام التحديث والتطوير مستمرا، وها نحن بحمد الله نتفيأ ظلال الدولة السعودية الثالثة الصلبة نستظل بظلها، ونلوذ -بعد الله- بحماها، عسى الله أن يديم عزها ويبقيها ما بقي الليل والنهار، وأما المضي قُدُماً في التنمية فهو واقع ومستمر كما تقدم في كل مراحل الدولة، الأولى والثانية والثالثة، وفق معطيات كل عصر، وفي هذا يقول الملك سلمان حفظه الله: (إن السياسة السعودية تسير في خط ثابت ومستقر، وإن كل ملك من ملوك البلاد يبني على ما بناه من سبقه من الملوك... وإن هذه من الثوابت الراسخة منذ عهد

الملك المؤسس وحتى اليوم، ولم ولن تتغير)، فهذه هي دولتنا وتلك هي هويتنا.

حفظ الله خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان، وولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان، وأدام توفيقهما للخير.

تسويغ خطأ الموافق ورد صواب المخالف

أمر الله تعالى بالعدل فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[3]، والآيات والأحاديث في الأمر بالعدل كثيرة معلومة.

وقد قال الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة رضي الله عنه ليهود خيبر عندما ذهب إليهم ليخرص عليهم الزرع والنخل، بأمر من النبي عليه الصلاة والسلام فأرادوا أَنْ يَرْشُوهُ، فَقَالَ: «يَا أَعْدَاءَ اللهِ، تُطْعِمُونِيَ السُّحْتَ، وَاللهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ (يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ولأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عُدَّتِكُمْ، مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ، وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لا أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ»، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ[4].

وقد سار على منهج العدل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم من السلف الصالح، ولا تزال طائفة على الحق والعدل حتى يأتي أمر

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٣) سورة المائدة: ٨.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٥١٩٩.

الله، ومع الأسف لما نشأت الأحزاب، والجماعات، في بلاد المسلمين، كثرت الأهواء، وصار كثير من الناس، يريدون أن ينتصر حزبهم وجاههم ورياستهم، فيرضون عمن وافقهم، وإن كان جاهلا خاطئا، ويغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا موافقا للكتاب والسنة. فأفضى هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله. وتكون موالاتهم ومعاداتهم -كما يقول شيخ الإسلام- على أهواء أنفسهم، لا على دين الله ورسوله، وهذا أمر خطير، يتعلق بباب من أبواب العقيدة، وهو الولاء والبراء.

وكثير من المنتسبين للعلم والدعوة يقبلون قول العلماء الراسخين بأن: الحق يقبل من أي شخص كان، لا لأن فلانا قاله، ولكن لأنه حق، والباطل يُرد على أي شخص كان، لا لأن فلانا قاله، ولكن لأنه باطل. لكن دعوى القبول، ينقضها ما هو موثق عنهم بالصوت والصورة مما تزخر به الساحة اليوم، وما تبثه التقنية ووسائل التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها، ومن ذلك:

أن مواقفهم ممن هو من طائفتهم، يقع في طوامَّ ربما تمس العقيدة، فيقابلون ذلك إما بصمت مطبق، وإما بتسويغ لذلك الباطل، ولو بتخريجات متكلفة، لتوهمهم أن بيانهم لخطأ صاحبهم الذي من طائفتهم، يُعد من الخذلان له، ومن الاصطفاف مع خصومه، وهذا من الهوى والجهل،

بينما يقع مخالفهم بخطأ يسير، وقد يكون خطأ من وجهة نظرهم هم، فيتواصون به، ويسلقونه بألسنة حداد، لا يردون على الخطأ بعلم وعدل ورحمة، وإنما يسعون إلى الإسقاط والتشويه، يرون خطأه فرصة يجب أن تُستثمر، نعوذ بالله من الهوى والفظاظة، وإذا أصاب في قوله أعرضوا، وربما شككوا، لتوهمهم

أن الإشادة بقبول من يخالفهم فيه نصرة لمخالفيهم، وإغاظة لحزبهم وطائفتهم.

وكم رأينا من غلاة في طاعة قيادات أحزابهم وجماعاتهم وتنظيماتهم، لا يتجرؤون على الإنكار العلني لأخطاء قادتهم، وأفرادهم، مع أن تلك الأحزاب والجماعات والتنظيمات، منشقة عن جماعة المسلمين، وهي باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، إذ لا حزبية في الإسلام. وأولئك القادة مفتئتون على إمام المسلمين، ليس لهم سمع ولا طاعة ولا بيعة.

وفي المقابل: يلمزون من يلزم طاعة إمام المسلمين بالمعروف، ويرون أن السمع والطاعة له ذلة ومهانة، مع أن من يطع ولي الأمر، إنما يطيعه امتثالا وتطبيقا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم (من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)[٢]. فهم فروا مما أمر الله به ورسوله -وهو طاعة ولاة الأمور، ووقعوا فيما نهى الله عنه ورسوله عليه الصلاة والسلام- وهو طاعة قادة تلك الفرق والأحزاب، الذين كل حزب بما لديهم فرحون، ويرون أن العالم الحقيقي هو المستقل (ويعنون بالمستقل)، أي الذي لم يُعَيَنّه إمام المسلمين، إلا إن كان هذا العالم من موافقيهم، ممن يخدمهم. بينما من عينه الحزب، وصدَّره للإعلام، يُعد عالما مستقلا في نظرهم، ويرون أن الإنكار العلني على إمام المسلمين ونوابه من أهم المهمات، خلافا لقادة أحزابهم ومريديهم، فلا يسمحون بنقدهم، لأن ذلك يُعد خطا أحمر لا يصح تجاوزه، وهذا من الأخطاء العظيمة التي يجب أن تصحح،

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٢٩٥٧) مطولًا، وصحيح مسلم، حديث رقم(١٨٣٥).

حماية للعقيدة من هذه الانحرافات والأهواء. والواجب على كل مسلم لا سيما من آتاه الله علما شرعيا، أن يعظم النصوص الشرعية، ويقبل ما دلت عليه، ويكون قدوة صالحة.

فيقبل الحق وإن جاء من شخص يبغضه عملا بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾[1]، ويرد الباطل وإن أتى من شخص يحبه، ولا بأس أن يقول: فلان حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه. ولا يجوز تضخيم الخطأ، والتجاوز على من وقع فيه، لأنه قد يكون مخطئا مأجورا، أو مذنبا معفوا عنه، وإنما المتعين هو الرد على الخطأ، وأما المخطئ فيوجه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ويدعو له بالهداية والصواب.

ومن الغلط الفاحش: تصويب المخطئ، لكونه من نفس الحزب أو الطائفة، كما أن من الغلط أيضا: تخطئة المصيب، لكونه ليس من طائفتهم وحزبهم. وإنما يسلك المسلم سبيل الاعتدال، فيرحم الخلق، ويعظم الحق.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة أهل البيت وغيرهم قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونـًا بالظن ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه وإن كان من أولياء الله المتقين، ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين: طائفة تعظمه، فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه. وطائفة تذمه، فتجعل ذلك قادحـًا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه

(١) سورة المائدة: ٨.

من أهل الجنة بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسد. والخوارج والروافض وغيرهم من ذوي الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا. ومن سلك طريق الاعتدال عظَّم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيُحمد ويُذم ويُثاب ويُعاقب ويُحب من وجه، ويُبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم)[(١)].

(١) منهاج السنة لابن تيمية ٤/ ٥٤٣، ٥٤٤.

حوار مع زميل دراسة

قال لي وهو يحاورني: الحمد لله الذي أفشل الانقلابيين في تركيا، وحفظ القائد إردوغان، لقد سرنا ذلك كثيرا، وتم تبادل التهاني في وسائل التواصل، وفي المساجد والأسواق، ودبجت بذلك القصائد، وأقيمت الولائم.

فأجبته: وأنا أحمد الله على ذلك، ولا يوجد صاحب عقيدة صحيحة، إلا وهو يحرم الخروج على الحاكم المسلم، ويحزن لزعزعة الأمن، وسفك الدماء في أي بلد مسلم، بغض النظر عن كون الحاكم المسلم عادلا أو ظالما، منجزا، أو مخفقا، وبغض النظر عن انتماءاته، ما دام أنه مسلم لا يجوز الخروج عليه، بل وحتى غير المسلم لا يجوز الخروج عليه إن كان ذلك يؤدي إلى سفك دماء المسلمين، وزعزعة الأمن، كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثم قلت: لكن هل تفعلون ذلك مع كل حاكم مسلم، كما هو نص الحديث، أم مع حاكم مسلم معين تهوونه؟

فقال: بل مع كل حاكم مسلم؟

فقلت: ما بالكم أيدتم ما تسمونه الربيع العربي، وسماه أحد دعاة الثورات الفرحين بها: (خريفا: يتساقط فيه الحكام)، مع أنكم بحمد الله لا تكفرون أولئك الحكام؟

فقال: نحن نريد نصرة الإسلام والمسلمين.

فأجبته: وهل النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما نهى عن الخروج على كل حاكم مسلم وإن كان جائرا، لا يريد نصرة الإسلام والمسلمين؟! قال: معاذ الله.

فقلت: مَن قدم الهوى على الهدى، وكانت تربيته حزبية وليست سلفية، فإنه متناقض، وفي أمر مريج، وكل من لم يقبل الحق ولم يلتزم به، وكان انتقائيا فإنه متناقض، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥﴾[1].

ولو كان الحق تابعا للهوى والحزبية، لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، كما قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾[2]، وإن كان المرجع عقولكم، فلكل واحد منكم عقل، فبعقل مَن يوزن كلام الله ورسوله؟

فقال: الليبراليون لا يريدون الإسلاميين، ويودون لو حصل انقلاب في تركيا؟

فأجبته: أنتم وهم وجهان لعملة واحدة، إن أرادوا ما ذكرت، فأنتم أيضا تريدون ذلك في مصر؟ فما الفرق، كلكم أهل أهواء، لا تعملون بمقتضى النص الشرعي. فلماذا تعيبون غيركم بما تفعلون نظيره؟

فقال: لسنا كهيئتهم، أما رأيت قنواتهم الفضائية ضد الإسلام؟ وأخرج تغريدات، فيها أن من شاهدها لمدة عام سيكون مع جيش إسرائيل، وأنها لو كانت في زمن النبوة لكان العاملون فيها المنافقين، ولكان تمويلها من يهود بني قريظة!

فقلت: أعوذ بالله، هذا من الفجور في الخصومة، ومن القول على الله بلا علم، بل إن في هذا الكلام تكفير وتجنٍّ، كيف تصفون من يشاهدها أو يعمل فيها أو يمولها باليهود وبالنفاق وبالعمل مع جيش اليهود؟ وفي هذا تجييش للشباب، وتربية على العنف والصلافة واللسانة. وهل هذا يعني: أن من يشاهد القنوات

(١) سورة ق: ٥.

(٢) سورة المؤمنون: ٧١.

التــي تهوونها تصلي عليه الملائكة، وكذا من يمولهــا، أو من ضمن طاقمها؟ مالكم كيف تحكمون!!

من وجهة نظري أنكم تسـيئون إلى أنفسـكم وإلى الإسـلام الذي تدعون إليه بسطحيتكم هذه.

العدل يا أخي أن تقول: الحق يقبل من أي قناة، والباطل يرد من أي قناة، دون حاجة إلى هذا التهويل، الذي يضر ولا ينفع.

فقال: هي لم تفرح بفشـل الانقلاب، ثم أردف: أيسـوؤك أن يفرح المسـلمون وقنواتهم بفشل الانقلاب؟ فأجبته: بل يسرني أن يفشل كل تخريب وزعزعة في أي بلد مسلم، سواء سُـمّي انقلابا أو ثورة أو إصلاحا، لا تهم الألفاظ، العبرة بالمعاني والحقائـق. ولكن الذي يسـوؤني أنكم فيـما يظهر لي مع جراحـات الدنيا كلها، إلا جراحات بلدكم.

حصل إفشــال مخططات إرهابية في بلادنا السعودية فما رأينا هذا الفرح منكم، فضلا عن القصائد والتهـاني ونحوها مما أشرت إليه، وإنما قرأنا تغريدات وبيانات مسيئة، وبعضها تلوم من يقف مع رجال الأمن في بلادنا.

أيضــا في بلادنا أفشـلت عمليـات إرهابية ضخمــة، تتمثل في مـلء خزانات أرضية متفجرات، تم كشفها وإبطالها، ولله الحمد، لم تظهروا الفرح بإبطالها، في أي تغريدة أو بيان، وإنما قرأت لكم بيانات. وتغريدات تتعاطف مع المشاغبين، وتلوم المتعاطفين مع رجال الأمن!!

تمدحـون وقوف الشـعب التركي مـع حكومته، ونحن معكـم في ذلك، لكن

هلا فعلتم ذلك مع بلادكم! تعددون حسـنات حاكم خـارج الحدود، فهلا فعلتم ذلـك مع حكام بلدنا الذين لا نظير لهم على وجه الأرض من جهة التوحيد ونصرة العقيدة وتطبيق الشريعة، وكون البلاد ليس فيها وثن يعبد، ولا كنائس.

فقال: عسـى الله أن يهدينا سـواء السـبيل. فقلت: آمين. وأنا أخشى على كثير من الجيـل القادم، الذي تشرفون على تربيته، إن كان لا يربى على تعظيم النصوص الشرعيـة، والـولاء الوطني لوطنه وقيادته، لأن (بعض) هـذا الجيل تربى -كما هو مشـاهد- على الألعاب الصابونية، والآهات والشـيلات والأناشيد التي تسمونها إسـلامية، وصـار تدين بعضهم عاطفيا وليـس علميا، وهنا مكمـن الخطورة. مع يقيني أن كثيرا منهم -بحمد الله- محب لدينه ووطنه وقيادته.

فقال: فيهم الخير الكثير لدينهم وأمتهم. فأجبته: هذا ما أرجوه أن يكون فيهم وفي القائمين على توجيههم نفع لدينهم ووطنهم وأمتهم. فقال: إن شاء الله.

شكرته، وانتهى الحوار. وفي الختام أقول: أسأل الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

مسؤولية الكلمة

للكلمة شأن عظيم في الشريعة الإسلامية، فبكلمة التوحيد، وهي كلمة واحدة، يدخل غير المسلم في الإسلام، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمه أبي طالب: «يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»[1].

وبكلمة واحدة من سخط الله، يزل بها قائلها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب.

وبكلمة واحدة يخرج قائلها المسلم من دين الإسلام، إلى الكفر، كما قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾[2].

وبكلمة واحدة يقولها من أعجب بنفسه وعبادته، واحتقر غيره من المذنبين، يحبط عمله، وتوبق تلك الكلمة دنياه وآخرته، وقد قال الله تعالى لمن قال لصاحبه المذنب، والله لا يغفر الله لك: «من ذا الذي يتألى على ألا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك»[3].

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته[4]، كما أن الإنسان قد يقول كلمة من رضوان الله، لا يلقي بها بالا، يسعد بها سعادة لا يشقى بعدها أبدا، ويرفعه الله بها درجات، وفي الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا يرفعه الله

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤).

(٢) سورة التوبة: ٧٤.

(٣) صحيح مسلم (٢٦٢١).

(٤) سنن أبي داود (٤٩٠١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

بها درجات»[1].

بكلمة واحدة تذاع، تحصل الفتن، والحروب والشرور، كما قيل: وإن الحرب أولها كلام.

وبكلمة واحدة من ناصح حكيم، يدرأ الشر، وتهدأ النفوس. ولهذا فإن المتعين على أهل التغريدات ووسائل التواصل الاجتماعي، وحملة الأقلام، ورجال الإعلام، ونحوهم، أن يتثبتوا فيما يكتبون، فما كل ما يسمعونه صحيحا، وما كل ما يقال: يقال في كل مكان، وما يفهمه قوم قد لا يستوعبه آخرون، «وما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

ونشر ما يوغر الصدور، ويملأ القلوب حقدا، ويضخم الأخطاء، ويحجب الحسنات، ويسبب الإحباط والنظرة السوداوية المتشائمة، مخالف للهدي النبوي، وقد قال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «من قال هلك الناس فهو أهلكهم»[2]، وقد كان عليه الصلاة والسلام: يعجبه الفأل ويكره الطيرة[3].

وكثير من الانحرافات الفكرية التي وقع فيها بعض الشباب، إنما وقعت بسبب ضخ الكلمات، التي تطلق بلا خطام ولا زمام، فتسود المشهد أمام الشباب، ويتوهم أن كل شيء على غير ما يرام، وأنه لا خلاص إلا بدولة الخلافة المزعومة، فينساقون إلى ذلك الطعم القاتل، فإذا جاؤوها، فتحت لهم أبواب الشر، وصاروا وقودا لجهات معادية لا تريد بهم وبمجتمعهم خيرا، فخسروا هنالك دنياهم وآخرتهم،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٣).

(٣) صحيح ابن حبان (٦١٢١).

وذلك سببه ما يسمعونه أو يقرؤنه من كلمات خاطئة ظالمة.

ولذلك فعلى الإنسان أن يتكلم بعلم وعدل، ومن فاته ذلك فحسبه السكوت، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فالسلامة لا يعدلها شيء.

وأعظم كلمة وأنفعها، كلمة التوحيد، وهي جديرة بأن تبذل الجهود لبيانها، والدعوة إليها، وهي الكلمة الطيبة، التي مثلها الله بالشجرة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة تثمر العلم النافع، والعمل الصالح، الذي هو الهدى، ودين الحق، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع للبلاد والعباد، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

كما أن أخبث كلمة وأضرها، كلمة الكفر، وهي جديرة بأن تبذل الجهود، لبيان خطرها، والتحذير منها، وهي الكلمة الخبيثة، التي مثلها الله بالشجرة الخبيثة، لأن هذه الكلمة الخبيثة تحبط الأعمال، وتثمر خسارة الدنيا والآخرة، كما أن الشجرة الخبيثة لا نفع لها بحال، اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، فلا عرق نابتا، ولا فرع عاليا، ولا ثمرة زاكية، فلا خير فيها، ولا خير في كل كلام نهى الله عنه ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2]. ومن المشاقة لأمر الله ورسوله، ألا ينتهي الإنسان عما نهاه الله ورسوله عنه، سواء بدعوى حرية التعبير، أو الرأي والرأي الآخر، أو غيرهما.

ذلك أن جملة: حرية التعبير والرأي، ليس على إطلاقها، فالعدوان على الدين والطعن فيه، والعدوان على الوطن وقادته، والعدوان والتجني على خلق الله، والتمضمض بأعراضهم، وإفساد ذات بينهم، ونحوها من الوظائف الإبليسية،

(١) سورة إبراهيم: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة الحشر: ٧.

ليست مجالا للتعبير، والرأي والرأي الآخر، ولهذا عندما قال قوم في غزوة تبوك، ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أكبر بطونا، وأكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، وكان عذرهم أن هذا مجرد كلام، وخوض ولعب لقطع الطريق: جاء الحكم القاطع من رب العالمين: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]. ليس في هذا رأي، ورأي آخر.

وهكذا كل كلمة يرد فيها السفهاء النصوص الشرعية، الصحيحة الصريحة، لكونها لا تتلاءم مع بلادة أذهانهم وأفكارهم وعقولهم المنكوسة، هي كلمة سوء، يجب أن يحجر على قائلها، فإن الحجر لاستصلاح الأديان، أولى من الحجر لاستصلاح الأموال والأبدان.

كما أن إثارة الفتن، والدعوة لآراء وشبهات الخوارج بين الشباب وتحسينها ممنوع، وليست مجالا للرأي والرأي الآخر، ولهذا وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- الخوارج بأنهم كلاب النار، وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[2]، ولم يقل: لا بأس بالرأي والرأي الآخر، فكل رأي يتعارض مع ثوابت الدين والوطن، فهو مرفوض مهما كان قائله، لا يجوز قوله، فضلا عن قبوله، وما سوى ذلك فيمكن أن يقال فيه الرأي والرأي الآخر، ويتم عرضه بعدل وعلم، بقصد الوصول إلى الحق، وليس الجدل والانتصار، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[3].

(١) سورة التوبة: ٦٦.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٦٤).

(٣) سورة الإسراء: ٥٣.

جناية التأويل على الإسلام وأهله

الكتاب والسـنة هما المصدران الرئيسـان للشريعة الإسـلامية، وهما الوحيان المعصومـان، اللـذان مَن اعتصم بهما فقـد هُدي إلى صراط مسـتقيم، ومن أعرض عنهما فإن له معيشـة ضنكا في الدنيا والآخـرة. قال الله تعالى ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[1]، وقـال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[2]، والدارس للفرق والجماعات المنحرفة، التي تنتسـب إلى الإسلام يلحظ أنها تستدل عـلى انحرافها بآيات من الكتاب وأحاديث من السـنة، وهـي لا تدل على ما ذهبوا إليـه، ولا يمكـن أن يدل الكتاب والسـنة على معنـى باطل، ولكن آفـة القوم من تأويلاتهـم الفاسـدة، وتخرصاتهـم الباطلـة، التـي عطلوا بهـا المعـاني الصحيحة، وأحدثوا مكانها المعاني الباطلة، كما هو شـأن الخوارج الذين عمدوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين، وكما هو شأن أهل الكلام الذين عطلوا صفات الله عـن معانيها الظاهرة، وأحدثوا تأويلات فاسـدة، ونحوهما مـن الفرق والطوائف الضالة.

ولو سـلكوا منهج أهل السنة والجماعة في الاسـتدلال لفهموا الكتاب والسنة بفهـم الصحابـة رضي الله عنهـم، فالصحابـة رضي الله عنهم هم أبـر الأمة قلوبا، وأعمقهـا علما، وأقلها تكلفا، وأصحها فطرة، شـاهدوا التنزيل، وعلموا أسـبابه، وفهموا مقاصده، فهم أحرى أن يوفقوا في فهم كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، لما خصهم الله به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وحسن

---

(١) سورة الأعراف: ٣.

(٢) سورة الحشر: ٧.

القصد، وتقوى الله تعالى، فالعربية سليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرتهم وعقولهم، أثنى الله عليهم، ورضي الله عنهم، وأثنى على من اتبعهم بإحسان، كما قال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]، وأثنى عليهم رسوله عليه الصلاة والسلام، وجعل الفرقة الناجية هي ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته رضي الله عنهم.

وسأذكر هنا قصة حدثت بين الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما، وبين جمع من الخوارج، ليتضح للقارئ الكريم الفرق العظيم بين فهم الصحابة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وبين فهم الخوارج الفاسد، لنصوص الكتاب والسنة، الذين استقلوا بفهمهم عن فهم الصحابة، وصاروا يستدلون بأدلة لا تدل على ما يريدون، وأعجبوا بأنفسهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم وأفهامهم، فصارت جنايتهم على الإسلام وأهله عظيمة. ومعلوم أنه: لا يستدل مستدل بدليل شرعي صحيح ليقرر به معنى باطلا إلا وكان ذلك الدليل دليلا عليه لا له، لأن النص الشرعي لا يدل على باطل أبدا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما خرجت الحرورية، اعتزلوا في دار على حدتهم، وكانوا ستة آلاف، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم. قال: إني أخافهم عليك.

قلت: كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار وهم يأكلون. فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس،

---

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

فما هذه الحلة؟

قلت: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أحسن مـا يكون من الحلل، ونزلـت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[1]، قالوا: فما جاء بك؟

قلـت لهم: أتيتكم مـن عند أصحاب النبـي صلى الله عليه وسـلم، المهاجرين والأنصـار، ومـن عند ابن عـم النبي صلى الله عليه وسـلم وصهـره، وعليهم نزل القـرآن، فهم أعلـم بتأويله منكم، وليـس فيكم منهم أحد؛ لأبلغكـم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون.

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشا؛ فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[2]،

قال ابن عباس: وما أتيت قوما قط أشـد اجتهادا منهم، مسهمة وجوههم من السهر، جباههم قرحة من السجود.

فقال بعضهم: لنكلمنه ولننظرن ما يقول.

قلت: هاتوا ما نقمتم على صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه؟ قالوا: ثلاث. قلت: ما هن؟

قالـوا: أما إحداهـن، فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقـال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[3]، ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة.

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) سورة الزخرف: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام: ٥٧.

قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، إن كانوا كفارا لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتالهم.

قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين!

قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله -جل ثناؤه- وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم، أترجعون؟ قالوا: نعم.

قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم؛ فأمر الله -تبارك وتعالى- أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾[1]، وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء حكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله: أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل، أو في أرنب؟ قالوا: بل حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم، أفضل.

قلت: وقال تعالى في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾[2]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل، أم حكمهم في بضع امرأة؟ قالوا: اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم. فقلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

(١) سورة المائدة: ٩٥.

(٢) سورة النساء: ٣٥.

قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسْبُون أمكم عائشة؟!تستحلون منهــا ما تســتحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نســتحل منها ما نســتحل مــن غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليســت بأمنا فقد كفرتــم؛ لتكذيبكم قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[1]، فأنتــم بين ضلالتين فأتوا منهــا بمخرج؟ فنظر بعضهم إلى بعض. فقلت: أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

فقلــت: وأما قولكم: محا نفســه من أمــير المؤمنين، فأنا آتيكم بــما ترضون، قد ســمعتم أن نبي الله صلى الله عليه وســلم يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: (اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رســول الله)[2]، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (امح يا علي، اللهم إنك تعلم أني رســول الله، امح يــا علي، واكتب: هذا ما صالح عليه محمــد بن عبدالله)، فوالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه، أخرجــت من هذه؟ قالــوا: نعم. فرجع منهــم ألفان، وخرج ســائرهم فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار[3].

فهذه قصة عظيمة، فيها فوائد كثيرة، وما يعنينا هنا بيان جناية التأويل الفاسد، والفهم الســقيم، على الإســلام وأهله. فأولئــك الخوارج -كما تــرى أخي القارئ الكريم- ضللوا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعموم الصحابة،

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) صحيح المسند، رقم (٧١١).

(٣) السـنن الكـبرى للنسـائي، كتاب الخصائص، ذكـر مناظرة عبد الله بن عبـاس الحرورية (٨٥٧٥).

وقاتلوهم، وسعوا في الأرض فسادا، ومع هذه الجنايات العظيمة، يحسبون أنهم يحسنون صنعا، كل ذلك بسبب تأويلهم الفاسد للنص الشرعي. وبسبب جهلهم بمنهج الصحابة في الاستدلال.

والتأويل الفاسد: أصل خراب الدين والدنيا، فما قتل عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا بالتأويل الفاسد، وما خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على أكثر من سبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد. فالواجب على الشباب وغير الشباب ألا يستقلوا بفهمهم للنصوص الشرعية، ولا يعجبوا بأنفسهم، وليستفيدوا من العلماء الراسخين، الذين سلكوا منهج الصحابة رضي الله عنهم، ليكون فهمهم للأدلة وفق منهج السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

محمد بن عبدالوهاب وغارات الجياع

الأئمة المجددون المصلحون، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ومن أبرز هؤلاء الأئمة الصالحين المصلحين، الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، الذي وفقه الله تعالى لدعوة التوحيد الإصلاحية، التي أعادت للإسلام في الجزيرة العربية قوته وصفاءه، وطهر الله بها الجزيرة من البدع والشركيات التي كانت موجودة آنذاك، في بعض المواقع، وكان من أعظم أسباب نجاح هذه الدعوة المباركة، أن هيأ الله لها حكاما آمنوا بها، وآزروا دعاتها، وهم الحكام من آل سعود بدءا من الإمام محمد بن سعود ثم أبنائه وأحفاده من بعده. وقد أمضى الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حياته كلها داعيا إلى التوحيد الخالص، ومن قرأ كتبه رأى ذلك عيانا بيانا. فكتابه (كتاب التوحيد) من أنفع الكتب المصنفة، كأنه قطعة من صحيح البخاري، ليس فيه إلا قال الله، وقال رسوله عليه الصلاة والسلام، وفوائد مستنبطة من النصوص الشرعية غاية في الدقة والفائدة والنفاسة. وهكذا سائر كتبه، ومنها: (الأصول الثلاثة) و(القواعد الأربع) و(كشف الشبهات)، و(الأصول الستة) وغيرها، كلها تصل القارئ بالكتاب والسنة، بأسلوب سهل مقنع، ولو أن من ينتقد دعوة هذا الإمام المبارك، وحجته: سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، لو أنه أرجأ نقده إلى أن يطلع على هذه الكتب، لكان من جملة الداعين له، المدافعين عنه.

فهو - رحمه الله - من الدعاة إلى الله على بصيرة، وما يقال إن لديه غلوا في التكفير،

غير صحيح، ولا يقوله مَن عرف التوحيد، وعرف الشرك، نعم قد يقوله: صاحب هوى، يرى أن هذه الدعوة أزالت عنه عَرَضا من الدنيا.

أو يقولـه كذلك: مَـن جهل التوحيد، وظن أن من أقـر بوجود الله، وربوبيته، فهو من أهل التوحيد، وإن أشرك مع الله في عبادته، وطاف على القبور والأضرحة، وهذا ظن خاطئ فاسـد، فالمشركون في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُقرِّون أن الله هـو الخالق الـرازق النافع الضار، لكنهم يتخذون معه وسـائط، ويطلبون المدد والزلفـى من أهل القبور والأضرحة ونحوها، ولم يخرجهم ذلك من الشرك، كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

والـدارس لمنهج الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يعلـم يقينا أنه: لم يُكفِّر مسـلما قط، وأتحدى أن يأتي أحد بدليل من كتبه رحمه الله أنه كفر مسـلما بغير حق، هـذا لا وجود له في كتبـه، وهو رحمه الله: لا يُكفِّر إلا من كَفَّره الله ورسـولُه، كمن عرف دين الله ثم سـبه، وكفر به، فهذا تكفيره محل إجماع بين أئمة الإسـلام، يقول رحمه الله: (وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسـول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى النـاس عنه وعـادى من فعله، فهذا هو الذي أُكَفِّره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسـوا كذلـك، وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكنا).

(١) سورة يونس: ٣١: ٣٣.

لقـد كان مهموما ـ رحمـه الله ـ بالدعـوة إلى التوحيد، حريصا عـلى هدايتهم، لا عـلى تنفيرهـم، كان ينظـر إلى بعض الجهلـة يطوفون على قبر زيـد بن الخطاب، ويطلبـون منه المدد والزلفى، فكان يقول: الله خير مـن زيد يربطهم بالله، ويتلطف بدعوتهـم، ويصبر عليهم، قال عـن بعض خصومه: (وإذا كانـوا أكثر من عشرين سـنة يقرون ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، أن التوحيد الذي أظهره هذا الرجل هو دين الله ورسـوله) فانظر: هذا الصبر العظيم، وهذه الرحمة بالمدعوين، أكثر من عشرين سنة، وهم يسمعون تقريره للتوحيد، ويعرفون أنه حق، ومع هذا يعاندون، فيقابل هـذا العنـاد بالتلطف بهـم، والدعاء لهم حتى في سـجوده، يقـول لأحدهم: (إني أدعو لك في سـجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إليّ وأحبهم عندي ويبدأ رسائله بالدعاء للمخاطب، فيقول (اعلم رحمك الله...)، وفي رسـالة أخرى يقول: (اعلم أرشدك الله لطاعته...) وهكذا في رسائله، فهو يدعو الله للمخاطبين، لأنه حريص على هدايتهم، لا على تكفيرهم. ولذلك فهو من أعظم الناس ورعا وتحرزا، لاسيما في مسـائل التكفير، حتى إنه لم يكفر إلا بالمتفق عليه، دون المختلف فيه، يقول رحمه الله (ولا نُكفّـر إلا مـا أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشـهادتان، وأيضا نكفّره بعد التعريف إذا عـرف وأنكر ويقول: (وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبدالقـادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم). فهو يعذر بالجهل كما في قوله (لأجل جهلهم).

ولهـذا قـال عنه حفيده الشـيخ عبداللطيف، الذي هو من أعلـم الناس بحاله وأقواله: (الشـيخ محمد –رحمه الله– من أعظم النـاس تَوَقُّفًا وإحجامًا عن إطلاق الكفر، حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيـسر لـه من ينصحه أو يبلغـه الحجة التـي يَكْفُر تَارِكُهـا، ولم يكن رحمه الله

مستبدا برأيه، وإنما يطلب الحوار، ويتعهد بقبول ما دل الدليل عليه، فيقول: (كل إنسان أجادله بمذهبه، إن كان شافعيا فبكلام الشافعية، وإن كان مالكيا فبكلام المالكية، أو حنبليا أو حنفيا كذلك، فإذا أرسلت إليهم ذلك، عدلوا عن الجواب، لأنهم يعرفون أني على الحق وهم على الباطل، وإنما يمنعهم من الانقياد التكبر والعناد... إلى أن قال رحمه الله: وأنا أشهد الله وملائكته إن أتاني منهم حق لأقبلنه على الرأس والعين).

ويقول أيضا: (وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربعة: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإما إلى إجماع أهل العلم، فإن عاند دعوته إلى المباهلة...).

يقول ذلك لكونه على بينة وثقة وبصيرة بما يدعو إليه، فهو لم يدع الناس إلى عرض من الدنيا، بل دعاهم إلى ما فيه سعادتهم ونجاتهم، وهو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. إذا كان الأمر كذلك، تبين أن تنقص هذه الدعوة، هو من غارات الجياع، فإن قالوا هناك من التنظيمات المتطرفة، من لديه بعض كتب الإمام محمد، ويستدل ببعض ما فيها؟

قلنا هذه حجة داحضة، فالقرآن الكريم أيضا لديهم، ويستدلون ببعض آياته، والعيب فيهم، وفي فهمهم السقيم، لا في كتاب الله، ولا في كتب أهل العلم الراسخين، ومنهم الإمام محمد، ثم إن الخوارج وجدوا في زمن الصحابة، وزمن الدولة الأموية والعباسية وما بعدها، أيقولون إن ذلك أيضا: بسبب كتب الإمام محمد بن عبدالوهاب، ودعوته؟! فهذه التنظيمات الهالكة، أنشأها أعداء الإسلام، للكيد للإسلام وأهله، فما علاقة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ودعوته بها؟

فـإن قالوا هناك نقـولات لبعض أتباعه في الدرر السـنية، أو الكتب التاريخية، وغيرهـا يفهم منها التشـدد والتكفير، فهي حجة داحضة أيضا، فلو سـلمنا جدلا بصحـة وجود ذلك، فإنه لا ينسـب للإمام خطأ غيره، بل خطـأ غيره، مردود على صاحبـه، كما لا ينسـب خطأ أي صحابي للنبـي عليه الصلاة والسـلام، ولهذا فإن خالد بن الوليد أخطأ وقتل بني جذيمة، ولم ينسـب ذلك الخطأ للنبي صلى الله عليه وسـلم ولا إلى دعوتـه. مـع أن غالب ما ينسـب لعلماء الدعوة في «الدرر السـنية» وغيرها، هي رسائل وإجابات لم نطلع على السؤال والواقع الذي كان بموجبه صدر الجواب، والعالم يفتي بناء على السؤال، بغض النظر عن صحة ما ذكره السائل، كما أن كثيرا من الحوادث التي يتكلم عنها علماء الدعوة، لا نعرف تفصيلات حوادثها ووقائعها.

والمقصود: أن علم أئمة الدعـوة يؤخذ من كتبهم المصنفة لغرض إفادة الناس عمومـا، وأما الكلام المشـتبه، من الـردود والإجابات الشـخصية، التي قد تكون لسـائل خاص، ولواقع خاص ربما ذكره السـائل ولم نطلع عليـه، أو لم يذكره لعلم العـالم بـه، فإنه يـرد إلى المحكم، هـذه طريقة الراسـخين في العلم، وأمـا الذين في قلوبهم زيغ، فيتبعون ما تشـابه في كتب الردود والمسـائل التي لا يعرفون وقائعها، وحقيقتها، فيفرحون به، ويشوشـون به على الناس، ابتغـاء الفتنة، ليدحضوا الحق بزعمهم، وليثيروا الجهال على هذه الدعوة المباركة، التي نتفيأ ظلالها، وبعض أعداء الإسلام، يصعب عليهم الطعن في دين الإسلام صراحة، فصاروا يكيدون للإسلام مـن خلال طعنهم بدعوة الشـيخ محمد بن عبدالوهاب، لعلمهـم أنها هي الدعوة الصحيحة التي تمثل الإسـلام، ولذلك يعادونهـا ويزعمون أنها الأصل للحركات المتطرفة كداعش وغيرها، مع تيقنهم أنها برئية من ذلك، بينما الأحزاب والجماعات

المنتسبة للإسلام، وغير المنتسبة للإسلام، لا يتهمونها بذلك، بل قد يتعاونون معها ويدعمونها، لعلمهم ببعدها عن التوحيد الخالص، وهذا البعد يسرهم،لأن عداءهم هو للدين الخالص، لا للأحزاب المحدثة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[1]، ولكن الله غالب على أمره، وناصر دينه، وعباده المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[2]، اللهم اجز عنا الإمام محمد بن عبدالوهاب خيرا، واجمعنا به مع نبينا عليه الصلاة والسلام في جنات النعيم.

---

(١) سورة البقرة:٢١٧.

(٢) سورة غافر: ٥١.

وإذا قلتم فاعدلوا

المقررات الدراسية الرسمية لمدارس أي دولة، لاسيما المقررات الدينية، تعكس الأساس الذي قامت عليه تلك الدولة، وما تود أن تكون عليه.

وبلادنا السعودية هي مأرز الإيمان، ومهبط الوحي، ومنبع الإسلام، وعلى أرضها عاش ومات أفضل البشر، محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، فلا غرو أن تكون مقرراتها الدراسية الشرعية، مرسخة الاعتقاد الصحيح، والأحكام الشرعية، والأخلاق النبوية. وقد خرّجت تلك المقررات الطيبة صفوة المجتمع من الأمراء والعلماء والقضاة وحملة القلم، ورجال الدولة. ومع هذا: لا تزال المقررات في تطوير مستمر للأفضل، ويتلقى القائمون عليها أي ملحوظة بناءة، كتبت بعلم وعدل. وإنما قلت: بعلم وعدل، لأن بعض الكتَّاب هداهم الله، ينتقد المقررات الشرعية بلا علم ولا عدل، لكونه غير متخصص فيها، ولم يستفد من المتخصصين لتكون كتابته عن علم.

فإذا رأى مثلا، عبارة في المقرر، عن أن الولاء والبراء، يقتضي عدم محبة الكافرين، لقوله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1]، وقوله ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[2]، ونحوهما من الآيات. خرج بنتيجة مؤداها: أن المقررات تدعو للتعدي، وعدم التعامل مع الآخر غير المسلم، وتدعو للعنف والإرهاب. وبهذه النتيجة الظالمة، التي بنيت على فهم خاطئ، صار ينتقد المقررات، وهي لا ذنب لها، إلا أنها قالت ما قاله الله ورسوله، والناقد لها يجهل معاني الآيات والأحاديث، وفي هذا المثال: يجهل أن المحبة الدينية، تختلف عن المحبة

(١) سورة البقرة: ٩٨.

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.

الطبيعية، وقد أباح الله تعالى الزواج من الكتابية المحصنة، وهي غير مسلمة، ومعلوم أن الزوجين بينهما مودة ورحمة كما قال تعالى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1]، فهذه مودة طبيعية، وليست دينية، أي: لا يودها لكونها: كتابية -يهودية أو نصرانية- وإنما لكونها زوجته، ونبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يحب عمه أبا طالب، ويحب هدايته، مع كونه مشركا، كما قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[2]، فالمحبة الطبيعية الدنيوية، تختلف عن المحبة الدينية، كما أن التعامل مع الكافر بالعدل والإحسان لا يتعارض مع الولاء والبراء، فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ مات ودرعه مرهونة عند يهودي، بشعير اشتراه لأهله، ولما قالت له أسماء رضي الله عنها -كما في البخاري- إن أمي قدمت وهي مشركة، أفأصلها؟ قال: نعم، صلي أمك. فأمر ببرها وصلتها مع كونها كافرة، وربنا يقول ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[3].

وكل هذا موجود في مقرراتنا، ولكن ناقد المقررات يجهل ذلك، أو أن «عين السخط تبدي المساويا»

ومن كانت رغبته هي الإدانة، فإنه سيطوِّع ويحُرِّف كل كلام يقرؤه أو يسمعه، لتحقيق رغبته، عملا بقاعدة أهل الأهواء (اعتقد ثم استدل)، أو يسلك (المنهج الانتقائي) فيأخذ ما يوافق هواه، ويدع ما سواه، وهذا المسلك الانتقائي: جنايته ليس على مقرراتنا الشرعية فحسب، بل قبل ذلك على كتاب ربنا تعالى.

---

(١) سورة الروم: ٢١.

(٢) سورة القصص: ٥٦.

(٣) سورة الممتحنة: ٨.

فلو أن شخصا استدل بقوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[1]، وقوله ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[2]. ونحوهما من الآيات، ولم يكمل قراءتها، ولم يفهمها ولم ينظر للآيات الأخرى التي تنهى عن الاعتداء، كقوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3]، وصار يستدل بما انتقاه، على قتال كل مشرك لقيه، ألا يكون ظالما متجنيا في استدلاله ونتيجته؟! فهكذا يقال أيضا في مقرراتنا الدراسية، ولذلك لو أن مدرسا ما أو كاتبا، أو غيرهما، أراد تطويع نصوص المقررات، لتتوافق مع أهوائه، لكان العيب فيه، وليس في المقررات.

فإذا تقرر ما تقدم: تبين أن ما قام ويقوم به بعض إخواننا ـ هداهم الله ـ من الطعن في المقررات الشرعية، بما يسمونه نقدا، يفتقر إلى هذين الشرطين: العلم والعدل. وبعضهم قدم دراسة تتضمن اتهام المقررات بالعنف والإرهاب، إلى مؤسسة غربية، وكنت رددتُ عليهم في كتابي (الدعاوى العقدية في مقررات التعليم العام في المملكة العربية السعودية - عرض وتقويم).

واليوم أرى أن الدعاوى والاتهامات الظالمة تتكرر، وزاد بعضهم على ذلك دعوى أن الرسائل العلمية الأكاديمية في جامعاتنا لم تُعالِج بالبحث والتحقيق مشكلة التطرف، بل بالغ بعضهم في الظلم، وقال إن كثيرا من تلك الدراسات تتفق مع ما يطرحه الفكر المتطرف، سامحهم الله، أهكذا يلقى الكلام جزافا، دون

---

(١) سورة التوبة: ٣٦.

(٢) سورة البقرة: ١٩١.

(٣) سورة البقرة: ١٩٠.

أي دليل، وينشر في صحف رسمية؟

ألا يعلم هؤلاء أن ما يكتبونه من تهم باطلة، تعتبر شهادات زور مقدمة لأعداء بلادنا، الذين يتهمون المملكة وتعليمها بالإرهاب؟! ويقولون: نحتج بما كتبته أيدي كتابكم، ونشرته صحفكم؟ ألم يعلموا أن أفراد داعش، وحركات العنف، هم مِن دول لم تدرس مقرراتنا، ومع ذلك لم يتهم مثقفوهم وكتابهم مقرراتهم الدراسية؟! فما بال قومنا تسلطوا بغير حق على مقررات بلادنا، وسلقوها بألسنة حداد؟ وأنا لا أعلم أحدا ممن تورط في أي عمل إرهابي، ذكر أن المقررات الدراسية هي أحد الأسباب؟

بل أقول: إن الكتاب والسنة اللذين يتم تدريسهما في مقرراتنا الشرعية، وقام عليهما نظام الحكم في بلادنا، هما أنجع علاج للإجرام والإرهاب، ولا يصح أن يقال: ليس في الرسائل العلمية الأكاديمية في جامعاتنا بحوث جادة في هذا المجال، أو أنها تتفق مع الفكر المتطرف، لأن هذه دعوى لا دليل عليها، بل الدليل قائم على خلافها، فالرسائل الجامعية المؤصلة في المستجدات الفكرية كثيرة وموجودة، لولا خشية الإطالة لسردتها.

فيا إخواننا: الظلم محرم، والتجني على بلادنا ومؤسساتنا ممنوع، فلا تمطروا بلادكم بوابل من التهم، وليكن في بالكم مآلات الأمور، فإن الأعداء يرصدون كل ما تكتبون مما يسيء إلى بلادنا، ويفرحون بمن يعطيهم الإدانة، وإن كانت كاذبة خاطئة كما هو الواقع.

فما أجمل الحلم والأناة، والنظر في عواقب الأمور، ومشاورة أهل الاختصاص، فإن الإنسان قد يقول القول جازما بصحته، بادي الرأي، لكنه إذا تأنى، ودرس الموضوع من جميع جوانبه، واستشار أهل الاختصاص، تبين أنه على خطأ، وحمد الله أن وفقه إلى الصواب، قبل أن تبلغ مقالته الآفاق، لاسيما إذا كان في موضوع له تبعاته وحساسيته.

ممِ يتبرؤون في الحج

يخفى على كثير من الناس مقصود نظام إيران الحقيقي، بـ(المشركين) في براءتهم التي ابتدعوها في موسم الحج، ويظنون أن مقصودهم بـ(المشركين)، مَنْ عَبَدَ غير الله من اليهود والنصارى ونحوهم.

والحقيقة التي تخفى على كثير من الناس: أن مقصودهم بـ(المشركين) -كما هو منصوص عليه في كتبهم صحابة رسول الله، عليه الصلاة والسلام، وبالذات الخلفاء الثلاثة، ولذلك ينزلون آيات الشرك عليهم، حسب تفسيراتهم الباطنية، ولم يكتفوا بذلك، وإنما يعلنون ذلك في أطهر بقعة، وأعظم مجمع للمسلمين، وهم بهذا يستفزون جميع المسلمين، الذين لا يرضون أن يسيء أحد إلى صحابة رسول الله، عليه الصلاة والسلام، في أي مكان، فكيف إذا كان في أعظم موسم يجمعهم، وفي عبادة عظيمة لا رفث فيها ولا فسوق ولا جدال؟.

وهذا المسلك المشين الذي يُشْغِب فيه نظام ملالي إيران في (موسم الحج) بدعة خاصة بهم، بعد إحداث الخميني ولاية الفقيه، لا ذكر لإعلانها في موسم الحج، في كتب المتقدمين منهم.

وهذا نص من كتبهم -وليس من كتب خصومهم- يؤكد مرادهم بالشرك والمشركين، يقول شيخهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار: (إن آيات الشرك ظاهرها في الأصنام، وباطنها في خلفاء الجور الذين أشركوا مع أئمة الحق ونصبوا مكانهم)،

يقول سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[١]، أريد في باطنها باللات الأول، وبالعزى الثاني، وبمناة الثالث، حيث سموهم بأمير المؤمنين وبخليفة رسول الله وبالصديق والفاروق وذي النورين)[٢].

فكتبهم -كما ترى أخي القارئ- تنص على أن الشرك عندهم: هو اعتقاد الإمامة لغير أئمتهم الذين يدَّعون فيهم العصمة، وأن المشرك هو من اعتقد ذلك، ولذا تبرؤوا من الخلفاء الثلاثة، ووصفوهم بالشرك، يقول شيخهم أبو الحسن الشريف: (إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية الإمامية)[٣]، وأما الشرك الذي ورد التحذير منه في القرآن الكريم، وهو عبادة غير الله، والطواف بالقبور والأضرحة، فلا يتبرؤون منه، لأنه من أصول دينهم، فهم الذين أحدثوا عبادة المشاهد، ووضعوا المؤلفات فيما سموه: مناسك المشاهد، وأشد ما يدعوهم لاستهداف المملكة العربية السعودية، أنهم لا يرون فيها مظاهر الشرك، وعبادة المشاهد والأضرحة.

فمحاولة إيهامهم لغيرهم أنهم يقصدون بالبراءة: المشركين من اليهود والنصارى ونحوهم، لا يصدقهم عليها عاقل، مع أنهم حتى لو قصدوا ذلك، لكان قصدا فاسدا. لعدم وجود المشركين في موسم الحج، ولأن ذلك لم يفعله رسول الله في حجته حجة الوداع، ولا من بعده من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

(١) سورة النجم: ١٩، ٢٠.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي ٤٨/ ٩٦.

(٣) مرآة الأنوار ص٢٠٢.

ولأن واقعهـم أنهم أولياء المشركين من اليهود والنصارى وأحباؤهم، ولذلك يرتمـون في أحضانهـم، وإذا لقوهـم قالـوا إنا معكم إنـما نحن متلونـون مخادعون للمسـلمين، فيتعاونون معهم على الإثم والعدوان، كما حصل في إسـقاط العراق، وغيرها من بلاد الإسـلام، وفتحوا لهم المعابد في طهران، بينما ضيقوا على المسلمين في بناء مسجد أو أداء عبادة، فحقيقة هذا النظام -وليس شعاراته- أنه مع كل أحد ضد الإسلام والمسلمين، كما كان أسلافهم من قبل.

قال عنهم شـيخ الإسـلام ابن تيمية: (فقـد رأينا ورأى المسـلمون أَنه إذا أُبتلي المسلمون بَعَدُو كافر كانوا معه على المسلمين)[1]. وقال أيضا: (وقد رآهم المسلمون بسـواحل الشـام وغيرها إذا اقتتل المسـلمون والنصـارى هَوَاهُم مـع النصارى، ينصرونهم بحسب الإمكان.. ويختارون إدالتهم على المسلمين، حتى إنهم لما انكسر عسـكر المسلمين سنة غازان، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلت الشام من جيش المسلمين، عاثوا في البلاد وسعوا في أنواع من الفساد من القتل وأخذ الأموال وحمل راية الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين)[2].

والنظام الدموي الإيراني يكرر اليوم ما فعله أسلافه، وينشر الميليشيات والفتن في بلاد المسلمين، أيقال بعد ذلك إنه يتبرأ من أعداء الإسلام في موسم الحج؟!

الواقع أن هذا النظام: هو عدو الإسلام، وهو يسعى إلى سحق كل شيء أمامه لتحقيـق مآربـه، ولذلك فإن جنايته لم تقتصر على أهل السـنة، وإنما شـملت كثيرا من الشـيعة، لا سـيما العـرب منهم، فهو يتسـبب عن طريق أدواتـه الذين يحرص

(١) منهاج السنة النبوية ٥/ ١٥٥.

(٢) المرجع السابق ٦/ ٣٧٤، ٣٧٥.

على أن يكونوا من جهلة أهل السـنة حدثاء الأسـنان، ليستخدمهم، ليس في تفجير مسـاجد السنة ومنشـآتهم فقط، بل في تفجير مساجد الشيعة وحسينياتهم بمن فيها كذلك، بهدف الفتنة، ليلجأ الشـيعة العرب لهذا النظام الصفوي، ويوهمونهم بأنهم المخلصـون لهم، ولكن عقلاء الشـيعة يعلمون خطر هذا النظـام على حياتهم، وأنه العقل المدبر للفتن، وسفك الدماء.

كـما أن كثـيرا من الشـباب الذين انضمـوا إلى داعش وغيرها مـن التنظيمات، رجعـوا عـن هـذا التنظيم بعدمـا اكتشـفوا أنهـم أدوات لهـذا النظام وغـيره من الجهات المعادية للإسـلام، والتي وظفت بعض العمـلاء العرب ممن يدّعي العلم، لاسـتقطاب الشباب، عن طريق الشـعارات البراقة، وسبك المصطلحات الجذابة، والصـور الخادعـة، والنقـولات المتشـابهة، لتكـون طُعْماً لهـم، في الإقبـال إليهم، لينفـذوا بهم مآربهم، ثـم يلقونهم في واد سـحيق من الضلال والـشر، ويصفونهم بأبشـع الأوصاف، مع أنهم بضاعتهم وصنيعتهـم، لكن هكذا يفعلون بمن انتهت صلاحيته، وأدى دوره.

ولا يخفـى عـلى مطلـع: أن النظـام الإيـراني هو الحاضـن في أراضيـه لجميع التنظيـمات الهالكة وزعمائها، بـدءا من ابن لادن والظواهري ومـن تبعهم، وإيران هي التي سلمت من جميع التفجيرات، فما تفسير ذلك؟!

ولاية المناصب الكفاءة أم الولاء

الكفاءة في نظري تتضمن الـولاء، ومن ليس مواليا ناصحا صادقا، فليس من أصحاب الكفاءة أصلا.

والكـفء: يبذل النصح والرأي السـديد، لرئيسـه ولعملـه، ولا يغش بالمدح الكاذب، فإن قُبِلَ رأيه ونُصحُه فذاك، وإلا فقد أدى ما عليه.

ومن الكفاءة حسنُ القيادة والإدارة، بأن يرفق بمن تحت ولايته، ويختار لهم ما يصلحهم، ويعدل بينهم، ويسوسهم بالحكمة، ولا يعطيهم ما يهوونه إن كان ذلك لا يحـل لهـم، ويرفق بهم إذا منعهـم، ويوجد البديل النافع لهـم، وإذا أراد أن يتخذ قرارا نافعا، وفيه مرارة عليهم، ويخشى أن ينفروا بسببه، فإن عليه: أن يختار الوقت المناسـب لإصداره، قال عمر بن عبدالعزيز: «إني أريد أن أخرج لهم المرة من الحق، فأخشـى أن ينفروا عنهـا، فأصبر حتى تجيء الحلوة من الدنيـا، فأدفعها معها، فإذا نفروا لهذه، سكنوا لهذه»[1].

وهذه القيادة المتزنة، والسياسـة الحكيمة، لا تتأتى إلا مع القوة والأمانة اللتين هما دليل الكفاءة، وإذا كان اجتماع القوة والأمانة في الناس قليلا، كما جاء في الحديث الصحيـح: «الناس كالإبل المئة لا تكاد تجد فيها راحلة»[2]؛ فحينئذ يلزم -كما يقول ابن تيمية- اختيار الأصلح في كل ولاية بحسـبها، فإذا تقدم رجلان أحدهما أعظم

---

(١) السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص١٠١.

(٢) صحيح البخاري (٦٤٩٨).

أمانة، والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع، وإن كان فيه فجور، على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا، لأن الفاجر القوي، قوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه، وضعفه على المسلمين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[1].

وإذا كانت الأمانة تقتضي تولية الأصلح، فإن من الخيانة العدول عن الأحق الأصلح إلى غيره، لأجل قرابة، أو صداقة، أو موافقة في بلد، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة، أو غير ذلك من الأسباب، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2].

والدين والعقل يقتضيان: الورع، وألا يتطلع الإنسان للولايات، فإن أتته من غير مسألة ولا استشراف، فإن الله يعينه عليها، وإن أتته عن مسألة وُكل إليها، والعاقل يعلم أن العافية والسلامة لا يعدلهما شيء. وهذه الولايات وإن كان يُقال عنها: نعمت المرضعة، إلا أنها: بئست الفاطمة.

فالرغبة في تولي الولايات، والسعي إليها، ربما يدل على عدم استشعار المسؤولية، وأن طالبها يراها غنيمة يأكل منها، وبها، وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي أن من علامات الساعة «اتخاذ الأمانة مغنما»[3]، أي: يتخذ

---

(١) رواه البخاري ٤/ ٣٤، ومسلم ١/ ٧٥.

(٢) سورة الأنفال: ٢٧.

(٣) سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، حديث رقم ٢٢١١.

الولايــة: غنيمــة يــأكل بســببها ما لا يحــل له، فيكــون ذلك ســببا لدخولــه النار. ولهذا جاء في الحديث أن رجلا غلَّ شَمْلَةً فيها راحلة»[1] في الغزو -والشملة: كِساء غليـظ يُلْتَحف بـه- فكانت عاقبته سـيئة، وأخبر النبي عليه الصلاة والسـلام أنها تشتعل عليه نارا.

وبعــض الناس يظنون أن أمــوال الدولة غنيمة، يأخــذون منها ما لا يحل لهم، مما هو ليس مجرد كســاء يلتحف به، وربما اســتدلوا بكثرة من يفعل ذلك، أو أن لهم حقا في بيــت المال، وهذا من جهلهم، لأن خطأ غيرهم ليس حجة لهم يوم القيامة، فكلٌّ مسؤول عن نفسه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾[2] وفي الحديث: «إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة»[3].

وهذا الرجل الذي أخذ الشملة، ودخل النار، لم يكن دعوى أن له حقا في بيت المال، منجيا له.

فالــذي يتخــذ الولاية غنيمــة، يأكل منها مــا لا يحل له، أو يســتغل نفوذه فيها لتحقيــق مطالبــه في أماكن أخــرى، على خطر عظيــم، كما أن الذيــن يسرقون المال بطريقــة منظمــة، ويحُرِّفون الأنظمة، ويَسُــنُون منهــا ما يوافــق أهواءهم، خطرهم أعظم، لأنهم يسيئون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، فيستمرون ولا يتوبون، لظنهم أن حِيَلَهــم تنفعهم، وفي الحديث: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتســتحلوا محارم

(١) صحيح البخاري (٦٧٠٧).

(٢) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٣) صحيح البخاري (٣١١٨).

الله بأدنى الحيل»[1]، فهؤلاء ظلموا أنفسهم، لأن كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به، وسيسألهم الله عن هذه الأموال من أين اكتسبوها؟، ولن تنجيهم حيلهم وفواتيرهم وأوراقهم الكاذبة، فالله يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

(١) أخرجه ابن بطة في كتاب الحيل ص٤٢، وحسَّنَ بإسناد ابن تيمية في الفتاوى ٢٩/ ٢٩، وابن كثير.

مؤتمر الشيشان حشفا وسوء كيلة

من مســالك المخالفين لأهل الســنة والجماعة منذ مئات السنين، أنهم يموهون الباطل بزخرف من القول، لتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسـانه، قال الله تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1].

ويخرجون المعنى الذي يريدون إبطاله في صورة مسـتهجنة تنفر عنها القلوب، وتنبو عنها الأسماع، ولهذا ذكر الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ من الهجرة: أن من علامة أهل البدع الوقيعة في أهل السنة، ووصفهم بالمجسمة والحشوية والناصبة.

وإذا كان هـذا هو دأب أهل البدع منذ مئات السـنين، فإن أتباعهم المجتمعين في مؤتمر الشيشـان، لم يأتوا بجديد، وإنما يسـيرون على طريقة أسـلافهم أهل البدع والأهواء، الذين يلمزون أهل السـنة، ويلمعون أنفسهم بزخرف القول؛ من أجل أن تصغى إليه أفئدة الجهال، فيقبلوا اقترافهم الكذب، وقلب الحقائق.

ومـن توفيق الله أنهم لم ينسـبوا منهجهم البدعي إلى هـدي النبي عليه الصلاة والسـلام، ولا إلى منهج صحابته ولا إلى التابعين، وقـد يكون الصحابة والتابعون -عندهم- ليسوا من أهل السنة والجماعة، ولذلك لم ينتسبوا إليهم!

وإنما انتسـبوا إلى الأشـعري، والماتريدي، وغيرهما، ومعلوم أن الأشـعري مر بثلاثة أطوار: طريقة المعتزلة، ثم طريقة الكلابية، وأخيرا رجع إلى مذهب السلف، كما في كتابه «الإبانة».

(١) سورة الأنعام: ١١٢.

والمنتسبون إلى الأشعري لم يأخذوا ما كان عليه الأشعري في طوره الأخير، وإنما أخذوا المنهج المخالف الذي رجع عنه، وتبرأ منه.

وكونهم يصفون أنفسهم بأهل السنة، نقول: ليست العبرة بالدعاوى، بأن ينسب المدعي نفسه إلى السنة والجماعة، ويجرد مخالفه منها -بدون دليل وبرهان- وإنما العبرة بعرض ذلك على كلام الله ورسوله، واعتماد ما دل عليه الكتاب والسنة.

وهذا ما لا يرغبه المجتمعون في مؤتمر الشيشان، لأن هذا يعريهم ويفضحهم؛ لأنهم ليسوا على شيء من الدليل، وإنما دليلهم عقولهم وتخيلاتهم، ومن مصادر التلقي عندهم: المنامات والذوق والوجد والكشف والإلهام، ولهذا أعرضوا عن الكتاب والسنة في تقرير الاعتقاد، واكتفوا بمدح أنفسهم، والقدح في غيرهم، وما علموا أن ما فعلوه ليس في صالح مناهجهم الباطلة، فإن من سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه؛ أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل، فيدمغه فإذا هو زاهق.

فالأشاعرة يخالفون أهل السنة والجماعة: في مصدر التلقي، وفي إثبات وجود الله، وفي التوحيد والإيمان، وفي القرآن والقدر، وفي السببية وأفعال المخلوقات، وفي الحكمة والنبوات، وفي التحسين والتقبيح، وفي التأويل والتكفير والصفات، فكيف يكونون هم أهل السنة، ويقصى عنها من لم يتجاوز القرآن والحديث؟

وأما الصوفية، فمخالفتهم عقيدة أهل السنة والجماعة، أظهر، فالعقيدة عندهم تثبت بالإلهام والكشف والمنامات، ويعتقدون الحلول، ووحدة الوجود، ويعتقد كثير منهم أن بعض الأولياء يتصرفون في الكون، وسلك بعضهم طريق تحضير الأرواح، واهتموا ببناء الأضرحة وقبور أوليائهم، وإنارتها والتمسح بها، ودينهم هو الرقص

والتمايل والغناء، بتكرير كلمة واحدة على أنه ذكر لله، بزعمهم، كقولهم: هو، هو.

ومجـرد تصور عقائدهم الباطلة كاف في إبطالها، ولهـذا كان من آثار انحرافهم انتشار الوثنية والشرك، المتمثل في بناء القباب على القبور، وصرف أوجه من العبادة لأصحابها المدفونين فيها، مثل الدعاء والاستغاثة والنذر والطواف وغيرها.

ولو سـكتوا وتركوا المؤتمرات؛ لكان أسـتر لبدعهم ومبتدعتهم، لكنهم جمعوا حشفا وسوء كيلة، سوء في المنهج، وطعن في أصحاب الدليل من الكتاب والسنة.

ونحـن لا ننتقدهـم، لأنهـم لم يدعوا أهل السـنة إلى مؤتمرهم، بـل لمخالفتهم الكتاب والسنة، وتجنيهم على أتباع الكتاب والسنة، وهذا التحزب من أهل الباطل، ليـس هو الأول ضد العقيدة الصحيحة، ولن يكون الأخير، لكن العاقبة للمتقين، والحـق ممتحن ومنصور، والله تكفـل بنصرة عباده المؤمنـين في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾[1].

فتهويـل بعض النـاس، وتخويفهم من هذه الأحـزاب، والرغبة في الركون إلى هؤلاء المبتدعة، جهل وضلال، فهذه الأحزاب لن تعدو قدرها، ونحن لا نخشـى منهم، ومن أحزابهم الضالة، وإنما ذلك يزيدنا إيمانا وتمسكا بالحق، فالله كافينا، وهو حسـبنا ونعـم الوكيـل، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَٰنَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[3].

(١) سورة غافر: ٥١.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) سورة الحجر: ٩٧.

لا شكر على واجب

كثير من الموظفين في سـائر مواقع العمل الخاص والحكومي، يواجهون أعمالا كثيرة، ومسـؤوليات جسيمة، ومراجعين ذوي مشـارب مختلفة، وعقول متفاوتة، وحاجات متنوعة، وربما يواجهون استفزازات ومنغصات، وعدم تقدير، سواء من بعـض مديريهـم أو مراجعيهم، مما يصيب بعضهم بضغوطـات كثيرة، قد تنعكس سـلبا على عملهم ونفسـياتهم، فهم كغيرهم من البشر، يتأثرون بما يُكدّر، وكونهم يقومون بعمل يتقاضون عليه راتبا، لا يعني أن يُقَابَلُوا بالفظاظة وسياسة التطفيش، ثـم بعد ذلك يُطالبهـم مديروهم ومراجعوهم، بانشراح الصـدر، وإنجاز العمل، وألا تضيق صدورهم بما يسمعون ويواجهون.

هذه مثاليات ربما لا يسـتطيع قائلوها تطبيقها على أنفسـهم، والواقع أن ضيق الصدر قد يصيب كل من أوذي بغير حق، سـواء كان موظفا أو غير موظف، لكنه يؤمر بالصبر والاحتسـاب، فهم ليسـوا خيرا من رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ومـع ذلـك فقد ضاق صـدره عليه الصلاة والسـلام بما يقال له مـن أذية، كما قال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[1]. وقـال تعـالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾[2].

والبعـض هداهم الله يظنون أن شُـكْرَ الموظف يقلل عطـاءه، وربما قالوا: لماذا

(١) سورة الحجر: ٩٧.

(٢) سورة الأنعام: ٣٣.

نشـكره؟ هو قام بواجبه! والقاعدة تقول: لا شـكر على واجب. ولا أدري من أين جاؤوا بهذه القاعدة الخاطئة؟ ومن الذي اخترعها؟

والصواب أنه: يُشْكَر من قام بالواجب، وكون الموظف أو مُقدِم الخدمة يقولها جوابا لمن يشـكره، من باب التواضع والاحتساب واللطف أمرٌ متفهم، لكن قولها للموظف فيه غلظة وفظاظة ومخالفة.

لماذا لا يُشكر؟ وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود وصححه الألباني (لا يشـكر الله، من لا يشـكر الناس) وأول من يستحق الشكر، هو من قام بالواجب، وها هي الدولة وفقها الله تكرم وتشكر الشهداء الذين قاموا بالواجب، وإن كانت هذه وظيفتهم وواجبهم. بل إن الله سبحانه وتعالى أوجب علينا طاعته، وإذا فعلنا الواجب شكرنا، كما في قوله تعالى ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[1].

ولما قام أيوب عليه السـلام، بواجب الصبر، شكره الله وأثنى عليه بقوله ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2]. فهـل يوجـد شـكر وثناء أحسـن من قول الله (نعم العبد).

قال ابن سعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]. قـال: دلت الآية بمفهومها عـلى أن من أحب أن يحمد ويثنى عليه بما فعله من الخير واتبـاع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسـمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من

(١) سورة الإنسان: ٢٢.

(٢) سورة ص: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٨.

الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له في الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1].

وفي هذا المقال أبعث بثلاث رسائل:

الأولى: لمديري أولئك الموظفين ورؤسائهم: أقول لهم لا يغب عن بالكم -وفقكم الله- أن من رفق بمن تحت يده رفق الله به، ومن شدد عليهم شدد الله عليه، وأن الكلمة الطيبة، والتشجيع المناسب، وتحمل ما يقع من أخطاء الموظفين غير المقصودة، والمشاركة بروح الفريق لإصلاحها، دون همز ولمز، وإشعاره أن من يعمل سيخطئ، وأنه إن أخطأ مرة فقد أصاب مئات المرات، هذا له أعظم الأثر في نفسية الموظف، وسينعكس إيجابا على أدائه، ولا تظن أيها المدير أنك بتعاونك وتواضعك وتحفيزك للموظفين تحت إدارتك، تنقص من مكانتك وشخصيتك، وأن الغلظة والفظاظة، ومنع الحوافز، ووضع الحواجز، ترفع مكانتك، ليس الأمر كما ظننت وتوهمت، بل الرفعة إنما تكون بالتواضع وتقدير الموظفين وتحفيزهم، وإيجاد بيئة جاذبة مُحفِّزة تجعل من تحت إدارتك يحبون العمل، ويتفانون في الإنجاز، وأما الفظاظة فهي سبب للنفرة، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، فكما ترى -أخي القارئ- النتيجة حتمية، الفظاظة سبب للنفور، حتى لو صدر ذلك من خير البشر.

الثانية: للمراجعين، أقول لهم: رحم الله من أعان إخوانه الموظفين على خدمته

(١) سورة الشعراء: ٨٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

بكل يسر وسهولة، إياك أيها المراجع إساءة الظن بالموظف، ولا تكلفه ما لا يطيق، له صلاحيات لا يستطيع تجاوزها، وقد يكون واجه ما كدر خاطره، وشوش فكره، فترفق به، وخاطبه بالكلمة اللينة، والأسلوب الحسن.

الثالثة: للموظف، احتسب الأجر، وبغض النظر عن الرواتب والحوافز، هناك أمر لا يغيب عن بالك، وهو أنك في عبادة، قد يكون هذا العمل سببا لدخولك الجنة.

أما علمت أن بغيا -أي: زانية- غفر الله لها، بسبب أنها أنهت معاناة كلب، كان يأكل الثرى من العطش، فسقته[١]. كما جاء في الصحيح.

لاحظ أن المخدوم كلب، والكلب نجس إذا ولغ في إناء أحدنا يغسله سبعا إحداهن بالتراب، ومع ذلك كانت (مغفرة الله) جزاء الإحسان إليه كما ترى.

فكيف بمساعدة البشر وخدمتهم؟ وكيف إذا كان هؤلاء البشر من أهل الإسلام؟ لا ريب أن ذلك أعظم أجرا، وأحسن عاقبة.

فضع نصب عينيك الاحتساب، فإنك لا تدري ما الحسنة التي تكون سببا في دخولك الجنة.

وإذا كان غيرك يعمل أقل من عملك، ويكافأ أكثر منك، فلا يَفُتّ ذلك في عضدك، فقد يكون جزاؤك الجنة، خير من الدنيا وما عليها، وما عند الله خير وأبقى.

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٧). وصحيح مسلم (٢٢٤٥).

رؤية شرعية في حب الوطن

حب الوطن أمر فطري، فالناس مجبولون على حب أوطانهم، ومرتع صباهم، وبلد آبائهم وأجدادهم، بل حتى الإبل تحن إلى أوطانها، والطيور إلى أوكارها.

ولهذا اشتاق النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى بلده مكة، مع أنها آنذاك بلد شرك، وقال: «إنك أحب البلاد إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»[1]، وفي صحيح البخاري أن النبي -عليه الصلاة والسلام- إذا قدم من سفر، وأقبل على المدينة، أسرع السير، من حبه لها.

قال ابن حجر في شرح الحديث: «فيه الدلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن، والحنين إليه »[2].

وقال ابن بطال المالكي -رحمه الله تعالى- في شرحه على صحيح البخاري: «قوله: من حبها، يعنى لأنها وطنه، وفيها أهله وولده الذين هم أحب الناس إليه، وقد جبل الله النفوس على حب الأوطان والحنين إليها، وفعل ذلك عليه السلام، وفيه أكرم الأسوة، وأمر أمته سرعة الرجوع إلى أهلهم عند انقضاء أسفارهم»، فالإنسان مجبول على محبة وطنه، والحنين إليه.

يقول ابن الرومي:

وحبَّب أوطانَ الرجالِ إليهمُ ... مآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذكروا أوطانهُم ذكَّرتهم ... عُهودَ الصبا فيها فحنّوا لذلكا.

(١) أخرجه الترمذي وصححه، ٥/ ٧٢٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر،٣/ ٦٢١.

وإذا كان هـذا الحنين لكل وطـن، فكيف إذا كان الوطن: هـو المملكة العربية السـعودية، مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، ومأرز الإيمان؟ وقادته: «آل سعود» هم أنصار شريعة رب العالمين، منذ ٣٠٠ سـنة إلى يومنا هذا، ونسأل الله أن يبقيهم عزا للإسلام والمسلمين، ما بقي الليل والنهار.

لا ريـب أن حبـه –حينئذ– مضاعـف، والحنين إليه كما يقول شـارح صحيح البخاري «مشروع»، والحفاظ على أمنه، والولاء لقيادته، واجب شرعي.

لقـد مرَ على الإنسـان في هذه البلاد –قبل حكم الملـك عبدالعزيز –رحمه الله– حـينٌ من الدهر لم يكن آمنـا، ولا يملك قوت يومه وليلته، لكـن الله تعالى إذا أراد شيئا هيَّأ أسـبابه، فقد هيأ لهذه البلاد الملك الصالح، عبدالعزيز –رحمه الله– وجزاه عـن البلاد والعبـاد خيرا، فقام بتوفيق من الله بما يشـبه المعجـزة، وهو توحيد هذه المملكة، وجمع أهلها على البر والتقوى، وهذا من توفيق الله له، ومن رحمة الله بنا.

عندما يرى الإنسـان هذه المملكة المترامية الأطراف، وكأنها قارة، لا يسـتطيع أن يقطعها إلا بتعب ومشقة ووعثاء، مع أنه يسير بسيارته، على طرق معبدة وآمنة، يتساءل: كيف قطعها هذا الملك الصالح على قدميه، أو على جمَله أو فرسه، مع ما في ذلك من المخاطرة؟ فعل ذلك –رحمه الله– لتتوحد البلاد، وننعم نحن بالأمن والاستقرار اللذيـن نتفيأ ظلالهـما الآن، ولله الحمد، ولا نملـك إلا أن ندعوا الله لـه ولرجاله.

فـما أحوجنـا إلى تذكير أنفسـنا وشـبابنا وطلابنا بنعمـة الله علينا بهـذا الأمن والإيمان، وترسـيخ مكانـة هذه القيادة الحكيمـة في النفوس، وتحصـين أبنائنا لئلا تهـد حصونهم من الداخل، ويتخطفهم الأعداء، فيكـون ولاؤهم مع الخارج ضد وطنهم وقيادتهم، فيخربون –حينئذ– بيوتهم بأيديهم.

فحريٌ بكل مواطن، أن يسهم في حفظ هذه النعمة التي وهبنا الله إياها، ولو بشطر كلمة، ولا يكون سببا في إحلال قومه دار البوار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾[(١)].

وأن يحذر: مسلك الإثارة، والتهييج والإرجاف، والاستعداء، والانتماءات الحزبية، والمزايدة على وطنية المواطنين، ومحبتهم لولاة الأمر، كما عليه أن يحذر: الرايات العمية، والاستهانة بالولاية، وملء القلوب حقدا على الولاة، فهذا كله داء يجب استئصاله، فالوطن والقيادة كخيمة الراعي تَسعُ الجميع، ويستظل بظلها جميع الرعية، مما يحتم على الجميع التعاون.

وأخيرا، ها هنا مسألة، أرى أن التنبيه إليها في غاية الأهمية: وهي أنه لا يصح الحديث عن محبة وطننا، بمعزل عن الحديث عن الولاء لقيادتنا ومحبتهم، لأن الوطن والقيادة أمران متلازمان، فمن الذي رفع شأن الوطن والمواطن، وبذل الغالي والنفيس في سبيل أمنه وتنميته وخدمة مواطنيه، وتشرف بخدمة ضيوف الرحمن من الحجاج والمعتمرين، ونصر الدعوة إلى الله؟ إنهم قادة هذا الوطن، آل سعود، فمحبتهم في الله دين وإيمان، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «آل سعود -جزاهم الله خيرا- نصروا هذه الدعوة، هؤلاء لهم اليد الطولى في نصر هذا الحق -جزاهم الله خيراً- ساعدوا، ونصروا، فالواجب محبتهم في الله، والدعاء لهم بالتوفيق، والعداء لهذه الدولة عداء للحق، عداء للتوحيد»، وصدق رحمه الله: العداء لهذه الدولة السعودية عداء للتوحيد.

(١) سورة إبراهيم: ٢٨، ٢٩.

حيزت لنا الدنيا بحذافيرها

لله الحكمــة البالغة، وإليه يُرجع الأمر كله، خلق كل شيء فقدره تقديرا، جعل لعبــاده عبودية في السراء واليسر، وعبودية في الضراء والعسر، وأثنى سـبحانه على مــن كمَّل مراتب العبوديــة، كما في قوله عن نبيه أيوب عليه الصلاة والســلام: (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب)، فهذا الثناء من الله لأنه قام بعبوديته في الضراء، كما قام بها في السراء. بخلاف من لم يُوَفَق: فإنه إن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته شدة نكص على عقبيه، وظهر خوره، وتسخطه.

قال الحسن البصري: «كانوا يتساوون في وقت النعم، فإذا نزل البلاء تباينوا». والإنســان ينظر إلى نعــم الله ولا يزدريها، وأهمها نعمة الإســلام، ثــم نعمة العافية والأمــن، ونعــم الله لا تحصى، فمن «أصبح معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه وليلته، فكأنما حِيْزَت له الدنيا بحذافيرها»، كما جاء ذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا نظرنــا إلى حالنا في هذه البلاد المملكة العربية الســعودية، وجدنا أن الدنيا حيــزت لنا بحذافيرها، فنحن -بحمد الله- آمنــون، والناس يُتَخطَفُون من حولنا، وعندنا ما هو أكثر من قوت اليوم والليلة. فنشكر الله الذي أطعمنا من جوع، وآمننا من خوف، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي.

إذا تقــرر ما ســبق: فإن ما أُعلن عنه مــن تعديلات في الرواتــب أو إلغاء في بعض البــدلات، نتقبله: بإيمان تام بما يقــدره الله تعالى، وبتفهمٍ لما يراه ولي الأمر وفق الظروف والمصالح. لأن الله تعالى جعل له الســمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشــط والمكره،

فالمسلم صاحب العقيدة الصحيحة، لا تقتصر بيعته وسمعه وطاعته، على اليسر وما تنشط له النفوس فقط، وإنما أيضا في العسر والمَكره، أي: ما تكرهه النفوس.

والإنسان قد يكره شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا، كما قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1]، وقد يكون من جملة الخير في هذه القرارات: الصبر واحتساب الأجر، وترشيد نفقات الأسر، وعدم البذخ والإسراف، ورخص السلع، وتحصيل أعلى المصالح، بارتكاب أخف الضررين، وقد تعود هذه الرواتب والبدلات بأكثر منها[2]، فالأمور كلها بيد الله، وسيجعل الله بعد عسر يسرا، وبالشكر تزداد النعم: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[3]. فالعبد الصالح: يشكر الله تعالى، ويعلم أن لله عبودية في المَكرَه كما له عبودية في المَنشط.

فلا يكون كمن إذا أُعطِي رضي، وإن لم يُعطَ سخط، فإن من كان هذا شأنه فقد دعا عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام بالتعاسة والانتكاس، فقال (« تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط »)[4].

فهذه المسائل لها علاقة بالبيعة والإمامة، فقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله[5].

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) وقد عادت بعد ستة أشهر ولله الحمد.

(٣) سورة إبراهيم: ٧.

(٤) صحيح البخاري (٢٨٨٧).

(٥) صحيح مسلم، (١٧٠٩).

وورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام، أن من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يُعطِه منها سخط.

صحيح أن النفوس جُبلت على حب المال، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]. ولا يُلام الإنسان على حبه للمال، وفرحه بزيادة دخله، لأن هذا ينعكس إيجابا في الغالب على حسن معيشته وتعليمه ورعاية أسرته، والإنفاق منه في سبيل الخير، مما يُقربه إلى الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: نِعْمَ المال الصالح، للرجل الصالح[3]. وأثنى على عثمان رضي الله عنه، لكونه أنفق ماله في تجهيز جيش العسرة، فقال عليه الصلاة والسلام: (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم)[4].

وقد جعل الله المال قِياما للناس، وفقده أو جزء منه هو من جملة المصائب، قرنها الله مع فقد الأهل فقال عليه الصلاة والسلام: (من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِر أهله وماله)[5] والموتور: هو المُصاب بمصيبة، جعلته متوترا وقلقا.

ولكن الصبر والاحتساب، والنظر فيمن نحن أحسن منه، أنفع لنا، وأجدر أن لا نزدري نعمة ربنا علينا.

---

(١) سورة الفجر : ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: ٩٢.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٧٦٣)، والبخاري في (الأدب المفرد) (٢٩٩)، وابن حبان (٣٢١٠).

(٤) سنن الترمذي، ٥/ ٦٢٦، حديث (٣٧٠١).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٠٢).

والمال إنما هو وسيلة، بينما طاعة الله ورسوله هي الغاية، فلا تُقدم الوسيلة على الغاية، ولا تكون بيعتنا وولاؤنا على المال، ومن أَجْلِه، إن أعطينا رضينا، وإن مُنعنا سخطنا، والعياذ بالله. فإن قال قائل: رُبما لو مسَّت هذه القرارات شيء مما تستلمه شهريا في عملك، لكان لك رأي آخر، غير الذي تقول آنفا؟

فالجواب: نسأل الله الثبات على الحق، فإن من لم يثبته الله فإنه هالك، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، ولا أزكي نفسي، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، ولا أتمنى البلاء، ولا أسعى له، وإنما أسأل الله العافية. وقد شملني قرار إلغاء بدل الجامعة الناشئة وهو ٤٠٪ من الراتب. ولكن بقي لنا ما فيه الخير إن شاء الله، ونسأل الله أن يُبارك فيه، ووطننا وقادتنا لو طلبوا منَّا كل ما نملك لقدمناه بطيب نفس، بل لو طلبوا أرواحنا -وهي أهم وأغلى من المال- للجهاد فداء للدين، ودفاعا عن وطننا، لقلنا سمعا وطاعة. فكيف ببدلات وأموال تذهب وتأتي، حسب الظروف والأحوال.

فما دام أننا على العقيدة الصحيحة، آمنين في بلادنا، مُعافين في أبداننا، عندنا قوت يومنا بل أكثر، فقد حِيزت لنا الدنيا بحذافيرها.

فما فائدة الأموال والثراء والممتلكات مع الخوف، لقد ذهبت بطرفة عين منشآت أقوام دفعوا عليها الملايين، عندما اختل أمنهم، كما في كثير من الدول التي أصابتها الحروب.

فنسأل الله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأن يجعل عاقبة أمرنا خيرا.

لماذا تستهدف المملكة

لا يخفـى على أحـد أن الضعيف، يُنظر إليه بشـفقة ورحمة، فلا يُسـتهدَف ولا يحُسَـد، وإنما يُسـتهدَف ويحُسَـد القوي ذو المكانة العالية، فكل ذي نعمة محسـود، ولما كانت المملكة العربية السـعودية قوية بدينها، ومكانتها، وأسبغ الله عليها وعلى أهلهـا نِعمه ظاهرة وباطنة، فقد اسـتهدفها المجرمون، أعـداء الأنبياء، وهذا دأبهم الـذي بينه الله لنـا بقولـه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[1]، فـكل نبي له عدو من المجرمين، ولأتبـاع الأنبياء كذلك عدو مـن المجرمين، فالمجرمون الذين عادوا الرسـول عليه الصلاة والسـلام، لم يعادوه لأنـه محمد بـن عبدالله، وإنـما عـادوه لدينـه، وإلا فقد كانـوا قبل ذلـك يُكرمونه ويصفونـه بـ(الأمين)، وهكذا المجرمون الذين يُعادون المملكة العربية السـعودية، لم يُعادوهـا إلا لتمسـكها بالدين الصحيح الـذي جاء به نبينا محمـد صلى الله عليه وسـلم، وسيستمرون على ذلك، ما دامت متمسـكة بدينها، وقد نبأنا العليم الخبير بهذا فقال:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[2]، وقـال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[3]، وورد في البخـاري: أنه مـا جاء أحد بمثل ما جاء به النبي صلى

(١) سورة الفرقان: ٣١.

(٢) سورة البقرة: ٢١٧.

(٣) سورة البقرة: ١٠٩.

الله عليه وسلم إلا عُودِي وأُوذِي[١]، هذه حقيقة لا تقبل الشك.

ومن جملة عدائهم لبلادنا السعودية المسلمة: استحواذهم على السفهاء من بعض أبناء المسلمين، عن طريق وكلائهم الذين يرفعون شعار الإسلام ونصرته، خداعا وطُعما وتمويها، ثم يمكنوهم من التهور والإساءة، ليتخذوا من تصرفاتهم الرعناء التي رسموها لهم، عُذرا للتسلط والإيذاء والبغي، لأن ابتغاء الفتن، وتقليب الأمور، هو سبيلهم وسبيل أسلافهم، كما قال تعالى ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾[٢]. ولكن العاقبة للمتقين، وهو سبحانه ناصر دينه وعباده المؤمنين، ودافع عنهم الشر وأهله، برهان ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[٣]، وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٤].

ومن توفيق الله لقادة هذه البلاد: أنه لا نظير لهم في هذا العصر من جهة نصرة العقيدة، وخدمة الإسلام، كما ذكر ذلك الراسخون في العلم، كالشيخين ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله، وكما هو واقع يشهد به كل منصف، فها هم يعلنون قولا وعملا نصرتهم لدين الله، كما فعل أسلافهم من قبل، مهما تحزب عليهم الأعداء والحاقدون، وإذا قيل لهم: إن الأعداء قد جمعوا لكم، زادهم إيمانا، وتمسكا بدينهم، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. ومما يشعر بالعزة، قول أمير مكة خالد الفيصل

---

(١) صحيح البخاري، ١/ ٧.

(٢) سورة التوبة : ٤٨.

(٣) سورة غافر :٥١.

(٤) سورة الحج: ٣٨.

وفقه الله في موسم الحج (لو تخلّى العالم كله عن الإسلام، ما تخلت المملكة).

هــذه كلمة عظيمة، من رضــوان الله أرجو أن يرفعه الله بهـا درجات في الجنة، كـما جاء ذلك في الحديث: (إِنَّ الرجل ليتكلّـم بالكلمة -مِنْ رضوان الله- ما يُلْقِي لهـا بـالاً، لا يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بهـا رضوانه إلى يوم يلقاه)[1]، قال الشـيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح قوله -لا يلقي لها بالا- (يعني: أنه لا يظن أنها تبلغ به ما بلغ، وإلا فهو قد درسها وعرفها وألقى لها البال، لكن لا يظن أن تبلغ ما بلغت يرفع الله له بها درجات في الجنة.

وهو بهذا على نهج الملك عبدالعزيز القائل: (كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، إني والله وبالله وتالله، أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة).

أيظن عاقل أن الله يخذل هذه الدولة السـعودية من أجل أنها نصرت التوحيد، واعتزت بالإسـلام، ويديل الباطـل وأهله على الحق وأهله إدالة مسـتقرة، يذهب معها الحق؟ من ظن ذلك فقد ظن بالله ظن الجاهلية، كما قال تعالى ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[2]، وقـال تعـالى﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[3]، وقد فُسرِّ هذا الظنُّ الذي لا يليقُ بالله، بأنه سـبحانه لا ينصرُ رسولَه وأهل الإيمان، فهذا ظن سوء، وتكذيب لوعد الله بنصر من ينصر دينه، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ

(١) أخرجه مالك في الموطأ، حديث (١٧٤٨).

(٢) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٣) سورة الفتح: ٦.

﴿ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾[1]، فمـن حقق الشرط، وهو نصرة دين الله، تحقق له المـشروط قطعا، وهو نصرة الله له، لأن خبر الله صدق، ووعده حق. ونصرة الدين إنما تكون وفق المنهج النبوي، وليس منهج الخوارج الثوري.

وفي قولـه ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾[2]، في خاتمة الآية، بعد ذكر عداوة المجرمـين، بشـارة عظيمة، فهو هاد لمـن أراد أن يضلـه أعداء الأنبياء بالتشـكيك والشبهات، ونصير لمن أراد أن يعتدي عليه أعداء الأنبياء، مهما كانت قوتهم، وشدة مكرهم. وقد نصر الله بلادنا في مواطن كثيرة، وسـينصرها وينجيها من كل كرب، فهي مأرز الإيمان، ومنبع الإسلام، وقادتها هم ناصرو التوحيد.

وحـري بـكل مواطـن: أن يدافـع عـن دينـه ووطنـه، ويفـوِّت الفرصة على المجرمين، الذين يثيرون الفتن، لاسـيما وقد تبـين لكل عاقل أن التنظيمات الحزبية، والرايات العمية، تديرها جهات معادية للإسـلام وأهله، شـعارها الجهاد ونصرة الإسـلام، وحقيقتها الكيد للإسـلام وأنصـاره، وهكذا فإن معارضـة الأحاديث النبوية، وتقديم الهوى والرأي على الشرع، واتباع سنن اليهود والنصارى، ودخول جحر الضب خلفهم، واتهام مناهج المملكة، شعارها إعمال العقل، وحقيقتها إلغاء العقل والنقل.

وأعداء الإسلام، يستغلون هؤلاء وهؤلاء، من أصحاب الشبهات، وأصحاب الشـهوات، ويضربون بعضهـم ببعض، وينفـذون من خلالهم، للكيد للإسـلام، واسـتهداف منبع الإسـلام، المملكة العربية السـعودية، لكنهم مخذولون إن شـاء

(١) سورة محمد: ٧.

(٢) سورة الفرقان: ٣١.

الله. والمأمـول ممـن زلت به القدم -وهم قلة- أن يعودوا إلى رشـدهم، ولا يكونوا عونـا للأعداء على أهلهم ومجتمعهم وقيادتهم، مهما قـدم لهم الأعداء من زخارف القول، ومهما شعروا بالظلم من الأقربين، سواء كان هذا الشعور حقيقيا أو متوهما. وليلزموا وصية النبي عليه الصلاة والسلام القائل (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)[١]، ولا يُنازعوا الأمر أهله، فربما علموا شيئا، وغابت عنهم أشياء.

(١) صحيح البخاري، حديث (٣٦٠٦).

أما إني لم أكن في صلاة ولكني لُدغت

يحرص الموفقون للخير على إخفاء أعمالهم الصالحة، أكثر من حرص المذنب على إخفاء ذنبه، فإذا تصدق أحدهم بصدقة حرص ألا (تعلم شماله، ما تنفق يمينه)[1]، لا يتطلع إلى شكر أحد ولا إلى جزائه، بل يخفي صدقته وأعماله الخيرية، فإذا وفقه الله إلى برّ والديه بعمل تميز به عن غيره، أو إلى إحسانه في معاملة الأُجَراء إحسانا لا يخطر بالبال، أو إلى امتناعه عن الحرام مع القدرة والرغبة خوفا من الله، أخفى ذلك، لأن ما فعله من بر وإحسان وعفَّة إنما هو لوجه الله، والله مطلع على ذلك، يعلم السر وأخفى، ويؤتي من لدنه أجرا عظيما، وأما الخلق فلا حاجة له من اطلاعهم، فهم عبيد فقراء إلى الله، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فضلا أن يملكوا ذلك لغيرهم.

وحديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة نصٌ في الموضوع، فإن كل واحد منهم لما حزبه الكرب، وضاقت به الحيل، توسل إلى الله بعمله الصالح الخالص قائلا (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْت ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا)[2].

فكلمة (ابتغاء وجهك) هذا هو الإخلاص، فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معه غيره، تركه وشركه.

وقد كان سلفنا الصالح مضرب المثل في الحرص على الإخلاص، بل يحرص أحدهم ألا يفهم أحدٌ عنه أنه فعل طاعةً، وهو في الحقيقة لم يفعلها، فعن حصين بن عبدالرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض

(١) صحيح البخاري، حديث (٦٦٠).

(٢) صحيح البخاري، حديث (٢٢١٥).

البارحة؟ فقلت: أنا. ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت... الحديث)[1].

فتلاحظ -أخي القارئ الكريم- أنه خشي أن يفهم أحد أنه قائم يصلي في الليل، لأن عادة السلف في ذلك الوقت قيام الليل للصلاة، فبادر إلى ذكر سبب عدم نومه، وأنه ليس الصلاة والتهجد، وإنما لكونه لُدِغ، لدغته عقرب، فتأذى من ألمها وسمها، فلم ينم.

واليوم -وإن كان الخير موجودا، والمخلصون موجودون بحمد الله- إلا أن كثيرا من الناس مع الأسف يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، وإن فعلوا عبادة نشروها وطيروها في الآفاق بالصوت والصورة والرسالة، والأمثلة كثيرة ومشاهدة مما تقذفه وسائل التواصل الاجتماعي، من الرياء الإلكتروني.

والإنسان يتساءل: إذا قال الناس إن فلانا قارئ، أو متصدق، أو جواد، أو نحو ذلك، ماذا يفيده قولهم؟

وتأمل أخي القارئ الكريم، هذا الحديث العظيم، في أول من تُسعّر بهم النار يوم القيامة، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استُشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما علمت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل: تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن، ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار،

---

(١) صحيح مسلم، حديث (٢٢٠).

ورجل: وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)[1].

ولهذا فإنه ما صَدَقَ الله عبدٌ عمل الطاعات ابتغاء الشهرة والترؤس، قال الله تعالى﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2]، وما استقام عبد لم يُرد بطاعته إلا الدنيا، قال الله تعالى﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

ولكن إذا فعل الإنسان الطاعة لله مخلصا له الدين، وأظهرها لمصلحة شرعية، يعلمها الله من قلبه، كإبداء الصدقات، ليحث غيره ويُشجعه على الصدقة، فنِعِماً ذلك، لقوله تعالى﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[4].

والإنسان إذا جاهد نفسه على الإخلاص، مع كثرة المغريات، وحظوظ النفس، فإنه مأجور لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[5].

(١) صحيح مسلم، حديث (١٩٠٥).

(٢) سورة القصص: ٨٣.

(٣) سورة هود: ١٥، ١٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٧١.

(٥) سورة العنكبوت: ٦٩.

ففي يوم القيامة تبلى السرائر، ويحُصل ما في الصدور، فما كان لله يبقى، وما كان لغيره يفنى.

وأخيرا: لو كان لا يتكلم في الإخلاص إلا من اتصف به، ما كتبت هذا المقال، لما أشعر به من تقصير وتجاوز، فنسأل الله العفو والمسامحة، وصلاح النية والعمل.

الحق يحتاج إلى قوة تحميه

يظن بعض الناس أن بيان الحق بالدليل والأرقام، كاف في انصياع الناس له، أو على الأقل عدم معارضتـه وتكذيبه، على اعتبار أن الحقائق عنيدة، وأن لغة الأرقام لا تكذب.

وهــذا ليس على إطلاقه، فإن طائفة من الناس، لا سـيما الملأ منهم، لا يذعنون للحــق، ولو جاءتهـم كل آية، لا لعدم معرفتهــم بالحق، فهم يعرفونـه كما يعرفون أبناءهم، وإنما بغي وظلم وعدوان.

ولهذا لما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ليقوم الناس بالقسط، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[1]، لم يقبلـه كثير مــن الناس، ولم يكتفــوا بذلك، وإنــما تمالؤوا ضده، ليطفئــوا نور الله بأفواههم، وأخذوا بالتضييق على الحــق وأهله، واختلقوا الأكاذيب والتهم، فكان لا بد من السـيف الناصر، مــع الكتاب الهادي، ولهذا كانت تكملـة الآية هي قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[2].

فمن تجنى على الحق وأهلــه، ولم يقوِّمه بيان الحق والنصح، فإن الحديد يقوِّمه، فالحق بدون قوة تحميه، كالطائر بجناح واحد.

ويعلم أهل العلم: أنه لم يمر على الأمة الإسـلامية منذ القرن السابع إلى اليوم، أعلم من شـيخ الإسـلام ابن تيميــة، رحمه الله، لكن لما لم يكــن هناك حاكم ينصره،

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة الحديد : ٢٥

فقد مات مسجونا، مضيقا عليه، مع ما كان يقوله من دليل قاطع، وبرهان ساطع، وحجة دامغة، وأسلوب حكيم.

ولولا أن الله منَّ على قادة هذه البلاد، بتكليف من يجمع مخطوطاته في بلاد العالم، ثم تحقيقها وطبعها، في ٣٧ مجلدا، لضاع كثير من كنوز هذا العالم الراسخ.

بينما نجد أن الإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، انتشر علمه، ودعوته للتوحيد، بتوفيق الله ثم بسبب نصرة الحاكم الإمام محمد بن سعود، رحمه الله، له، فاجتمع الكتاب الهادي، والسيف الناصر، فكان عاقبة ذلك، هذا الخير الذي نتفيؤه.

وهكذا الشأن في أمور الدنيا، فإن لغة الأرقام والحقائق مفيدة، لكن عند من يُقدرها ويعمل بمقتضاها، ممن يحب العدل، أما من كان من أهل الظلم والبغي، فإنه يكيل بمكاييل مختلفة، فيغض الطرف عمن يهواه من المجرمين، ويتحامل على من لا يهواه من المسالمين الصادقين.

هؤلاء الظلمة لا قيمة للحقيقة عندهم، ولا للأدلة والوثائق، إذا خالفت أهواءهم، لا سيما إذا ظنوا أن لا قوة تحمي تلك الحقيقة. والمتابع يلاحظ أن لغة الأرقام والحقائق تدين نظام إيران بالإرهاب، من خلال تفجيراته، ودمويته، واحتضانه قادة الإرهاب، هذه حقيقة يعرفها كل أحد، حتى عجائز نيسابور، ولكن مع هذا نرى بعض دول الغرب، تغض الطرف عنه، على قاعدة: «وعين الرضا عن كل عيب كليلة». يفعلون ذلك تعاونا على الإثم والعدوان، لاتفاقهما في كراهية دين الحق، الإسلام.

بينما يعلمون بالوثائق والأرقام أن المملكة العربية السعودية هي بلد الخير

والسلام، لا تؤذي أحدا أبدا، بل شمل خيرها وبرها القريب والبعيد، وهي أول من اكتوى بالإرهاب، وعملياته الإجرامية، في حين لم يقع في إيران تفجير واحد، وكيف يقع فيها، وهي التي تؤويهم وتقودهم وترسلهم إلى حيث شاءت؟ وبحمد الله فإن المملكة العربية السعودية تملك الأمرين، الحقائق الدالة على عدالتها وسلامة منهجها، وتملك القوة، وتستعملها إذا اضطرت إليها، مع أنها دولة سلام، وتجنح للسلم، ولا تتدخل بشأن أحد، ولا تسمح لأحد أن يتدخل بشأنها، لكن إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا، فما حيلةُ المضطر إلا ركوبها.

وقد أمرنا الله تعالى أن نعد القوة بكل معانيها، كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(1).

ونهانا أن نحسن الظن بالأعداء من الكفار والمنافقين، فقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾(3).

ومن القوة أن نكون كالبنيان المرصوص، لئلا ينفذ أي متربص من خلالنا، والعدو يفرح بلجوء البعض إلى قنوات، أو صحف، أو وسائل تواصل اجتماعية، ليتهم من خلالها دعوة التوحيد في بلادنا بأنها سبب التكفير والعنف، ونحو ذلك من التهم الظالمة التي لا تصمد أمام البحث العلمي المنصف، كما يفرح بمن يُشغِل الناس بجدل بيزنطي، ومعلوم أن البيزنطيين كانوا يتجادلون بشأن جنس الملائكة،

(1) سورة الأنفال: ٦٠.

(2) سورة آل عمران: ١١٩

(3) سورة النساء: ٨٩.

والعدو على أبواب بلدهم، فانشغلوا عنه بالجدل، فكان عاقبة أمرهم خسرا، كما أن مما يُفرح العدو الإرجاف والنظرة السوداوية المحبطة، وكثرة التسخط والتشكي والنقد لكل شيء، فهذا خطأ كبير، وإن كان ذلك تحت شعار الرغبة في الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنقد، فالعبرة بالحقائق لا بالشعارات، والنقد البناء، والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، له طرقه الشرعية، وليس منها إلقاء التهم جزافا، وتسويد المشهد.

الراسخون في العلم

في هــذا الزمــن الــذي تعج فيــه الفتــن، يكثر الصخــب والضجيــج، وتنتشر الشــبهات، ويظهر المتعالمــون -وإن كان الخير وأهله بحمــد الله موجودين- يظهر أولئـك المتعالمون، عبر كثير من الفضائيات ووســائل التواصــل الاجتماعي، فكلٌّ محلل ســياسي، واقتصادي، وإعلامي، وخبير بالحركات الإســلامية، ومُفْتٍ، حتى أُعجب كثير من هؤلاء بأنفسهم، وشوشوا على غيرهم، وقديما قيل:

وقال الطــــانِزونَ له فقيهٌ ... فصعَّدَ حاجبيهِ به وتاهــــا

وأطرَقَ للمسائل أي بأنيّ ولا ... يدري لعمــرُكَ ما طحاها.

في هــذا الواقع، تدعو الحاجة بل الضرورة إلى الراســخين في العلم، وليس كل عالم يعد من الراسخين.

فالراســخون في العلم هم: الثابتون على الحق، الذين لا تســتفزهم الشبهات، لــو وردت عــلى أحدهم -كما يقول ابــن القيم- من الشــبه عدد أمــواج البحر، ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكا، لأنه قد رسخ في العلم، بل إذا وردت عليه تلك الشبهات، ردها حرس العلم وجيشه، مغلولة مغلوبة.

يقول ابن القيم -رحمه الله- قال لي شيخ الإسلام، وقد جعلت أورد عليه إيرادا بعد إيراد: «لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها فلا ينضح إلا بهــا، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشــبهات بظاهرها ولا تســتقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها، صار مقرا للشبهات». قال: فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك.

ونتيجـة لهذا الرسـوخ واليقـين، صار ثباتهـم كثبات الجبال الـرواسي التي لا تحركها العواصف، مهما كانت شـدتها، في حين تهوي رياح الفتن في كثير من الناس في مكان سحيق، فيصدر منهم من الأقوال والأفعال ما يدل على استعجالهم وقلقهم وتناقضهم، والواقع شاهد، والأمثلة كثيرة.

أمـا الراسـخون في العلم: فلا يسـتخفنهم الذين لا يوقنون، ولهـذا فموقفهم واحـد، في السراء والـضراء، لا يتكلمون إلا بما يدينـون الله به من الحق، رضي من رضي، وسخط من سخط، يوقنون بأن رضا الناس غير مأمور به، ولا مقدور عليه، ورضا الله مأمور به، ومقدور عليه. لم يتلوثوا بالأهواء والحزبيات المقيتة، التي تُخرِج الإنسان من سعة الإسلام وشموله، إلى قوالب ضيقة، وجماعات متحزبة، يكرهون التناقض والتلون لعلمهم أن التلون من النفاق، وليس من الدين، وإن سمّاه غيرهم ذكاء وسياسة.

ففي صحيح البخاري، أن ناسـا قالوا لابن عمـر «رضي الله عنهما»: إنا ندخل على سـلاطيننا فنقول لهـم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا مـن عندهم؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم»[1].

لهذا نجـد ربانية الموقف، في أولئك العلماء الراسـخين، فحري بأهل العلم أن يحذوا حذوهم، وذلك باتباع صراط الله المسـتقيم، وترك السبل المضلة، لئلا تفرق بهم عن سـبيله، وليس لهم أن يسـتطيلوا الطريق، وينفذ صبرهم، ويقولوا: دعونا، وتكلمنا، فلم يسـتجب الناس لدعوتنا، فيسـلكوا مناهـج باطلة، طمعا في عرض الدنيا، أو اتباعا لما يطلبه المستمعون.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٢٠٦٧).

والموفق من أهل العلم: هو من يُعظم الحق، ويرحم الخلق، ولا يكون فظا ولا غليظا ولا مستكبرا، وإنما يكون ذا حلم وأناة، ويسره «ولا يغُره» كثرة المستفيدين منه إذا كان على الجادة، ويرد على المخطئين والخاطئين بعلم وعدل، لا يجامل أحدا في الحق، لكنه لا يستعدي على المخالفين، وإنما يدعو لهم بالتوفيق والهداية. كما هو دأب الراسخين في العلم قديما وحديثا، وأرجو أن من أولئك الراسخين في العلم ابن باز -رحمه الله- فقد سئل عن سبب محبة الناس له على رغم اختلافهم فيما بينهم؟

فأجاب بقوله: «لا أعلم شيئا إلا أني بحمد الله منذ عرفت الحق في شبابي وأنا أدعوا إليه، وأصبر على الأذى في ذلك، ولا أحابي أحدا، ولا أداهن في ذلك أحدا، أقول الحق وأصبر على الأذى، فإن قُبِل فالحمد لله، وإن لم يُقْبَل فالحمد لله. هذا هو الطريق الذي رسمته لنفسي مشافهة ومكاتبة، قَبِله من قَبِله، وردَّه من ردَّه، فلا أعلم سببا إلا هذا السبب، أني أقول الحق بحمد الله، حسب طاقتي، وأنشره قولا وعملا، ولا أعتب ولا أوذي إذا قدرت، بل أدعو له بالتوفيق والهداية، هذا هو طريقي مع الملوك ومع غير الملوك».

فنسأل الله أن يهدينا سواء السبيل، ويرزقنا طريقة الراسخين في العلم.

ما كل ما يعلم يُقال

ورد في الحديث الصحيح عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قوله: (كفى بالمرء كذبا أن يحُدِث بكل ما سمع)[1]، وإنما كان إثما لأنه ليس كل ما يُسمع صحيحا، وحتى لو صح سنده، فربما لا يصح نشره، ولو صح نشره لشخص أو أشخاص معينين، فقد لا يصح أن يعمم نشره للجميع، لا سيما إن كان العلم به لا ينفعهم، والجهل به لا يضرهم، فما بالك إن كان العلم به يضرهم ولا ينفعهم؟ فالعاقل قبل أن يتحدث أو يكتب ينظر في عاقبة ذلك، هل هو مصلحة، فيُقدِم، أم لا، فيُحجِم؟ ولذلك كان سكوت من سكت من العقلاء، ليس عن جهل ولا عجز، ولكن سكتوا عن علم، وفقهٍ للمآلات.

وأولي النهى من أهل العلم، وحملة الأقلام، وأهل الرأي والفكر: هم الذي يقدرون الوقت المناسب للكلام، أو السكوت عنه، وليس لأحد من متابعيهم أو طلابهم أو محبيهم أو مخالفيهم، أن يفرض عليهم توقيت ذلك، وأما الرأي الحكيم الناصح، الموافق للصواب، فهو مقبول، وإن كان قائله أدنى علما ومكانة ومنزلة من المنصوح.

يدل على ذلك أنه لما تحدث بعض الناس في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو في موسم الحج، بأمور خاصة، لا سيما ما يتعلق بالبيعة، همَّ رضي الله عنه أن يتحدث في ذلك، فأشار عليه عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه- برأي مبارك، استحسنه عمر -رضي الله عنه- وأخذ به، قال ابن عوف، رضي الله عنه: (يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين

---

(١) صحيح مسلم، ١/ ١٠.

يغلبـون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشـى أن تقـوم فتقول مقالة يطيرّها عنـك كل مُطيّـر، وأن لا يَعوها وأن لا يضعوها عـلى مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكّنـا، فيَعِي أهل العلـم مقالتك ويضعونها على مواضعهـا، فقال عمر: والله إن شـاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينـة)، ففعل ذلك رضي الله عنه لما قدم المدينة[1].

فالنـاس تختلف أفهامهـم وعقولهم، وما أنـت بمحدث قومـا حديثا لا تبلغه عقولهـم إلا كان لبعضهـم فتنـة، ولهذا جـاء في صحيح البخاري قولـه: باب: من تـرك بعض الاختيـار مخافة أن يقـصر فهم بعض النـاس عنه فيقعوا في أشـد منه. وقولـه كذلك، باب: من خص بالعلم قوما دون قـوم كراهية أن لا يفهموا. وذكر الأحاديـث النبويـة في ذلك بأسـانيدها. وبعض الـكلام -وإن كان حقا- لا ينبني عـلى معرفتـه حكم شرعي، ولا مصلحة للناس فيه، وقد يحـدث شرا لقائله، وفتنة لسـامعه، فما الفائدة من نـشره حينئذٍ؟ وقد جاء في صحيح البخـاري أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قال: (حفظت من رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وعاءين: فأما أحدهما فبثثتُه، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)[2].

فالوعاء الذي رأى رضي الله عنه ألا يبثه، هو ما لا ينفع الناس نشره، من بعض أخبـار الفتن والأسـماء التي يضر نشرها ولا ينفع، ولـو كان يتعلق بذكره شيء من الأحكام الشرعية، أو نفع الناس، ما وسعه كتمه.

(١) صحيح البخاري، حديث (٦٨٣٠).

(٢) صحيح البخاري، حديث (١٢٠).

فحري بكل مسؤول وصاحب رأي وفكر وعلم: أن يراعي فقه المآلات، وعواقب الكلام، وإن كانت فتوى في النوازل والمستجدات فلا يلزم أن تكون مستعجلة أو على الهواء، لا سيما في هذه الأوقات التي تبلغ الفتوى فيها الآفاق، وأحوال المستفتين وظروفهم وواقعهم يختلف، وربما لو عُرض مثل تلك المسائل على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لجمع لها أهل بدر.

والمتابع لما يعرض في بعض وسائل الإعلام والتواصل يلحظ مع الأسف جرأة عجيبة في إطلاق كلام لا خطام له ولا زمام، وليس عليه أثارة من علم، وبعض الكلام يزعج الناس الذين ليس لهم من الأمر شيء، وليس في أيديهم شيء، فيستفزهم ويشحن قلوبهم، ويحزنهم، ويضيق صدورهم.

وكان المتعين على المتكلم أن يتوخى: الكلمة الطيبة، والفأل الحسن، والبشارة بفضل الله، اقتداء بنبينا، عليه الصلاة والسلام: فقد كان يعجبه الفأل، ومع أنه عليه الصلاة والسلام لا يجد من التمر الرديء ما يملأ بطنه، فقد قال للأنصار، رضي الله عنهم، لما جاؤوه يرجون عطاءه، قال لهم بعدما تبسَّم في وجوههم: (قال: «فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»)[1].

فما أحوج الناس للكلمة الطيبة، والفأل الحسن، والسكينة والطمأنينة. وبحمد الله فهناك من أهل العلم من يحرص على الكلمة الطيبة، وينتقي كلامه، كما ينتقي أطايب الثمر، وهناك من الكُتّاب في وسائل التواصل والصحف ونحوهما، من

(١) صحيح البخار، ٥/ ٨٤، حديث (٤٠١٥).

يكتبون عن علم، وجدارة، وبُعْد نظر، ليسوا حريصين على إذاعة كل ما سمعوه، لا سيما ما يتعلق بالأمن أو الخوف، أو ما يُصادم الثوابت الشرعية والوطنية.

وقد قال ابن سعدي، رحمه الله: في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[1]، دليل على أن الأمور المهمة، سواء كانت شرعية أو سياسية أو أمنية أو غيرها، مما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم، أن على أهل الإيمان أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يفقهون المصالح وضدها.

وفي هذا قاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام. وإذا كان ليس كل ما يُعلم يُقال، فكيف بمن يقول وينشر ما لم يحُط به خُبرًا؟ ولم ير المشهد بتمامه، والموضوع من جميع زواياه، فقد يكون في الزوايا خبايا، لو علمها لكان له رأي آخر.

(١) سورة النساء: ٨٣.

لمَ تلبسون الحق بالباطل

الحق بيِّن، والباطل بيِّن، فلا يستطيع أحد أن يُشوِّش على الحق، أو يحُسِّن الباطل، إلا باللجوء إلى تلبيس إبليس، فيعمد إلى الحق ويخلطه بالباطل، ويعمد إلى الباطل ويستدل له بما لا يصح أن يكون دليلا، ومعلوم أن الدليل الصحيح لا يمكن أن يدل على معنى باطل، لكن آفة القوم من سوء الفهم، أو سوء القصد، أحدهما أو كلاهما. وهذا المسلك وإن كان هو طريقة اليهود، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2]، فهو كذلك سبيل من اتَّبَعَهم من هذه الأمة، الذين يسيرون على سَنَنهم -كما أخبر النبي، عليه الصلاة والسلام- شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلوه تبعا لهم.

ومن صور التلبيس: دعوى (داعش) أنهم يستدلون على قطع الرؤوس، وإدارة التوحش، بحديث (جئتكم بالذبح)[3]، وهم يهدفون من ذلك ترويج باطلهم من جهة، وتنفير الناس من الإسلام من جهة أخرى. والتلبيس الآخر نُشر في إحدى صحف بلادنا، لكاتب يدعي أن إجرام داعش له تشريع صحيح في منهج السلف الصالح، مستشهدا بقصة قتل الجعد بن درهم. وكان لي مندوحة في الإعراض عن ذلك التلبيس، الذي لا قيمة له في ميزان البحث العلمي المنصف، لكون الحق الذي في الكتاب والسنة والفطرة السليمة يدمغ هذا الباطل ويُزهقه. لكن خشية من أن

---

(١) سورة آل عمران: ٧١.

(٢) سورة البقرة : ٤٢.

(٣) رواه احمد في المسند،٦٠٩/ ١١، وحسنه احمد شاكر.

ينخدع به قُصَّار النظر، ومن هو بعيد عن التخصص الشرعي، فإني أقول باختصار:

أما التلبيس الأول: فجوابه أن يقال، كيف تُختزل السيرة النبوية المطهرة، التي ملأت الأرض عدلا ورحمة وسلاما، كما في قوله تعالى﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1]، وجاءت الأحاديث الكثيرة المتواترة التي تدل على أن رسولنا، عليه الصلاة والسلام، يعفو عمن ظلمه، ويدفع بالتي هي أحسن، وأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكان يُعرض عن أذى من آذاه، متوكلا على الله، استجابة لأمر الله: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا لَهُمْ لَهُمْ ﴾[2]، وكان يقول للناس: (قولوا لا إله الله تفلحوا)[3]، كل هذا وغيره من الخُلُق العظيم الذي اتصف به نبينا، عليه الصلاة والسلام، تم كتمه، واختزلت سيرته بحديث واحد لم يقله نبينا، عليه الصلاة والسلام، إلا مرة واحدة، خلال ٢٣ سنة -على فرض صحته- وله سياق معين، وقاله لطائفة معينة، آذوه، ولم يقله لعموم المخالفين، فضلا عن عموم الناس، قال لهم هذه الكلمة التي تعني المواجهة، وأنه سينتقم منهم، ليدفعهم عن نفسه، لا سيما وكان بمكة مستضعفا، ولم يؤمر بالجهاد، ولما قوي وشرُع الجهاد، لم يقطع الرؤوس، ولم يُعلق المشانق، وإنما عفا عنهم وعملُ النبي عليه الصلاة والسلام، يُبَيِّنُ المراد من قوله، وهكذا فهم الصحابة رضي الله عنهم، لكن الدواعش لا علاقة لهم بفهم النبي عليه الصلاة والسلام، ولا فهم صحابته، وإنما هم مُكلفون من أعداء الإسلام بإرهاب

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٨.

(٣) رواه أحمد في المسند، حديث (٦٤٣).

المسلمين، فهم أصحاب مشروع سياسي عدواني، وإقحامهم -من قِبَلِ صانعيهم- بالاستدلال الشرعي هو لذر الرماد في العيون، ليكون طُعما للمتحمسين بجهل، ومبررا لطعن المناوئين للإسلام ومنهج السلف، وإلا فالشريعة في واد، وداعش في واد آخر، ليس هناك أي رابط بين الشريعة وداعش، ولذلك فهم يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعُون أهل الأوثان، كما هو منهج الخوارج، فأين ذلك من سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ وبهذا يتضح أنه لا دليل في ذلك للدواعش ومن صَنَعَهم من أعداء الإسلام، الذين لا يبحثون إلا ما يناسب دمويتهم، وأنفسهم الشريرة، ولو بِليِّ أعناق النصوص، واجتزائها، وإخراجها من سياقها، وكتم الحق الذي يزهق باطلهم؟

فهل سمع أحد عن (داعش) المتوحشة، أنها ذكرت أن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- يعفو عمن أراد قتله، أو أن خُلُقَه القرآن، هذا لا يوجد في خطاباتهم أبدا، لأن ذلك يهدم منهجهم من أساسه، ولذلك هم يعتقدون ثم يستدلون، وليس العكس، يعتقدون العنف، ويبحثون عن أي دليل يحرفونه ليخدعوا به من يُحسن الظن بهم، مع أن أي دليل صحيح يستدلون به فإنه عند التأمل دليل عليهم.

وأما التلبيس الثاني: فجوابه أن قصة الجعد بن درهم مع خالد القسري، مشهورة في كتب أهل العلم، وهي مختلف في صحة سندها، لكن معناها صحيح، لأن الجعد زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يُكلم موسى تكليما، وهذا تكذيب لكلام الله تعالى، وطعن في الدين، ومفارقة للجماعة، وقد أفتى علماء التابعين وليّ أمر المسلمين في العراق بالحكم الشرعي، فنفّذه وليّ الأمر، فما الإشكال في ذلك؟

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن

لا إله إلا الله، وأني رسـول الله، إلا بإحدى ثـلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتـارك لدينه المفـارق للجماعـة)[1] رواه البخاري ومسـلم. والأحاديث في هذا المعنـى كثيرة معلومة، والذي ينفذ الأحكام الشرعيـة هو ولي الأمر صاحب البيعة الشرعية.

ولو أن شـخصا آخـر في زماننا فعل ما فعل الجعد بن درهـم، ورُفع أمره لولي الأمـر، لنفـذ فيه ولي الأمر الحكم الشرعي، فما علاقة ذلـك بما يفعله قطاع الطرق، وفرق الموت، وميليشـيات أعداء الإسـلام؟ وكيف يقاس تنفيذ الأحكام الشرعية مـن قبل ولي الأمـر صاحب البيعـة الشرعية، بمن يجعـل تنفيذها لقطـاع الطرق، وللأحـزاب ذات البيعـة الجاهلية الباطلة؟ هـذا على فرض أنهم ينفـذون أحكاما شرعية، والواقع أنهم ينفذون أحكاما شـيطانية، لأنهم ينفذون ذلك على المسلمين، ولا علاقة لهم بالأحكام الشرعية.

ولذلـك فهذا التلبيس لا ينطلي على أهل الحق، فهـم يعرفون أن (داعش) نبتة لأعداء الإسـلام، لا علاقة لمنهج السـلف الصالح بها، وانظروا من يدعمها، ومن يحاربها.

وصاحـب هذا التلبيس -هداه الله- لم ير في منهج السـلف إلا قصة الجعد بن درهم، اختزل منهج السلف الصالح بهذه القصة، كما فعل الدواعش الذين اختزلوا أحاديث النبي -عليه الصلاة والسلام- وسيرته بحديث (جئتكم بالذبح)، مع أنه لا دليل له في هذه القصة كما تقدم، كما لا دليل لداعش في استدلالهم الخاطئ بالحديث. ولم يـر -صاحـب التلبيس أيضا- فيمن شَـنَق حاكم العراق، ومن نَصَب المشـانق

(١) صحيح البخاري، ٩/ ٥، الحديث (٦٨٧٨).

لأهل السـنة في إيران، أي علاقة بداعش!! فما تفسير ذلك؟! وإذا كان الكاتب قال عن نفسـه إنه ليس سـلفيا، فهذا ليس مبررا له في الطعن في منهج السلف الصالح.

لا أدري ما مشكلة (بعض) الكتاب -هداهم الله- مع المنهج الشرعي، يُلصقون به وبالعلماء كل تجاوز، ويصفونه -على سـبيل التنقص- بالخطاب الوعظي، وكأن الوعـظ عيـب، وما علموا أن القرآن موعظة، والنبي -صلى الله عليه وسـلم- كان يتخول أصحابه بالموعظة، وقال العرباض بن سـارية: (وعظنا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم موعظة وجلـت منها القلـوب..)، فالواعظ هنا هو رسـول الله عليه الصلاة والسلام، فلماذا التنقص من الوعظ والوعاظ، ما دام أنهم يعظون بالكتاب والسـنة؟ بل إن الله يعظ عباده، كما قال تعالى﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1] فما مشكلتهم مع الوعظ؟

ولماذا الانبهار بالكلام الفلسـفي والكلمات المعقدة التي لا تشـفي عليلا، ولا تروي غليلا، أوَكلما كانت العبارة أشـد تعقيدا كانوا أشـد احتفاء بها!! أيظنون أن ذلـك يعد تميـزا، وأنهم النُخَب، ومن عداهم جمهور سـاذج؟ هذا مـن الكِبر الذي مـا هـم ببالغيه، فنعوذ بالله من همز الشـيطان ونفخه. إنهم ليسـوا أبلغ من رسـول الله وصحابتـه الذين ما حُفظ عنهم إلا ما يفهمـه الكبار والصغار، والعلماء ورعاء الشـاة، ولهذا فقد أعلن جمع من أسـاطين المتفلسـفة ندمهم على الخوض فيها، قال ابن العربي عن شـيخه أبي حامد الغزالي: شـيخنا أبو حامد ابتلع الفلسـفة فأراد أن يتقيأها فما استطاع. وقال الرازي: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فـما رأيتها تشـفي عليـلا، ولا تروي غليلا، ورأيـت أقرب الطـرق طريقة القرآن،

(١) سورة النور:١٧.

ومن جـرَّب مثل تجربتي، عرف مثـل معرفتي. وقال الجوينـي: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسـلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركنـي ربي برحمته فالويـل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت عَلىَ عقيدة أمي، أو قَالَ: عَلىَ عقيدة عجائز نيسابور.

خبر واقتراح

أمـا الخبر: فنشرته صحيفة «الوطن» السـعودية يـوم الإثنين ١٤/ ٢/ ١٤٣٨، بعنـوان (إرهابيـون من ٥١ دولة اسـتهدفوا أمن البلد)، وذلك نقـلا عن ما صدر من المحكمة الجزائية التي قامت بمحاكمتهم، وفق ما صرح به المتحدث الرسـمي لوزارة العدل.

هـذا الخبر ليس خبرا عاديا، وإنما هو خبر مُحْزِن ومُؤلم، يقض مضجع كل محب لدينـه ووطنـه، ويُكدر خاطـر كل رجل شريف يرى شـذاذ الآفاق مـن كل دولة يتحزبـون ضـد وطنه وأهله، لكنه خـبر مهم، يضع الإصبع على الجـرح، ويُبينِّ أن أمننـا بأيدٍ أمينة، تبطل كيد الأعداء مهما كانوا، فالشـكر لصحيفة «الوطن» ورئيس تحريرهـا على نـشره، وأما الاقـتراح: فهو نقل هذا الخـبر ليكون مـادة حوارية مع طـلاب الجامعات، بل والثانويات، لأن إشراك الشـباب في أمر يتعلق باسـتهداف أمـن وطنهم، وإطلاعهم على مجريات الأحداث التـي تُخطط ضد بلادهم، في غاية الأهميـة في نظـري، لأن إحاطتهم بما يحُـاك ضد وطنهم تجعلهـم يتفانون في الدفاع عـن وطنهم، ويصـبرون على ذلك مهما أصابهـم من الجهـد، ولا أتصور أن يصبر الإنسـان على ما لم يحُط به خُبرْا، مما يدبـره الأعداء ويتواصون به، ولهذا قال الخضر لموسى -عليه الصلاة والسلام- كما في سورة الكهف: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾[1]، فلنحط شـبابنا خُبراً بما يخطط لبلادهـم، ولنتحاور معهم، ولنقل ها هم الأحزاب من الإرهابيين تحزبوا ضد أمن وطنكم من ٥١ دولة، فماذا أنتم فاعلون؟

(١) سورة الكهف: ٦٨.

وكيف تبطلون مكرهم وكيدهم؟

فالشـباب لديهم القوة والنشـاط، والعزيمـة والهمة، والغـيرة والرجولة، مع مـا لديهم من تمكـن علمي في علوم العصر والتقنية، وما لديهم من سـعة في الأفق، واسـتعداد لتحمل المسـؤولية، متى ما أُعطـوا الثقة، ووظفـت طاقاتهم التوظيف الأمثـل لخدمة دينهـم ووطنهم، بينما إذا تـم تجاهل الشـباب، ولم يكن لهم أهداف سامية تنفع وطنهم، فإنهم سيكونون أهدافا لأعداء الوطن.

أقـول ذلك: لمـا أراه في الملتقيات والمؤتمـرات التي دُعيت لها، مـن عدم دعوة للشـباب، وتجاهل لهـم، مع أن تلـك الملتقيـات والمؤتمرات معنية بترسـيخ الأمن ومكافحـة التطـرف. فكنت أقول في كل لقاء ومؤتمر أُدعى إليه أين الشـباب؟ لماذا نتحـدث نيابـة عنهم؟ نحن في وادٍ وهم في واد آخر، لنسـتمع منهـم مباشرة، فربما لديهم من الأفكار والحلول الإبداعية ما يتجاوزوننا فيها بمراحل.

سـابقا يُقـال: لا بد أن ننزل إلى أفكار الشـباب، بينما الآن ربـما نقول: لا بد أن ينـزل الشـباب إلينـا بأفكارهم، ولهـذا إذا تعسر أمـر التقنية عـلى الأب لجأ لأبنائه لإيجاد الحل، وليس العكس، أن الشـباب بحاجة ماسة أيضا للكبار، لأخذ الخبرة، فالشـباب لديهم قوة ونشاط، والكبار عندهم خبرة وأناة، وما أحسن أن ندمج قوة الشباب بحكمة الشيوخ.

فما الذي يمنع من دعوة الشباب والاستماع إليهم، لا سيما في مؤتمرات مكافحة الإرهاب؟

ولماذا لا تقام في الجامعات ملتقيات أو مؤتمرات للشباب لهذا الهدف؟

والمأمول من وزارة التعليم توُجه بذلك.

فإن قال قائل ما الهدف من وضع هذا الخبر في متناول الطلاب؟

فالجواب: لأن وضع هذا الخبر المهم الذي نشرته صحيفة «الوطن» في مادة حوارية للطلاب في الجامعات، تحت إشراف أساتذة مُتمكنين، يثير عندهم تساؤلات منها:

١. إرهابيون من ٥١ دولة يستهدفون أمن بلادنا، لماذا بلادنا بالذات؟
٢. إرهابيون من ٥١ دولة يستهدفون أمن بلادنا، من الذي جمَّعهم من دول شتى، ضد وطننا، وماذا يريد؟
٣. إرهابيون من ٥١ دولة يستهدفون أمن بلادنا، ما الرابط بينهم، وما الشعار الذي يجمعهم؟
٤. إرهابيون من ٥١ دولة يستهدفون أمن بلادنا، ما وسائلهم، وما أدواتهم لتحقيق مآربهم؟
٥. إرهابيون من ٥١ دولة يستهدفون أمن بلادنا، لماذا سلم منهم اليهود والنصارى ونظام الملالي وميليشياته الدموية، بينما تحزبوا ضد وطننا؟
٦. إرهابيون من ٥١ دولة يستهدفون أمن بلادنا، فماذا قدمنا من جُهد لإبطال مكرهم وكيدهم؟
٧. إرهابيون من ٥١ دولة ضد أمن بلادنا، فما الرؤى والمقترحات التي تجعل تحزبهم في تباب، وتجعلهم يتحطمون على صخرة وحدتنا واجتماعنا مع قيادتنا ورجال أمننا.

حرب المصطلحات

كثير من المختلفين جُهال في حقائق ما يختلفون فيه، وربما لو حرروا محل النزاع، وفهموا حقيقة ما يختلفون فيه لسقط الخلاف، كما أن كثيرا من الناس أيضا يرغب أن تبقى المصطلحات حمالة أوجه، ويتعمد غموضها وعدم تحديدها، لأجل أن يستخدمها حسب مكاييله المختلفة، ومن ذلك استخدام أعداء الإسلام لمصطلح الإرهاب، فالفلسطيني الذي يدافع عن نفسه بالحجارة يُعدونه إرهابيا، واليهودي الذي يقتل شعبا كاملا، ويطرده من بلده ليس إرهابيا، فما هو الإرهاب الذي يعنيه أصحاب الغموض في المصطلحات؟

ولو كان الخلاف في المصطلح لفظيا لقلنا لا مُشاحة في الاصطلاح، لكنه في المعنى، يُشوهون به الحق، ويُزخرفون به الباطل.

وحتى أهل العقائد المخالفة، وأهل الشبهات والشهوات، يتعمدون الغموض في المصطلحات، ليفسروها حسب أهوائهم، فكان لا بد من عدم قبول المصطلح على عُجَرِه وبُجَرِه، وإنما يستفصل، فإن أُريد به معنى حقا قُبل الحق، وإن أُريد به معنى باطلا رُدَ، ومن أمثلة ذلك ما يكثر إيراده في كتب العقائد المُخالفة من لفظ (الجهة) فيقولون إذا أثبتنا صفة العلو، فقد أثبتنا الجهة، وهذا المصطلح (أي: الجهة) من عندهم لم يقله الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ولذلك نقول: ماذا تقصدون بالجهة؟ إن أردتم بالجهة العلو، فالله فوق العرش، كما في جواب الجارية عندما سألها رسول الله عليه الصلاة والسلام أين الله؟[1] قالت: في السماء، فشهد

(١) رواه مسلم، ٥٣٧.

لها بالإيمان، وإن أردتم أن الجهات تحيط به فهذا قول باطل.

وكذلك أهل الشبهات في زماننا أرادوا إلغاء البيعة والإمامة والسمع والطاعة، فأتوا بمصطلح (جَزَرِي) و(جزراوي) نسبة للجزيرة العربية، بدلا من لفظ (سعودي) نسبة للمملكة العربية السعودية، التي لا يطيقون اسمها، ولذا يسمونها الجزيرة، أو أرض الحرمين، ونحو ذلك، ويقولون لا يصح أن تُسمى الدولة باسم الحكام، بينما لا يرون بأسا في تسمية الدولة الأموية باسم حكامها، والدولة العباسية باسم حكامها، والدولة العثمانية باسم حكامها، وأميركا باسم البحار الإيطالي أمريكوا، والفلبين باسم فيليب، وغير ذلك كثير، البأس عندهم فقط بالدولة السعودية، والسبب في ذلك أنه قُصِد من ذلك تجييش الرعاع على دولتهم السعودية، لكون حكامها هم أنصار التوحيد والسنة، فأرادوا طمس الهوية، ونزع البيعة والسمع والطاعة، تحت شعار المصطلح.

وأهل الشهوات في زماننا: يُطلقون لفظ الحرية والوسطية، ويعنون بالحرية الهروب من الرق الذي خُلقوا له وهو عبودية الله، فيميلون إلى الانفلات من الأوامر والنواهي الشرعية، وربما أرادوا من الحرية حرية الوصول إلى المرأة، ويريدون بالوسطية التوسط بين الحق والباطل، ويفعل هذا وهذا، ويطوع النصوص لإرضاء العصاة، وتبرير مخالفاتهم، ويزعم أنه وسطي غير متشدد، وأنه يريد بذلك إحسانا وتوفيقا.

والحق أن الحرية: ليست هي التحرر من الفضائل التي جاءت بها الشريعة، وإنما هي التحرر من رق النفس والهوى والشيطان، وهي العبودية لله وحده لا شريك له، كما أن الوسطية: هي سلوك صراط الله المستقيم، وفق ما أمر الله به ورسوله، ليكون المسلم عدلا خيارا، غير متناقض ليس من أصحاب الشبهات ولا من أصحاب

الشــهوات، فالوســط، هم الذين يكونون شــهداء على الناس، لاستقامتهم، وعدم تناقضهــم. فهذه المصطلحات لا بــد أن تضبط بما دلت عليــه النصوص الشرعية، وليس بالدعاوى والأماني.

وحتى المصطلحات الفقهية، التي وإن كانت ليســت كالمصطلحات الســابقة، وإنما هي مصطلحات اســتعملها العلماء، وأرادوا بها معنى صحيحا، مع ذلك أرى أن الأولى اســتعمال المصطلحات الــواردة في النصوص الشرعيــة، ومن أمثلة ذلك مصطلح (لبــس المخيط) المذكور في محظورات الإحرام، فهذا اللفظ لم يأت بكتاب الله، ولا في ســنة رســول الله عليه الصلاة والســلام، ولا في أقــوال الصحابة، وإنما قال رســول الله عليه الصلاة والســلام لفظا أحســن من هذا وهــو قوله (لا يلبس المحــرم القميص ولا العمامة، ولا البرنس، ولا السراويل...)[1] وأول من قال لفظ (لبــس المخيط) إبراهيم النخعــي، رحمه الله، وكان يقصد معنى مــا جاء بالحديث، وكان طلابه يفهمون ذلك، لكن لما طال الزمن سَــبّب هذا اللفظ إشــكالا، حتى أن بعض الحجاج والمعتمرين يســأل عن المخيط في الحزام أو الساعة ونحوها، وسبب الإشــكال هذا المصطلــح (لبس المخيط)، لأنــه ليس من كلام النبــي عليه الصلاة والسلام الصالح لكل زمان ومكان، وقبل أسبوع سألني رجل معتمر وكان محُرِما، عــن حكم لبس نعله التــي فيها خيط، فقلت: وإزارك الأبيــض هذا مليء بالمخيط، فنظــر إليــه وضحك، وقــال صحيح، فقلــت: إن رســول الله نهى عــن السراويل والقميص... الحديث)، ولم ينه عن ما سوى ذلك.

---

(١) رواه البخاري، برقم ١٥٤٢، ومسلم برقم ١١٧٧.

الذئاب المنفردة أم الكلاب المستأجرة

سـمَّى رسـولنا عليـه الصلاة والسـلام الخـوارجَ الذيـن يسـتبيحون الدماء المعصومة، ويكفِّرون المسـلمين بالظنون والأوهام والجهل، ويُفْسِدون في الأرض، سماهم بالكلاب، فقال عليه الصلاة والسلام: (الخوارج كلاب أهل النار)[1]، بينما يسمي كثيرٌ من الناس في زماننا الخوارجَ: بالذئاب، ربما تبعا لتسمية من صنعهم من أعداء الإسلام، وربما لغير ذلك.

وإذا كان علماء الحيوان قالوا عن الذئاب إنها: حيوانات ذكية وشـجاعة وذات بديهية عالية، مفترسة ومنظمة.

وكما قيل: ينام بإحدى مقلتيه ويتقي *** بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

فإن الكلاب التي شبّه النبي عليه الصلاة والسلام بها الخوارج، تُعد من أخس الحيوانات، ولهذا شـبه الله تعالى من انسلخ عن آياته بعد أن أوتيها واتبع هواه شبَّهه بالكلـب، فقال تعـالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث﴾[2].

قال ابن القيم رحمه الله: (فشـبَّه سـبحانه مَن آتاه كتابه وعلَّمه العلمَ الذي منعه غـيرَه فـترك العمل به واتَّبـع هواه وآثر سـخط الله على رضاه، ودنيـاه على آخرته، والمخلوق على الخالـق (بالكلب) الذي هو مِن أخبث الحيوانات، وأوضعها قدراً،

(١) رواه أحمد ١٩١٣٠، وابن ماجه ١٣٧، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٦.

وأخسِّــها نفساً، وأشــدها شرهاً وحرصاً، ومِن حرصه أنَّه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشــمَّم ويستروح حرصاً وشرهاً. ولا يزال يَشُــمُّ دبره دون سائر أجزائه، وهو مِن أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا).

وهذا الهوان هو حال الخوارج، يهُينهم أعداء الإســلام، ويملؤون أحشــاءهم وربــما أدبارهم بالمتفجرات، ويرســلونهم لتمزيق أنفســهم وغيرهم، إذ لا قيمة لهم عند من أرســلهم، ينتهي دورهم بتطاير أجســادهم، بينما لا يفعل ذلك من يأمرهم بنفســه ولا بأبنائــه، فهو لا يريد الجنة والحور التي يوهم غــيره بها، بينما ذلك الأداة المســكين ليــس له من الأمــر شيء، يَقتل نفســه، ويخُــرب بيته بيده، لـ [illegible]اضي أعداء الإسلام، فأي هوان أعظم من هذا؟

وَوَصْفُ النبي عليه الصلاة والســلام الخــوارج بالكلاب، مطابق لحالهم. فهم يشبهون الكلاب في أمور:

أولاً: كثرة نباحهم وعوائهم بالتكفير والتضليل للمسلمين.

ثانيــا: عدم الملــل من الأذيــة، ودوام اللهــث، وكل شيء يلهــث، فإنما يلهثُ مِــن إعياءٍ أو عطــشٍ إلا الكلب، فإنَّه يلهث في حالِ التعــب وحالِ الراحة، فهم في اســتمرار في الأذيــة (كل ما خرج قرن منهم قُطِع) حتى يخــرج آخرهم مع الدجال فهم لا يملون ولا يكلون، ومع ذلك فهم مدحورون مقطوعون.

ثالثا: شدة كَلَب وأذية الخوارج لأهل الإسلام.

رابعا: الكلب وفيٌ لســيده، وهم أوفياء لأسيادهم من أعداء الإسلام، يُنفِّذون أوامرهم، ولو بتمزيق أجســادهم، وليس عندهم الجرأة أن يســألوا لماذا نحن نفجر

وليس أنتم؟ ولماذا لا تسبقوننا إلى الجنة والحور إن كان ما تقولونه حقا؟ ولهذا كان وصفهم بالكلاب مطابقا لحالهم.

قال المناوي في فيض القدير: والحكمة من عقابهم بهذا العقاب: (أنهم كانوا في الدنيا كلابا على المسلمين، فيكفرونهم ويعتدون عليهم ويقتلونهم).

فحريٌ بكل شاب مسلم كذب عليه أعداء الله ليمزق نفسه تحقيقا لمخططاتهم الإجرامية، أن يعود إلى رشده، ويتوب إلى ربه، ويحذر مسلك الخوارج الذين وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام بأنهم: شر قتلى تحت أديم السماء، وأنهم كلاب النار، ولا ينخدع بوعودهم بالجنة، فالجنة عند الله ليست عندهم، ولا يُشْهد لأحدٍ بعينه بالجنة إلا لمن شهد له الله ورسولُه عليه الصلاة والسلام، وإذا كان بعض من قاتل المشركين مع النبي عليه الصلاة والسلام قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام:(هو في النار)، ولما قال الصحابة رضي الله عنهم لرجل قُتل في خيبر: (هنيئا له الجنة. عندئذٍ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها من المغانم- لم تصبها المقاسم- لتشتعل عليه نارا)[1] فما بالك بمن قاتل مع جماعات وأحزاب وتنظيمات هالكة؟

فجرأتهُم بالشهادة والجنة عجيبة، وتَنفيذهم لتوجيهات أعداء الإسلام مصيبة، هداهم الله، وأعادهم إلى صراطه المستقيم.

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم ٤٢٣٤، ومسلم حديث رقم ١١٥.

المعادلة العقيمة في نظر خالد الفيصل

(أيها الإخـوة والأخوات إلى متى نبقى أسرى معادلة عقيمة: إما التكفير وإما التغريب.. كفَّر المستشـيخون علماءنا، وسـفَّه المسـتغربون خطابنا). وقفت طويلا عنـد هـذه العبارات العميقة، التي قالهـا الأمير خالد الفيصـل، وفقه الله، في مؤتمر الفكر العربي ١٥ يُنذِر فيها سـموه من المعادلـة العقيمة، إما التكفير وإما التغريـب، إمـا الغلو وإما الانحلال، وهما أمران أحلاهما مر، ولكل منهما رواد وأتباع ودعاة، وكان ينبغي تركهما جميعا، وسلوك منهج الاعتدال الذي جاءت به الشريعة، ووافق الفطرة، وما كان لأحدٍ أن يسـتبدل الذي هـو أدنى بالذي هو خير، لأنه بالاعتدال تكون الحياة الطيبة، والتنمية والأمن والسعادة في الدنيا والآخرة.

لكن أصحاب النظرة السـوداوية -مع الأسف- متعطشـون للتكفير، وذلك لجهلهـم ولكونهم معجبـين بأنفسـهم، محتقرين لغيرهـم، ولهذا كان سـلفهم من الخوارج الأولين يرون أنفسـهم أعلم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وأعلم من ترجمان القرآن ابن عباس، رضي الله عنهما، ومن معهما من الصحابة، رضي الله عنهـم، فاتهموا أمير المؤمنين بأنه لا يعمـل بالقرآن الكريم، لأن الله يقول ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، بينما هو -في نظرهـم- جعل الحكم للرجال، وقالوا حكَّم الرجـال في دين الله، ومع أن ابن عباس، رضي الله عنه، دحض حجتهم، وأوقفهم على سـوء فهمهم، مما جعل بعضهم يرجع إلى الحـق، إلا أن الأكثر أُشربوا هواهم، وأعجبوا بأنفسهم، فانعزلوا عن جماعة المسلمين، ووقعوا في التكفير واستباحة دماء المسـلمين، فهذا هو شـأن الغلاة في كل زمان ومكان، من مدّعي العلم، شـخصية

(١) سورة الأنعام: ٥٧.

مؤذية، تتابعت الشكوى منهم على مدى العصور، ينازعون الأمر أهله، ولا يُحسنون الظـن بأي قرار أو إجراءٍ يصدر، كأنهم هـم أهل الغيرة والدين، ومن عداهم ليس كذلك، ولهذا يُكثرون الجَلَبَـة والتجمعات والاعتراضات والتهييج وإيغار صدور العامـة، هذا الصنف من الناس مـع جنايتهم على الشريعة، هم حجر عثرة، وقطاع طريق أمام التقدم والتنمية.

وهكذا فالطرف الآخر (أهل التغريب)، المنبهرون بالغرب، يسـفهون خطاب الشريعة، إذا تعـارض مع عقولهم المتناقضة فيؤولونـه أو يفوضونه، وكأن عقولهم هـي الأصـل، ولا أدري بعقـل مَنْ يُوزَن كلام الله ورسـوله؟ وهـم أيضا لا يرون لمجتمعهـم أي خصوصية ومكانة، رغم أن مجتمعنا يضـم الحرمين وهي خصيصة ليست لغير مجتمعنا السعودي، والكتاب والسنة هما الحاكمان على جميع أنظمة دولتنا السـعودية، وهي خصيصة لبلادنا، لكن القوم منهزمون نفسـيا يحتقرون مجتمعهم وما منَّ الله على بلادهم من خصائص، ويرتمون في أحضان الغرب، فكل شيء عند الغرب في نظرهم حسـن، وكل شيء في مجتمعهم سيئ، وكأنهم يرون أن الغرب لا يصـح مدحه إلا بالقدح في مجتمعنـا وثقافتنا ومناهجنا وخطابنـا، فلو عثرت بغلة في العـراق لقالوا ذلك بسـبب مناهجنا وخطابنا، ولهذا رأينا مع الأسـف من يتهم مناهجنـا بالغلـو والعنف والإرهـاب والكراهية، وبعضهم كتـب ذلك في مُذكرة خاطئـةٍ ظالمة وسـلمها لمنظمة راند الأميركية، ولم يُسـلمها لـوزارة التعليم، وهي تهُم لا دليل عليها، واجتزاءات قُطعت عن سـياقها، ولو قال قائل إن القرآن يدعو للعنف والاعتداء واحتـج بقوله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾[1] وقوله

(١) سورة محمد : ٤

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[1] لكان ظالما خاطئا جاهلا، لأنه يتبع المنهج الانتقائي للنصوص، ويعرض عن النصوص الأخرى التي تُوضح المراد، وتجتث شبهته، وهذا تماما ما يفعله من ينتقد مناهجنا الشرعية، ونحن نقول: لا مانع من الاستفادة من الغرب فيما برزوا به، من علوم وتقنيات وتطور يحتاجه الناس في حياتهم، بل ذلك مطلوب، فالحكمة ضالة المؤمن في أي مكان، لكن هذا لا يعني اتهام بلادنا ومناهجنا وخطابنا، ليرضى الغرب، فهم لن يرضوا إلا باتباع دينهم، كما قال أصدق القائلين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[2].

وأصحاب هذه المعادلة العقيمة: التكفير أو التغريب، والغلو أو الانحلال، وجهان لعملة واحدة، وأحدهما نتيجة للأخرى، وهم يسيئون للبلاد والعباد، لأنهم يغمضون أعينهم عن منهج الاعتدال السعودي المبني على الكتاب والسنة، ويقعون في الإفراط أو التفريط، وردود الأفعال الغاضبة، وهكذا كل متطرف إلى (التكفير والغلو) أو إلى (التغريب والانحلال) في أي مجتمع مسلم في الأرض، فإنه يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويُسلِط الأعداء على بلده ومجتمعه، فيكون مُحْتَقَرا حتى عند الأعداء، وما علم هؤلاء المتطرفون من أهل التكفير والتغريب أنه مُتبرٌ ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعلمون، هداهم الله إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم، وجزى الله الأمير الموفق خالد الفيصل، خيرا على كلماته النيرة، التي كثر معناها، وقلَّ لفظها، ولا غرو في ذلك، فمن شابه أباه فما ظلم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(١) سورة التوبة : ٥

(٢) سورة البقرة: ١٢٠

احذر أن تكون أبا شبر

قال أهل العلم قديما: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه لا يعلم.

وواقع بعض الناس أنه لم يخرج إلى الشبر الثاني، فضلا عن الثالث، وإنما بقي في الشبر الأول، أو المربع الأول، ولم يخرج منه إلا إلى «التنمر في العلم» كما يقول الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- وهو ما يتسلى به المفلسون من العلم، يُراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يُشار إليه، أثار البحث فيهما، ليظهر علمه! وكم في هذا من سوءة، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

وهؤلاء المتعالمون بالغوا قبل أن يبلغوا، فأحدثوا صخبا وضجيجا، وشرا وفتنا، هجموا على النصوص الشرعية، فاستدلوا بها على غير ما تدل عليه، وأحسنوا الظن بأنفسهم وأساؤوه بغيرهم، كُلَّما مَرَّ أحدهم على ملأ من المسلمين الذين يختلفون معه -وقد يكونون خيرا منه- وصفهم بأبشع الأوصاف، وشوّه صورهم بكل ما يستطيع.

هذه مخرجات من أصابه الغرور والعُجْب، ويظهر لي أن المجتمع أحيانا يُسهم في إيجاد هذه النماذج المزعجة، فبمجرد أن يَدَعَ بعض الشباب ما كان عليه من فسوق وعصيان، ويتوجه إلى الاستقامة، يتم منحه أوصافَ المشيخة، ويُصدَّر في المجالس، وتُوجَه له الاستفتاءات، وما كان ينبغي لهم ذلك، لأنهم يسيئون إليه بهذا المدح الكاذب، والتصدير غير المستحق، فيتوهم أنه شيخ الإسلام، وأنه يحمل هَمّ الإسلام وحده، وبالتالي يسيئون إلى المجتمع الذي يدفع ثمن اندفاعه وتخبطه، بينما

العلماء الراسـخون لا يفعلون ذلك مع طلابهم، وإنما يربونهم على التواضع، وعدم الإعجاب، لا سيما عندما تستشرف النفس لفوقيةٍ، وحبِ ظهور، وكانوا يقولون: «حب الظهور يقصم الظهور»، وإذا رأوا انتفاخا من أحد طلابهم قمعوه ليلصق إلى الأرض، ومن لم يستجب، لم يكن منهم، وإن درس عليهم، ونسب نفسه إليهم، لأن من أبرز صفات طالب العلم ما ذكره العلماء من التحلي بـ«رونق العلم» وهو حسن السمت، والهدي الصالح، من دوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع، ولزوم المحجة بعمارة الظاهر والباطن.

قال ابن سيرين رحمه الله: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم.

وفي قصه ابن عباس «رضي الله عنهما» التي ذكرها ابن أبي شيبة في المصنف دليلٌ على تأديب العلماء لمن يتحدث في العلم بجهل وعُجْب، فعن طاووس قال: ذُكِرت الأمراء، فوقع فيهم رجل، فتطاول حتى ما أرى في البيت أطول منه، فقال ابن عباس: «لا تجعل نفسك فتنة للقوم الظالمين»، فتقاصر حتى ما أرى في البيت أقصر منه، وكذلك في رحلة الإمام أحمد ويحي بن معين وأحمد الرمادي أنموذجٌ على ذلك، فقد سأل أحمد بن منصور الرمادي أبا معين أسئلة، فلما لاحظ العالم أبو معين تجاوز الرمادي، وأنه يسأل للاختبار، رفسه برجله، ودخل داره وتركه، فقال الإمام أحمد: ألم أقل لك إنه ثبتٌ، فقال:

والله لرفسته أحب إلي من سَفْرتي.

والمقصود: أن التعامل بالوسطية مع كل أحد بما فيهم الشاب الُمتجه للعلم والاستقامة، هو المطلوب، إن وقع بذنبٍ أو خطأ أو معصيةٍ، فهو كغيره من الناس، ليس بمعصوم، يُنصح ويُوجه إلى الخير، ولا يُعان الشيطان عليه، ولا يُتشـمَّت به،

وإن استقام وقدم إلى مجلس من مجالس الناس فهو كغيره من المسلمين، يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويُنادى باسمه كغيره من الناس، فلا إفراط ولا تفريط.

وقد كان العلماء الراسخون لا يحبون أن يمدحهم أحد -مع استحقاقهم وجدارتهم- وقد سمعت الشيخ ابن باز -رحمه الله- يعاتب من مدحه، ويقول له: سيسألك الله عن هذا، ثم يحلف بالله ويُشهد الحاضرين أنه لا يحب أن يمدحه أحد، ثم يستعرض -رحمه الله- تقصيره في الواجب عليه، ويقول: إن ما قدّم قليل في حق ما يجب عليه لله ولدينه وعباده، ويسأل الله المسامحة.

وشيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- لما ذكر المُقدّم: أنه من كبار العلماء، أسكته، وذلك أنهم يخافون على أنفسهم العُجب والرياء، ويعرفون عظم حق الله، وأن الإنسان مهما فعل من الخير، فهو لا شيء إن لم يتغمده الله برحمته، ولذلك طلبوا العلم لله، لا ليماروا به السفهاء، ولا ليباهوا به العلماء، فنفع الله بهم البلاد والعباد.

وفي نظري أن المجتمع بحاجة إلى قدواتِ خيرٍ، يؤثرون الآخرة على الدنيا عن علم وبصيرة وتفاعل مع المجتمع، لا عن جهل ودروشة وانقطاع عن المجتمع، أما من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها -كما يقول ابن القيم- فلا بدَّ أن يقول على الله غيرَ الحقِّ؛ في فتواه وحكمِه، وفي خبرِه وإلزامِه؛ لأن أحكام الربِّ سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس.

شبهة وجوابها

اطّلعت على كتابات، ومقاطع مرئية، يتداولها بعض الناس، تتلخص في التشكيك في حقيقة دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ومما جاء فيها: نفي وجود الشرك في زمن الإمام محمد، إلا في حالات قليلة عند بعض الأفراد، وأن الباعث على دعوته ليس وجود الشرك، وإنما الرغبة في تكوين سياسي؛ لما رأى من تصدع في القبائل، ويستدلون على ذلك بأن هناك من العلماء مَن كَتَب في الفقه مجلدات، ولم يتكلم عن التوحيد والشرك، وأن بعض البلاد لا يُوجد فيها شرك - بشهادة الإمام محمد بن عبدالوهاب نفسه - وفي المقابل يعتذرون عن مخالفات أصحاب العقائد المخالفة، ويقولون: إن الخلافات بين الشيخ وخصومه في تفاصيل بعض المسائل التي لا تمس أسس العقيدة. وينتقدون الوقوف عند كلام الإمام محمد بن عبدالوهاب باعتباره جاء لفترة زمنية انتهت.

وذكروا أن هذه الدعوة الإصلاحية فيها توافق مع العلمانية، باعتبار أن أئمتها من المشايخ لم يرغبوا في تولي السلطة في فترات سقوط الدولة السعودية الأولى والثانية مع جدارتهم، ويزعمون أن الأيديولوجية الليبرالية من صميم الإسلام.

ولما كان مروجو هذه الشُبه والأغاليط يُستضافون في القنوات، وينشرون من خلالها شُبَههم، ثم تُوزّع على شكل مقاطع في اليوتيوب، بالإضافة إلى ما يكتبونه، ولما في ذلك من إضلالٍ للناس؛ فقد رأيت الجواب عنها، باختصار شديد، بما تسعه مساحة هذا المقال.

فأقول:

أولا: ما الهدف من إثارة هذه الشبهات؟! ولماذا تولى كِبرَها قومٌ معجبون

بأنفسهم وتحليلاتهم، رغم أنهم ليسوا من أهل الاختصاص، وغالبُ اعتمادهم على كتب المستشرقين، وعلى من درسوا عليهم من الغربيين، وما نقلوه من كتب أئمة الدعوة، يتبعون فيه المنهج الانتقائي، مع تحريفهم لمعنى ما ينقلون، وسيأتي ذكر أمثلة على تحريفهم، وهم بطرحهم هذا يخالفون ما كتبه جميع أهل الاختصاص من العلماء الراسخين في بلادنا السعودية منذ زمن الإمام محمد إلى يومنا هذا.

ثانيا: ظهر لي - من خلال طرح أصحاب هذه الشبهة - أنهم يجهلون أو يتجاهلون واقع الدعوة، وما كتبه الإمام محمد وأئمة الدعوة، وما كتبه مَن أدرك تلك الفترة، بل ويجهلون تعريف التوحيد، وتعريف الشرك، وأقسام الشرك، فالتوحيد عندهم: هو الوحدة، والردة عندهم: هي الردة السياسية، وأنواع الشرك عندهم: هو الشرك المؤسساتي، والشرك الثقافي، هكذا يعلنون جهلهم بالتوحيد على رؤوس الأشهاد، ويبتدعون أنواعا للشرك ما سبقهم بها أحد من العالمين، فكيف يتكلمون بما لا يعلمون؟!

ثالثا: دعوة التوحيد وعبادة الله وحده، وترك الشرك، هي التي تمنع الفتن، وتمنع تصدُّع القبائل، وهي التي تجمع الناس على الحق، وهي التي تحقق الغرض الذي من أجله خلق الله الإنس والجن، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فهذه الدعوة هي الأصل التي أمضى الإمام محمد بن عبدالوهاب حياته كلها في سبيل تحقيقه، وما يحصل من اجتماع وخير بسبب الدعوة لهذا الأصل فهو من ثمرات التوحيد، لكن أصحاب الشبهات يحاولون قلب الحقيقة، وأنَّى لهم ذلك، فالمصادر الموثوقة موجودة، وقد جرت سنة الله أنه يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، فدعوة الإمام محمد هي دعوة للتوحيد، في زمن انتشرت فيه الشركيات،

وبحمد الله فقد نجحت، وكان من أقوى أسباب نجاحها أن هيأ الله لها حُكّاما آمنوا بها، ونصروها، وآزروا دعاتها، وهم آل سعود بدءاً من الإمام محمد بن سعود، ثم أبنائه وأحفاده من بعده، إلى يومنا هذا، ونسأل الله أن يُديمهم على الخير ويثبتهم عليه.

رابعا: كُتُب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، لاسيما المجلد الخامس المسمى (الرسائل الشخصية)، مليئة بالحوارات بين الشيخ وخصومه، يدعوهم إلى التوحيد، ويحذرهم من الشرك، وكانوا يوردون عليه شبهات تتعلق بتوحيد الألوهية، واتخاذ أصحاب القبور شفعاء، وكان يجيبهم بعلم وحجة قوية، ومَن شاء فليرجع إليها، وليرجع أيضا إلى كتاب كشف الشبهات، ليقف على الشركيات التي كشفها الإمام محمد رحمه الله.

وكان هناك أقوام يطوفون على قبر زيد بن الخطاب، ويطلبون منه المدد، فيقول لهم: اللهُ خيرٌ من زيد، كما هو موثق بالمصادر، ولاريب أن هذا شرك بالله تعالى، وبالتالي فدعوى نفي كثرة الشرك، يُكذبها الواقع، وقد أُلِّفَتْ في ذلك رسائل علمية، بينت الشرك الذي وُجد في زمن الإمام محمد بن عبدالوهاب، وقد هممت أن أسرد نقولا منها، لكن منعني من ذلك ضيق المساحة، وأُحيل القراء الكرام إلى كتب الشيخ، وكتب أئمة الدعوة، والرسائل العلمية المؤلفة في هذا الشأن، وهي كثيرة، ومع وجود الشرك وكثرته، فإن هذا لا يعني عدم وجود التوحيد ودعاته، بل هم موجودون قبل أن يُخْلق الإمام محمد بن عبدالوهاب، وموجودون أيضا في زمنه، وبعضهم يُعد أستاذاً للإمام محمد، ومنهم على سبيل المثال: والد الشيخ محمد، والعلامة محمد حياة السندي الحنفي، والعلامة عبدالله بن إبراهيم بن سيف

الشمري، الذي قال عنه تلميذه الإمام محمد بن عبدالوهاب: (كنت يوما عنده فقال لي: أتريد أن أريك سلاحا أعددته للمجمعة؟ قلت: نعم، فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة، وقال: هذا الذي أعددته للمجمعة).

وكثير من أهل العلم في زمن الإمام محمد، متوافقون معه، ويشكرون له صدعه بالحق، وتحمله عَنَت خصوم التوحيد، وكانوا يقولون- كما في المصادر-: نحن لم نستطع القيامَ بما قام به الإمام، من مواجهة المدعوين، والصبر على ذلك. وأما دعواهم أن بعض العلماء كَتَبَ مجلدات في الفقه ولم يتحدث فيها عن الشرك، فهذا لا يدل على عدم وجود الشرك، والمؤلفات في الفقه تختلف موضوعاتها عن التوحيد.

خامسا: قولهم: عن الإمام محمد إنه ذكر عن أحد البلاد أنه لا يوجد فيه شرك. نقول: لم يقل ذلك، وهذا دليل على تحريفهم لكلام الإمام محمد، وإنما قال ما نصه: (غارهم أن ما عندهم قُببٌ ولا سادات)، ومعلوم أن الشرك ليس محصورا بالقبب والسادات، فكيف يقولون إنه نفى وجود الشرك؟ هذا تَقَوُّلٌ عليه، وتحريفٌ لكلامه، ثم لو فُرِضَ أنه لا يوجد في بلد معين شرك، فليس هذا دليلاً على انتفاء وجود الشرك في بلدان أخرى. وقد ذكر صاحب كتاب (الأعيان الخيار) وهو السيد الشريف الحنفي، المعروف بالعبجي، المتوفى سنة ١١٧٤ للهجرة أن الإمام محمداً برز نجمه في تطهير الدين من البدع والشرك والظلام المبين.

فهذه شهادة أحد معاصريه، تدل على انتشار الشرك -وهو شاهد عيان للواقع آنذاك- تتطابق مع ما ذكره الإمام محمد في كتبه، وما شهد به العلماء في زمن الإمام محمد، وما عرضه عليه خصومه من تسويغٍ للشرك، ومجادلةٍ عنه، وهذا مما يجعل

شبهات المشككين المعاصرين تذهب جفاء، ولا تصمد أمام البحث العلمي المعتمد على المصادر الموثوقة.

سادسا: أما اعتذارهم عن أصحاب العقائد المخالفة، وأن ذلك لا يمس أسس العقيدة، فنقول: وما هي العقيدة عندكم؟ وما أسسها؟ بيِّنوها لنا؟ فالظاهر لي أنهم لا يعرفون العقيدة الصحيحة، بدليل أنهم يصرحون أن الليبرالية من صميم العقيدة، وبدليل أنهم يجعلون ما يورده الخصوم على الشيخ لا يمس أسسَ العقيدة، وبدليل أنهم يُعرِّفون التوحيد بالوحدة، والردة بالردة السياسية، وهذا تحريف وليس تعريفا.

ورحم الله الإمام محمد بن عبدالوهاب، فقد قال في كتابه «كشف الشبهات»: (وسرِّ المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؛ فسرِّه لي؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام، فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرّها لي، فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرّها لي؟ فإن فسرّها بما بيّنه القرآن؛ فهو المطلوب، وإن لم يَعرِفه؛ فكيف يدّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟! وإن فـ ▯ذلك بغير معناه؛ بُيِّنتْ له الآياتُ الواضحاتُ في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[1].

سابعا: انتقادهم الوقوف على ما قاله الإمام محمد في مسائل الاعتقاد بوصفه قيلَ لمرحلة خَلَتْ، دليل على جهلهم، ومقتضى قولهم أن نتجاوز ما كان يقوله النبي عليه الصلاة والسلام في

(١) سورة ص: ٥

مسائل الاعتقاد بوصفه لمرحلة خلت، ومعلوم أن الإمام محمد بن عبدالوهاب ما جاء بشيء من عنده، وإنما دعا إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثامنا: انتقادُهم لأئمة الدعوة -لكونهم لم يأخذوا السلطة في فترات السقوط، وأنهم يشابهون العلمانية في فصل الدين عن السياسة- دليلٌ على فساد تصورهم، ونظرتهم المادية، وإلا فهذا مما يُمدح به أئمة الدعوة وعلماؤها، فهم بايعوا الأئمة من آل سعود، ولا يمكن أن يتقدموا عليهم، ولا ينازعوهم في الأمر، وإنما يقاتلون تحت رايتهم، ويسمعون ويطيعون لهم، ويمنعون المرجفين والمُخذِّلين، ولولا الله -ثم نصرة آل سعود للتوحيد وأهله- ما عرف الناسُ محمدَ بنِ عبد الوهاب، ولا انتشرت دعوته المباركة، فالتعاون معهم هو ما تقتضيه الأدلة الشرعية، ولكن أصحاب الشبهات لا يعقلون، وإنما يأتون بشبهات ظاهرها زخارف من القول، وحقيقتها تهوينٌ من شأن التوحيد.

التهنئة بعيد النصارى

يتدافع العلماء الراسخون الفتوى، ولا يستعجلون القول على الله تعالى بتحليلٍ أو تحريم، لعلمهم أن ذلك توقيع عن رب العالمين، فكلٌّ يود أن أخاه كفاه، وكانوا يقولون: العافية والسلامة لا يعدلها شيء.

أما في زماننا هذا فكثيرٌ من الناس -هدانا الله وإياهم- يستعجل التحليل والتحريم، مع أنه ليس متخصصا، ولم يسأله أحد، وكثيرٌ منهم لا يُفرِق بين الأحكام الشرعية -التي أسند ربنا عز وجل الكلام فيها لأهل الذكر، وتبعا لأمر الله تعالى أمر ولاة الأمر كذلك بإسنادها للعلماء- وبين قضايا الرأي والقصص والخدمات، هذا الخلط جعل الفتوى والكلام في التحليل والتحريم والمنع والإباحة كلأً مباحا لكل كاتب ومتكلم، في حين أن طب الأبدان ومسائل الاقتصاد، لا يتكلم فيها إلا أهل الاختصاص.

ومعلوم أن الحجر لاستصلاح الأديان، أولى من الحجر لاستصلاح الأبدان والأموال، مع أهمية عدم كلام من ليس من أهل الاختصاص فيهما جميعا، إلا إن كان سائلا ومسترشدا.

ومن ذلك مسألة تهنئة النصارى بأعيادهم، وما يسمونه: بالكريسمس، فقد تكلم فيها من لو أمسك عنها، لكان الإمساك أولى به وأقرب إلى السلامة، وأبرأ لذمته إن شاء الله.

لاسيما وقد كفاهم الكلام فيها الراسخون في العلم في زماننا، وعلى رأسهم الشيخان الفقيهان ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله، فقد منعا من ذلك، ومن شاء معرفة تفصيل فتواهما فليرجع إليها.

وهذا الاحتفال بعيد ميلاد المسيح مُنتقَد حتى عند بعض النصارى أنفسهم، فالبابا فرانسيس، بابا الفاتيكان، لا يرى الاحتفال بعيد الميلاد، واصفا إياه «بالجاهلية» وأنه صورة زائفة تصور حكاية خرافية، مائعة، لا وجود لها في الإنجيل، على حد تعبيره.

وإن تَعْجب أخي القارئ فعجبٌ ما يفعله بعض الناس -إذا أراد أن يدخل فيما ليس من تخصصه، وينازع علماءنا المتخصصين الراسخين في العلم- تجده يأتي بمقدمة لحديثه ثم يناقضها مباشرة، فيقول لست من أهل الفتوى، ولست مؤهلا للكلام في دين الله، ولكن.. وبعد (لكن) تأتي الطوام، يُحَلِّل ويُحَرِّم ويتكلم في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير -وإن سمى ذلك مناقشة ورأيا- فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء، فيأتي بأدلة لا علاقة لها بالموضوع، كزيارة النبي عليه الصلاة والسلام لغلام يهودي ليدعوه إلى الإسلام، وكاستدلاله بأن النبي عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، وفات عليه: أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يوافقهم، بل قال لأصحابه (أبدلكم الله بهما خيرا)[1]، وبعضهم ينقل أدلة تؤكد حسن تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع الكفار، ومعلوم أن حسن التعامل، وعدم ظلم الكفار، وعدم الاعتداء عليهم بغير حق، ووجوب العدل معهم ومع غيرهم، لا علاقة له بتهنئتهم بأعيادهم الدينية.

بل إن بعضهم استدل على ذلك بحديث القيام لجنازة الكافر، ومع أنه ورد أن هذا الحديث منسوخ بدليل حديث علي رضي الله عنه كما في الموطأ ومسند أحمد بأسانيد صحيحه، وحسنه الألباني ونصه: (أَمَرَنَا -أي النبي عليه الصلاة

(١) أخرجه أحمد،١٢٠٠٦، وأبو داود ١١٣٤، وصححه ابن حجر في فتح الباري٢/ ٤٤٢.

والسلام- بالقيام في الجنازة ثم جَلَس بعد ذلك، وأمَرَنا بالجلوس)، إلا أنه ليس في ذلك دليل على جواز تهنئة الكفار في أعيادهم، ولا علاقة لذلك بالموضوع حتى ولو لم يكن الحديث منسوخا، لأن سبب القيام هو كون الموت فزعا، بغض النظر عن الشخص الميت، ولما ورد في الروايات، ومنها: رواية لأحمد: {إنما تقومون إعظامًا للذي يقبض النفوس}[1]. ورواية للحاكم: {إنما قمنا للملائكة} ورواية ابن حبان: {إعظامًا لله الذي يقبض الأرواح}.

وأنا أعجب لماذا بعض المسلمين -هداهم الله- لديه إفراط في التعامل مع الكفار، وبعضهم لديه تفريط، هناك من يعتدي على الكفار، ويظلمهم، ويريد أن يُكرههم على الدخول في الدين، وهناك في المقابل من يتتبع سنن الكفار، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخله!

لماذا هذه المعادلة العقيمة، إما الغلو وإما الجفاء؟ في حين أن الوسطية التي جاءت بها الشريعة، هي عدم موافقة الكفار فيما هو من خصائص دينهم، وعدم التهنئة بفعلٍ أي عمل (ديني) ليس عليه أمر النبي عليه الصلاة والسلام، سواء صدر من مسلم أو كافر، وأيضا عدم ظلم الكفار، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[2].

وقد يرى القارئ الكريم عدم الحاجة إلى المقدمات التي ينقضها أصحابها بحرف (لكن) كقول بعضهم: لست من أهل العلم والفتوى ولكن.. وبعد (لكن) يضع نفسه مفتيا وعالما، وكذا قول بعضهم: أنا لا أحب الغيبة وليس من عادتي أن

---

(١) مسند الإمام أحمد ٧٩/ ١٠، وحسنه أحمد شاكر.

(٢) سورة الممتحنة: ٨

أتكلـم في الناس ولكـن.. وبعد (لكن) يتمضمض بالأعـراض، ويُمارس الوظيفة الإبليسـية، وكقول بعضهم للمتحـدث: لا أحب أن أقطـع واردك ولكن.. وبعد (لكن) يقطع الوارد والصادر.

ونحو ذلك من هذه المقدمات التي تضر ولا تنفع، والموفق من نوَّر الله بصيرته، وحرص على سـلامة ذمته، واكتفى بما قاله الراسخون في العلم، ليلقى الله سالما من تبعات القول عليه سبحانه.

فإن قيل لماذا قلت: النصارى، ولم تقل: المسيحيين؟

فالجواب: لسببين: الأول: الآيات والأحاديث سمتهم (النصارى)، ونحن لا نتجاوز القرآن والحديث، ولذا: نسمهم بما سماهم الله به ورسولُه.

الثاني: القول بأنهم مسـيحيون، تزكية لهم، ويوهم أنهم أتباع المسـيح المطيعون له، وليس كذلك، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام بشرَّ برسولٍ يأتي من بعده اسمه أحمد، وإذا نزل في آخر الزمان يعمل بشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، بينما هؤلاء يخالفون النبي عيسـى عليه الصلاة السـلام في إيمانه بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وهو عليه السلام لم يقل إنه ابن الله، ولم يأمر أن يُتخذ وأمه إلهين من دون الله، كما يقول من ينسب نفسه إليه، فهو بريء منهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾[1].

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

وترجون من الله ما لا يرجون

جرت سنة الله أن يقع الصراع بين الحق والباطل، وذلك للابتلاء، وإلا فالله تعالى قادر على الانتصار من أهل الباطل، كما قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[1] ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[2].

ومن ذلك ما قدَّره الله كونا من وجود الخوارج منذ زمن الصحابة إلى يومنا هذا، وإلى آخر الزمان عندما يخرج الخوارج مع الدجال، مع أنهم بحمد الله مقموعون مدحورون، كما جاء في الحديث (كلما خرج منهم قرن قُطِع)[3]، ومع أن الله سبحانه قدَّر وجودهم كونا، إلا أنه أمر بمعالجة ذلك شرعا وذلك بقتالهم، والتحذير منهم ومن منهجهم، بوصفهم كلاب أهل النار، والتحذير كذلك ممن يزج الشباب إلى أماكن الصراع ليتلقفهم قادة الخوارج، ثم يقول لهم بعد ذلك: إني بريء منكم.

ومعلوم أنه لا تعارض بين الحكم الكوني، والحكم الشرعي، ولا بين القدر والشرع، فالذي قدَّر وجودهم كونا، هو الذي حذرنا منهم، وأمرنا بقتالهم شرعا، كما قدَّر وجود إبليس كونا، وأمر بمخالفته وعداوته شرعا.

وإذا كان الخوارج في أول خروجهم لم يقاتلوا أعداء الإسلام، وإنما قاتلوا

(١) سورة محمد: ٤.

(٢) سورة النساء: ١٠٤.

(٣) أخرجه ابن ماجة ١٧٤ وحسَّنه الألباني.

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الخوارج في زماننا -تبعوا سَنَنَ أسلافهم- فلم يقاتلوا أعداء الإسلام، وإنما قاتلوا المسلمين في بلد التوحيد والسنة في المملكة العربية السعودية، مُنفذِين في ذلك توجيهات النظام الإيراني الصفوي، الذي هو الحضن لكل جماعات العنف، وقد وفَّق الله ولاة أمرنا لمعالجة منهج الخوارج بما أرشد إليه النبي عليه صلى الله عليه وسلم، وسلكه صحابته رضي الله عنهم.

فالصحابة رضي الله عنهم قاتلوا الخوارج امتثالا لأمر النبي عليه الصلاة والسلام بقتالهم، وهو ما تفعله دولتنا السعودية، وقد رأينا ثبات وقوة رجال أمننا في قتال الخوارج، وسبب تلك القوة والثبات أنهم يرجون من الله ما لا يرجوه أعداؤهم، حتى وإن كان ينالهم من الألم ما ينال أعداءهم، وفي هذا يقول تعالى ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾[1].

ومن المهم جدا أن تكون جهود أهل العلم والفكر في التحصين العقدي والفكري، بتلك القوة والثبات التي يقوم بها رجال أمننا.

وجملة: وترجون من الله ما لا يرجون، لها دلالات عظيمة، لأن فيها تعلقا بالله، ورغبة فيما عنده، ولهذا فإن من يعالج هذا الفكر المنحرف، ويُدافع عن هذه الدولة السعودية عقيدةً وقُربةً إلى الله، وليس فقط لتسجيل موقف، يشعر بأنه في عبادة يرجو ثوابها إذا واجه ربه.

ولا ريب أن هذه الدولة السعودية منصورة بإذن الله مهما تكالب عليها الأعداء، ما دامت متمسكة بدينها كما هو الواقع ولله الحمد، برهان ذلك قوله تعالى

(١) سورة النساء: ١٠٤.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم ناصحوا الخوارج، وناظروهم، كما فعل ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، واستفاد من ذلك ألفان وبقي أربعة آلاف؛ فإن الدولة السعودية، فعلت كذلك هذا الأسلوب (المناصحة) الذي سلكه الصحابة رضي الله عنهم، كما في المنجز الوطني المشرف (مركز محمد بن نايف للمناصحة) والمركز كما هو معلوم ليس بديلا عن العقوبات الشرعية والنظامية، وليس من شأنه الحكم بالإفراج عن أي موقوف، بل مرد ذلك إلى القضاء، وما يقرره ولي الأمر، وإنما هو متخصص بالمناصحة كما فعل ابن عباس رضي الله عنه.

وهذا المركز الذي هو امتداد لمنهج الصحابة في محاورة ومناصحة الخوارج، ومن افتأت على ولي الأمر، هو من حسنات الدولة، ونجح نجاحا باهرا، بشهادة دول العالم، وما كان ينبغي لأحد أعضاء مجلس الشورى هداه الله أن يخرج علينا في التلفاز بعد حادثة الياسمين بيوم متنقصا عمل المركز، فالمأمول منه ومن أعضاء الشورى وحملة الأقلام أن يبدوا آراء تقمع الفكر المنحرف، لا أن ترتدَّ سهام أحد منهم على منجزات وطنهم التي أشاد بها العالَمَ، كما لا يصح أن تُتَخَذ تصرفات الخوارج والجهات المعادية التي صنعتهم، لا يصح أن تتخذ سلما للطعن في ثوابتنا، ومناهجنا، ومنجزات وطننا، ومن تلك المنجزات (برنامج المناصحة)، فهذا التنقص هو ما يريده الأعداء.

يقول الأمير نايف رحمه الله (لم تنس الدولة وبتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين أن تكون هناك (مناصحة) لهؤلاء لعلهم يرجعون عن هذا الفكر، فتم

(١) سورة الحج : ٤٠.

ذلـك، وقد هدى بـه الله البعض، ونرجو أن يهدي الباقين، كـما وجدنا أنه لابد من إسـتراتيجية أمنية، أو إسـتراتيجية فكرية أمنية، أو ما يسـمى بالأمن الفكري، لأن القضية ليست فقط في المواجهة بالعمل الأمني، إننا نريد تصحيح الأفكار، وهذا ما نرجوه من مشاركة فاعلة من علمائنا ليبينوا فعل هؤلاء وحكم الإسلام فيه).

صالح الفوزان في مجلس أمير القصيم

الأمير الدكتور فيصل بن مشعل أمير القصيم -حفظه الله- معروف لكل أحد بنشاطه في جميع المجالات، ومنها اهتمام سموه الكريم بالتحصين الفكري.

ولهذا الغرض استضاف سموه في قصر التوحيد ببريدة سماحة الشيخ العلامة صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، بحضور نخبة كبيرة من الدعاة والقضاة والأساتذة ورجال الفكر والإعلام والمواطنين، فكان لقاء حواريا رائعا أداره سموه بحكمة واقتدار.

ولكوني شرفتُ بحضور هذا اللقاء، ورغبة في نقل الفائدة، من ذلك الحوار الرائع، والإجابة المسددة، فإني أبينّ في هذا المقال بعض المقتطفات، فمنها:

١ - قيل لسماحة الشيخ إن هناك من يفتي بالجهاد في مواطن الصراع، فأجاب: هذا ليس جهادا، هذا إفساد، لأن الجهاد الصحيح موكول لولي الأمر، وليس للتنظيمات والجماعات المتحزبة، والذين يفتون الشباب للخروج لأماكن الصراع هم دعاة فتنة.

٢ - فقيل لسماحته: إن هناك من يستقطب الشباب إلى ما يسمى بدولة الخلافة، ولا يرى البيعة إلا لإمام واحد لكل المسلمين.

فأجاب: إن هذه خرافة وليست خلافة، والناس منذ زمن الإمام أحمد إلى اليوم، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولم يقل أحد من العلماء، إن البيعة لا تنعقد، إلا إذا كان الحاكم إماما لجميع أقطار المسلمين.

ومقتضى هذا القول أن الناس منذ زمن الإمام أحمد إلى اليوم، يموتون وليس في أعناقهم بيعة، فيموتون ميتة جاهلية، ومجرد تصور هذا القول كاف في إبطاله.

٣ – فقيل لسماحته: هناك من يكفِّر بلادنا السعودية، ويقول إنها لا تحكم بالشريعة، فما الجواب؟

فأجاب سماحته: هذا القائل يكذب الواقع المشاهَد، والتفت إلى القضاة، وقال: ها هي محاكمنا في المملكة العربية السعودية تحكم بالشريعة، وها هم قضاتنا متخرجون من كليات شرعية، وصاحب هذه الدعوى صاحب هوى، لا يعقل ما يقول.

٤ – ولما سئل سماحته عن التكفير والردة، أجاب: الحكم في هذا للقضاة في المحاكم، والمسلم عليه أن يحفظ لسانه، ولا يتدخل فيما لا يعنيه، وفيما كُفِي مؤنته، وعلى المسلم أن يستحضر وقوفه بين يدي الله، وسؤال الله له عن كلامه وفتاواه، لأن الكلام على الله خطير، والفتوى توقيع عن رب العالمين، والصحابة كانوا يتدافعون الفتوى رغم أنهم مؤهلون لها، فما بال بعض الجهال يتهافتون عليها.

وقد تكلم سماحته كلاما طويلا عن الفتوى وشروطها وضوابطها، وأنها منصب خطير جدا، تولاها الله بنفسه فقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[1] الله يفتيكم، فالله تولى الفتوى، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– تولى الفتوى، مما يدل على خطورتها، فكيف يتصدر لها الجهال والمجاهيل ودعاة الفتن ومحبو الظهور وأصحاب الأهواء، فعليهم أن يتقوا الله، وأن يكفوا عن هذا التهافت على الكلام في دين الله، وعلى الناس ألا يأخذوا العلم إلا من أهله، إن هذا

(١) سورة النساء: ١٧٦

العلم دين، فانظروا عمن تأخذون منه دينكم، والواجب على الجميع أن يحذروا الفتن، وليعملوا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1].

وفي ختام هذا المقال: فإني أقول إن ما تقدم من حوار نافع، وإجابات مختصرة شافية كافية، كان من أهم ما استحضرته في ذلك المجلس المبارك، مجلس الأمير الموفق الدكتور فيصل بن مشعل، حفظه الله، ولمزيد من التثبت فقد قرأت هذا المقال قبل نشره، على سماحة شيخنا صالح الفوزان، فأقره، وأذن لي بنشره.

(١) سورة النساء: ٨٣

الاعتقاد ثم الاستدلال أم العكس

مـن الناس مـن يكون له هوى في شيء محـرم، فيبحث عـن أي دليل - وإن لم يكن فيه دلالة على مراده - ليجعله حجة له، يفعل ذلك ليُوهم نفسه وغيره صواب فعله، وهو بهذا يُخادع نفســه، وهذا المسلك الخاطئ - اعتقد ثم استدل - سار عليه كثير من أهل الشبهات والشهوات هداهم الله.

فأهل الشـبهات (من أهـل الغلو في الدين) عندهم معتقدٌ فاسـد وحقدٌ وغلٌ وعُقدٌ نفسـية، وكُـرهٌ للمجتمـع والدولة، فيبحثون عـما يتوهمونه أدلة تسـوِّغ لهم الاعتـداء والتكفـير والتفجير، وإذا سـمعوا أدلةً صحيحة صريحـة تبطل ما أرادوا تقريـره، ضاقت عليهم أنفسـهم، وحاصوا حيصـة الحُمُر، لأنهـم لا يريدون أدلةً تخالف عقائدهم المنحرفة، وما عزموا على فعله من إجرام، ولهذا فاستدلالهم بالدين كاذب، وهم من أبعد الناس عنه، وقد وصف النبي عليه الصلاة والسلام الخوارج بالمروق من الدين، مع اجتهادهم في العبادة وقراءة القرآن، كما في الحديث الصحيح (يخرج فيكم قوم تَحْقِرُون صلاتكم مع صلاتهم، وَصيامكم مع صيامهم، وعملكم مـع عملهم، يقـرؤون القرآن لاَ يجُـاوِز حناجرهـم، يَمْرُقُونَ من الدين كـما يَمْرُقُ السـهم من الرَّمِيَّة)، وخوارج زماننا أشد مروقا من الخوارج الأولين، فليسوا أهل عبادة وقراءة للقرآن، وإنما هم مع سـوء اعتقادهـم، وخلوهم من الدين، وبعدهم عن العبادة، لصوصٌ وقطاع طرق، وعصابات إجرام، جمعوا حيل اليهود وخبثهم، وكذب المنافقين، وتحريف الزنادقة.

وأما أهل الشهوات (من أهل التفلت) فهم وإن كانوا لا يُقارنون بالخوارج كما

هو معلوم، إلا أن بعضهم كذلك يستدلون على معاصيهم بما ليس بحجة، وذلك أن عندهم ميلا إلى الملذات المحرمة، ويرغبون أن تكون واقعا مُعاشا، وأن يميل الناس إليهم كما قال تعالى ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾[1]، فيبحثون عما يتوهمونه حجة شرعية، ولكونهم لا علم لهم بالشريعة، صاروا يلجؤون إلى الاستدلال بعبارة (فيه خلاف)، وكأن هذه العبارة من وحي السماء، ولو قلتَ لأحدهم ما دليل من تحتج بقوله، وما جوابه عن دليل مُخَالِفه؟ لما عرف الجواب، وإنما يعرف فقط الفتوى التي توافق هواه فيأخذها ويَدَع ما سواها، وإلا فلا شأن له في الأدلة من قريب ولا من بعيد، وبعضهم يلجأ إلى احتواء من كان له سابق اهتمام في العلم وحضور المحاضرات الشرعية - هداهم الله- ممن أَمَرَّتهم السنون ولما يَبرُزوا، أو ربما أصابتهم فتنة، فانقلبوا على وجوههم، أو تعرضوا لمواقف، أو غير ذلك، ليبحثوا لهم عن الشذوذات، وزلات العلماء، في مطاوي الكتب، وبعض أهل الشهوات يمدونهم في الغي، ويظهرونهم ويحتفون بهم، ويُغدقون عليهم نعوت الوسطية والاعتدال وسعة الأفق، ليزيدوا في البحث لهم عن الشذوذات، والخلافات التي توافق أهواءهم، ولو اكتفوا باتباع شهواتهم، دون إضفاء الشرعية عليها، لكان أقل إثما من فعلها مع تلك الحيل.

ويعلم كل مسلم سلم من الأهواء أنه لا يصح أن يترك العمل بالنصوص الشرعية لوجود الخلاف، ولا أن تكون عبارة (فيه خلاف) ترسا تعطل به النصوص الشرعية، فالخلاف يُرَد إلى الكتاب والسنة، وليس حكم الله يُرد إلى خلاف العلماء، قال

(١) سورة النساء: ٢٧.

تعالى ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

وتعليل الأحكام - كما يقول ابن تيمية - بالخلاف علة باطلة في الأمر نفسه، فإن الخلاف ليس من الصفات التي يُعلق الشارع بها الأحكام في الأمر نفسه، فإن ذلك وصف حادث بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

فما دام الخلاف حادثا بعد النبي عليه الصلاة والسلام، بل وبعد القرون المفضلة، فكيف يكون حجة؟

ولهذا يقول ابن عبدالبر المالكي (الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة، إلا من لا بصر له ولا معرفة عنده، ولا حجة في قوله).

وما من مسألة في الغالب إلا وفيها خلاف، أفندَع كتاب ربنا وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام لأجل وجود الخلاف؟ وإذا كان العالم المجتهد الذي بذل وسعه وأخطأ في عدم العمل بالحديث معذورا، لعدم بلوغ الحديث له، أو عدم ثبوته عنده، أو لغير ذلك من الأسباب، فإن ذلك ليس عذرا لغيره ممن بلغه الحديث وصحته، وليس لأحدٍ حجة في ترك ما دلّ عليه الدليل، لكون المسألة فيها خلاف، أو ليس فيها إجماع.

وفي هذا يقول ابن حزم (ولو أن امرأً لا يأخذ إلا بما اجتمعت عليه الأمة فقط، ويترك كل ما اختلفوا فيه، مما قد جاءت فيه النصوص لكان فاسقا بإجماع الأمة).

(١) سورة الشورى: ١٠.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

فالمتعين على المسلم اتباع الدليل، وترك الشذوذات، وزلات العلماء.

وقد أورد الذهبي وابن كثير عن القاضي إسماعيل بن إسحاق، قال (دخلت يوماً على المعتضد، فدفع إليَّ كتاباً فقرأته، فإذا قد جُمِعَ له فيه الرخص من زلل العلماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما جمع هذا زنديق، فقال: كيف؟

فقلت: إن من أباح النبيذ لم يبح المتعة، ومن أباح الغناء لم يبح النبيذ، ومن جمع زلل العلماء، ثم أخذ بها ذهب دينه، فأمر بتحريق الكتاب).

فليتق الله من يجعلون الخلاف مطية لاستحلال ما حرم الله، وليتذكروا أن ما عند الله لا يُنال بمعصيته، وأن ربنا سبحانه سيسألنا عن إجابتنا المرسلين، فيقول عز وجل ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[1]، وليس ماذا أجبتم خلاف العلماء، وليحذر مَن اتخذه أهل الشهوات مطية لتسويغ واقعٍ محرم أن يبني مستقبله على العز الكاذب، بنشر الشذوذ والأغاليط، فإن العلماء عرفوها قبله، وهجروها لمخالفتها الأدلة، فلا يبعثها من مرقدها، وكأنه عرف ما خفي على العلماء، ولأن يكون الإنسان تابعا في الحق، خير له من أن يكون رأسا في الضلالة.

(١) سورة القصص: ٦٥.

يعظِّمون الحق ويرحمون الخلق

السالك لمنهج السلف الصالح، يُعظِّم الحق، ويرحم الخلق، فتعظيمُه للحق، وبيانه له، لا يحمله على الغل والظلم للمخالف، ورحمتُه للخلق لا تحمله على تسويغ الباطل ومداهنةِ أصحابه، وهذا الاعتدالُ هو منهج أئمة أهل السنة والجماعة -كما يقول ابن تيمية- فإنهم يعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة، سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالىَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]، ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوهم، وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق.

وكثير من الناس لا يستطيع أن يجمع هذين الأمرين، تعظيمَ الحق، ورحمةَ الخلق، فربما نشأ من عدم اتصافهم بالرحمة للمخالفين: الفجورُ في الخصومة، وسلاطةُ اللسان، وخروجُ الأضغان، ونشأ من عدم تعظيمهم للحق: المداهنةُ والتلونُ وكتمُ الحقِ والمكاييلُ المختلفة، ومن كان هذا حاله -إما كتم للحق، وإما ظلم للخلق - فإن من الخير له وللدعوة أن يتركها، وينصرف لعلاج نفسه، حتى يتمكَّن من الجمع بين الحسنيين: بيانِ الحق، ورحمةِ الخلق، ولهذا لما ضحك أحد الناس عند موت ابنه، بحجة أنه راضٍ بقدر الله فلا يبكي، قال العلماء إنه لم يستطع

(١) سورة المائدة: ٨.

أن يجمـع الأمريـن الرضا بقـدر الله، والرحمةَ للميت، في حين أن هدي رسـول الله صلى الله عليه وسـلم أكملُ وأفضـلُ، فإنه جمع بين الرضا بقضـاء ربه تعالى، وبين رحمة الطفل الميت، فإنه لما بكى، قال له سـعد بن عبادة: ما هذا يا رسـول الله؟ قال: هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

فمنهج السـلف الصالح، منهج متكامل، علم وعمل ورحمة وأخلاق فاضلة، ومن تتبع سِيرَ علماء السلف رأى من سعة الصدر، وتعظيم الحق، ورحمة الخلق، ما هـو جدير بأن يحتذى، فهذا العالم السـلفي ابن تيمية رحمـه الله مع أنه ابْتُلي بخصوم كثر، وبعضهم تربص بـه الدوائر، وافترى عليه الكذب، نجده يقول: «هذا وأنا في سـعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله فيَّ بتكفيرٍ، أو تفسيقٍ، أو افتراءٍ، أو عصبيـةٍ جاهلية، فأنـا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أَضبط ما أقوله وأفعله، وأَزِنُه بميـزان العدل، وأجعله مؤتما بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكما فيما اختلفوا فيه».

وقـد ابْتُـلي رحمـه الله بمعاصريـن حسـدوه، وآذوه، وأجلبـوا عليـه بخيلهم ورجلهم، فسُـجن ظلما وعدوانـا، فكتب لأصحابه وهو في السـجن: «...فنطوي بساطَ الكلام، كقول القائل: فلان قصرَّ، فلان ما عمل، فلان أوذي الشيخ بسببه، فـلان كان سـبب هذه القضية، فلان كان يتكلم في كيـد فلان، ونحو هذه الكلمات التـي فيها مذمة لبعض الأصحاب والإخوان. فإني لا أسـامح مـن أذاهم من هذا الباب ولا حول ولا قوة إلا بالله.. ولا أُحب أنِ يُنتَصرَ من أحد بسبب كذبه علي، أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسـلم، وأنا أُحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حلٍّ من جهتي،

وأمـا ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم، فلو كان الرجل مشكورا على سوء عمله لكنت أشكر كل من كان سببا في هذه القضية، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه وأياديه، التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له..».

ولمـا زالت إمارة الجاشـنكير وقُتل، وآلـت الإمارة إلى ابن قـلاوون، أراد ابن قلاوون أن يقضي على أولئك العلماء الخصوم، بسبب فتاويهم السابقة بعزله ومبايعة الجاشـنكير، وأراد أن يأخذ فتوى من ابن تيمية بذلك، فقال لابن تيمية: إن هؤلاء هـم الذين ظلموك وآذوك، وأهدروا دمك. فقال ابن تيمية للسـلطان ابن قلاوون «إذا قتلـت هـؤلاء لا تجد بعدهـم مثلهم من العلـماء الأفاضل»، فقال السـلطان: «لكنهـم آذوك وأرادوا قتلك مرارا»، فقال ابن تيميـة: «من آذاني فهو في حل، وأنا لا أنتصر لنفسي»، وما زال يقنع السـلطان بأن يعفو ويصفح عنهم، حتى استجاب له، وعفا عنهم. عندئذٍ قال القاضي ابن مخلوف -أشد خصوم ابن تيمية-: «ما رأينا أتقـى من ابن تيمية.. حرَّضنا عليه، ولم نُبْق ممكنا في السـعي فيه، ولما قَدِر علينا عفا عنّا، وحاجج عنا».

ويقـول تلميذه ابن القيم: «جئت يوما مبشرا له -أي لابن تيمية- بموت أكبر أعدائـه، وأشـدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسـترجع، ثـم قام من فوره إلى بيـت أهله فعزَّاهم، وقـال إني لكم مكانه، ولا يكون لكـم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، فسرُّوا به، ودعوا له».

تلـك أخلاق العالم المسـلم الذي يجمع بـين بيان الحق، ورحمـة الخلق، ويدفع بالتي هي أحسـن، وقـد قال الله تعـالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ

عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1]، ومهما كانت العداوة فإن الدفع بالتي هي أحسن يصيرِّ العدو -فضلا عن المسلم- وليا حميما.

(١) سورة فصلت: ٣٤.

عليهم ما حُملوا وعليكم ما حُملتم

يقـول الله تعـالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1].

قال شـيخ المفسرين ابن جرير: (وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قـول من قـال: هو خطاب مـن الله ولاةَ أمور المسـلمين بأداء الأمانـة إلى من وَلُوا أمـره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه مـن أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقَسْـم بينهم بالسـوية. يدل على ذلك ما وَعظ به الرعيـة في: أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرسـول وَأُولِي الأَمر مِنْكُم، فأمرهم بطاعتهـم، وأوصى الرّاعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة).

هذا هو الكمال، أن يقوم كل بما أوجب الله عليه، فيقوم الولاة: بالأمانة والعدل، ويقوم الرعية: بالسـمع والطاعة بالمعروف، وعدم قيام أحدهما بما أوجب الله عليه، ليس حجة للآخر أن يترك ما أوجب الله عليه.

فمعصيـة الرعية لا تجيز ترك العدل فيهم، كـما أن وقوع الولاة بالخطأ، لا يجيز ترك السمع والطاعة لهم بالمعروف، فكلهم -الراعي والرعية- آتٍ ربه يوم القيامة فردا، وسيسـأل كل عن عمله الـذي أمره به، لا عن عمل غـيره، ولهذا قال النبي، عليه الصلاة والسـلام: (من كره من أمير شيئا، فليصبر فإنه من خرج من السلطان

---

(١) سورة النساء: ٥٨، ٥٩.

شـبراً مات ميتةً جاهليـة)[1]، فلم يجعل كرهــه لما يأتي به الأمير، مسـوِّغا للمنابذة والخروج، وفي صحيح مسـلم أن سـلمة بن يزيد الجعفي سـأل رسـول الله، عليه الصلاة والسـلام، فَقال: يَا نَبِـي اللهَّ، أَرَأيت إن قامت علينا أمراء يسـألونا حقهم، وَيمنعونا حَقَّنَا فَماَ تَأْمرنا؟ فَأعرض عَنه، ثُم سـأله؟ فأَعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة؟، فَجَذَبه الأشـعث بْن قَيْس، وقال: (اسـمعوا وَأَطيعوا فَإِنما عَلَيهم ما حُمِّلـوا وَعَلَيكم مَا حُمِّلتم)[2]، فكما ترى في الحديث لم يجعل منع الحق مسـوِّغا لعدم السمع والطاعة.

وقال صلى الله عليه وسـلم في الحديث المتفق على صحته: (إنها سـتكون بعدي أثـرة وأمـور تنكرونها، قالوا: يا رسـول الله! فـما تأمرنا؟ قال: تـؤدون الحق الذي عليكم، وتسـألون الله الذي لكم)[3]، فحتى مع الأثرة: التي تعني الانفراد بالشيء، والاسـتبداد به، يأمر النبي، عليه الصلاة والسـلام، بأداء الحق الذي عليه، وسؤال الله الذي له، ولم يرخِّص بالتمرد والعصيان.

والمسـتفيد من العمل بهذه النصوص الشرعية الجميع -الراعي والرعية- لأن الاسـتقرار والأمـن مطلب للجميـع، لا يُقدر بثمـن، وهو لا يحصل مـع المنازعة والمنابذة.

هذا هو دين الإسـلام، كما ترى في النصوص الشرعية، لا يقوم على المعاوضة: إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سـخط، ولا عـلى نظرية العقد الاجتماعي التي أتى بها

(١) صحيح البخارى،حديث رقم (٦٦٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٨٤٦ .

جان جاك روسو وأضرابه، وإنما يقوم على ما تقدم من كلام الله وكلام رسوله- عليه الصلاة والسلام- ولو فعل الناس ما وعظهم به ربهم لكان خيرا لهم، وأشد تثبيتا، ولآتاهم الله من لدنه أجرا عظيما، ولهداهم صراطا مستقيما، برهان ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾[1].

وأما النصيحة للراعي والرعية فهي من الدين، بل هي الدين، كما جاء في الحديث (الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)، ومعلوم أن الولاة من جنس رعاياهم، إن استقام الرعية استقام لهم ولاتهم، وإن حصل عندهم نقص أو تقصير فولاتهم كذلك، فكان على من أراد أن ينصح غيره، أن يبدأ بنفسه فينصحها ويصلح عيوبها، قبل أن ينصح غيره، لا أن يرى القذاة في عين غيره، ولا يرى الجذع في عين نفسه.

ولهذا لما قال رجل لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ما بال الناس اجتمعوا على أبي بكر وعمر واختلفوا عليك؟ فقال رضي الله عنه: لأن رعية أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، ورعيتي أنت وأمثالك.

وطريقة السلف الصالح، في النصح والإنكار متوافقة مع الحكمة والموعظة الحسنة، ومثال ذلك: ما جاء في صحيح البخاري أنه لما قيل لأسامة بن زيد، رضي الله عنه: ألا تدخل على عثمان لتكلِّمه؟ فقال: (أترون أني لا أكلمه إلا أُسمعكم؟ والله لقد كلَّمتُهُ فيما بيني وبينه من دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من

(١) سورة النساء: ٦٦: ٦٨.

فتحه)[1].

قال النووي -رحمه الله- موضحا مُراد أسامة في قوله: «أفتتح أمراً لا أحب أن أكـون أول من افتتحه» يعنى المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ، كما جرى لقتلة عثمان، رضي الله عنه».

قـال الشـيخ ابن باز -رحمـه الله- معلقا على هذا الحديث: (ولـما فتح الخوارج الجهال باب الـشر في زمان عثمان، رضي الله عنه، وأنكروا على عثمان علنا، عظمت الفتنة والقتال والفساد، الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين عـلي ومعاوية، وقُتِل عثمان وعلي -رضي الله عنهما- بأسـباب ذلك، وقُتِل جمع كثير مـن الصحابة وغيرهم بأسـباب الإنـكار العلني، وذكر العيـوب علنا، حتى أبغض الكثيرون من الناس ولي أمرهم، وقتلوه).

وفي رسالة بعثها العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ إلى أحد المشايخ قال فيها: (بلغنـي أن موقفك مـع الإمارة ليس كما ينبغي.. ومثلـك إنما منصبه منصب وعظ وإرشـاد، وإفتاء بـين المتخاصمين، ونصيحـة الأمير والمأمور بالـسر وبنية خالصة تعرف فيها النتيجة النافعة للإسـلام والمسلمين، ولا ينبغي أن تكون عثرة الأمير أو العثرات نصب عينيك، والقاضية على فكرك، والحاكمة على تصرفاتك؛ بل في السر قـم بواجـب النصيحة، وفي العلانيـة أظهر وصرح بما أوجب الله مـن حق الإمارة والسمع والطاعة لها، ولا يظهر عليك عند الرعية، ولا سيما المتظلمين بالباطل، عتبك على الأمير، وانتقادك إياه؛ لأن ذلك غير نافع الرعية بشيء، وغير ما تُعِبِّدتَ به، إنما تُعِبِّدتَ بما قدمت لك ونحوه، وأن تكون جامع شمل، لا مشتت، مؤلف لا منفِّر..).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)

وكثير من الناس يحصرون معنى النصح لولي الأمر، بالنقد وبيان الأخطاء، والصواب أن معنى النصح لولي الأمر يتضمن خمسة أمور وهي:

أولا: اعتقاد إمامته وولايته، ووجوب طاعته بالمعروف، فمن لم يعتقد أنه إمام فإنه غاش لم ينصح له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية، كما أن من خرج عن الطاعة لهم بالمعروف، وافتات عليهم بالتهييج والثورات، لم يعمل بمقتضى البيعة، وليس ناصحا لهم، كما أن من يستعدي الحكام على الناس، بالتشكيك في ولائهم ووطنيتهم بالظن والهوى، وكأنه هو فقط من لديه السمع والطاعة والوطنية، ليس بناصح للولاة.

ثانيا: السعي في تأليف قلوب الناس على ولاة الأمور، وحب اجتماع الكلمة عليهم، وبغض افتراق الرعية عنهم، ومن لم يفعل فإنه غاش ليس بناصح، فكيف بمن يسعى للتنفير عنهم، ويفرح بذلك؟

ثالثا: تنبيههم عما غفلوا عنه من حقوق الرعية، وما يدرأ الشر، ويحقق الخير، بلطف ورفق ولين، وما قد يقع من منكرات بهدوء وحكمة، وبعدٍ عن الصلف واللسانة والفظاظة.

رابعا: القيام بما يُكلِفون به من الأمور بكل صدق وأمانة.

خامسا: عدم غشهم بالثناء الكاذب عليهم تزلُّفًا وطمعا، أو كذبا عليهم وتلونا، ولما قال بعض الناس لابن عمر، رضي الله عنهما، -كما في صحيح البخاري- إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم؟ أجابهم بقوله: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

بعقل مَنْ يوزن كلام اللّه ورسوله

العقـل الصريح لا يمكن أن يتعارض مع النقل الصحيـح، ولم يأت نبينا عليه الصلاة والسـلام بما يخالف العقـول البتة، والعقل الصريح: هو العقل السـالم من الشبهات والشهوات.

وما يُتوهم فيه التعارض فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن النقل ليس صحيحا، وإما أن العقل ليـس صريحا، وربما يجتمع الأمران، عدم صحة النقل، وكون العقل ليـس صريحا، وحينئذٍ لا يقال وقع التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، وبعـض الناس - هداهـم الله - يأتي بمجهولات وينقل عن غيره فلسـفات يظنها عقليـات، فإذا رآهـا تتعارض مع ما ذكـره الله تعالى أو ذكره رسـوله عليه الصلاة والسـلام فيما صح عنـه، عمد إلى تحريف معـاني النصوص، من أجـل أنها تخالف العقـل بزعمه، متكئا عـلى قانون أهل الأهـواء، المتضمن أنه عنـد تعارض العقل والنقـل، فإنـه يُقدَم العقـل، لأن العقل أصل النقـل، وأما النقل فيُتـأول (يحُرّف) أو يُفـوَّض، وهـذا القانون الكلي لأهل الأهواء، باطل من أكثر من خمسـين وجها، ذكرهـا علماء السـلف، ومن شـاء معرفتها فليرجـع إليها في كتبهـم، ومنها كتاب (درء تعـارض العقل والنقل) لابن تيمية، وكتاب (مختصر الصواعق المرسـلة على الجهمية والمعطلة) لابن القيم، ومن المهم أن يُعلم أن مكانة العقل السـامية، وكونه مناط التكليـف، ووردت كثير من النصوص الشرعية حاثة عـلى التعقل والتفكر، كقولـه تعـالى ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، وما جـاء في معناها من النصـوص التي تزيد على سـبعين موضعـا في كتـاب الله، وكـون الحفاظ عليـه من الـضرورات الخمس، لا

يســوِّغ الغلو في العقل، وتقديمه على النقــل، لأن له حدودا لا يصح أن يتجاوزها، وقــد قال الشــافعي رحمــه الله «إن للعقل حداً ينتهي إليه، كــما أن للبصر حداً ينتهي إليه»، ومعلــومٌ كذلك أن العقول متفاوتة، ليس هناك عقــل موحد يُرجع إليه، بل كلٌّ يرى عقله أحســن من عقل غيره، ولهذا فالفلاســفة - كما يقول ابن القيم - مع شدة اعتنائهم بما يسمونه المعقولات، هم أشد اضطرابا فيها، فكلٌّ يدّعي أن صريح العقل معه، وأن مخالفه قد خرج عن صريح العقل، فبعقل مَنْ منهم يوزن كلام الله ورســوله؟ وأي عقولهم تُجعل معيارا له؟ أعقل أرسطو، أم عقل أفلاطون، أم عقل ســقراط، أم عقل الفارابي، أم عقل جهم بن صفوان، أم عقل الجبائي، أم عقل بشر المريــسي، أم عقول القرامطة والباطنية، أم عقول الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، أم عقول المعتزلة وورثتهم، فكل هؤلاء وأضعافهم وأضعاف أضعافهم، يدَّعي أن المعقول الصريح معه وأن مخالفيه خرجوا عن صريح المعقول، وهذه عقولهم تنادي عليهم في كتبهم وكتب الناقلين عنهم.

وإذا كان النبــي عليه الصلاة والســلام وهو أكمل النــاس عقلا على الإطلاق إنما حصل لــه الهدى بالوحي، لا بمجرد العقل، فكيف يحصل الهدى لغيره بمجرد العقــل، قــال تعــالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]، وقــال تعــالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

(١) سورة سبأ: ٥٠.

﴿٥٢﴾ [1] وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [2]، فمن لم يستتر بالوحي فهو ضال عن الهدى، لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، كما أن من قدم عقله على الوحي فليس بعاقل، وقد اعترف من عارضوا الوحي بعقولهم وأهوائهم، أنهم ليسوا عقلاء، وقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [3]، كما ندم كثير من المتفلسفة على دخولهم هذا المستنقع، وبعضهم أراد أن يتقيأه فما استطاع، وبعضهم (وهو الرازي) أعلن خلاصة تجربته فقال: (لقد تأملتُ الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتُها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، ومن جرّب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي).

والمأمول من كل مسلم أن يُقَدِّر الله حق قدره، فلا يعارض كلام الله، فضلا أن يقدم عقله على كتاب الله وسنة رسوله، وكيف لعبد مخلوق ضعيف، أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، كيف يتجرأ بتقديم عقله على كلام خالقه العظيم، الذي ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، والسموات والأرض مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى.

(١) سورة الشورى: ٥٢.

(٢) سورة الضحى: ٧.

(٣) سورة الملك: ١٠.

فلما عصوني كنتُ منهم

عندما يُستهدَف البلد بأمنه ومقدَّراته ومجتمعه، من شذاذ الآفاق، وقطاع الطرق، وأعداء الإسلام، تقتضي الحكمة توحيد جميع جهود أبناء البلد في سبيل صد عدوان الصائل، كل حسب استطاعته، لأن العدو يستهدف الجميع، وتقتضي الحكمة كذلك ترك الجدل البيزنطي، وهو الجدل العقيم، الذي لا يستفيد منه إلا الأعداء، فقد كان البيزنطيون يتجادلون في جنس الملائكة، والعدو على أبواب بلدتهم، حتى داهمهم العدو، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يمنع النزاع، لأنه سبب الفشل كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[1]، وكان يمنع المخذِّل والمرجف، لأن إثارة الخلافات والصراعات، وتهويل قدرات عدونا، وتقليل قدراتنا، واتهام مؤسساتنا، هدف رئيس للأعداء، ولهذا فإن ما يَسُوغ من خلافات وقت السَعة، قد لا يَسُوغ في حال الاستهداف، والمصلحة الكبرى تُقدَّم على المصلحة الصغرى، وترتكب المفسدة الصغرى لتفويت المفسدة الكبرى، إن كان لا بد من ارتكاب أحدهما، هذه قواعد شرعية معروفة، بل حتى العرب في الجاهلية يفرقون بين حال السَعة وحال الاستهداف، فهذا الشاعر الجاهلي دريد بن الصمة، قدَّم نصحه ومرئياته ووجهة نظره لأخيه ولقومه واختلف معهم في ذلك، فكان مما قاله:

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

---

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

لكن لما دهم العدو أخاه وقومه، لم يكن الوقت مناسبا للخلاف، وبيان صواب رأيـه لهم، فترك الخـلاف حينئذٍ وانضم إلى أخيه وقومه، يُدافع عنهم، ولم يتشـمَّت بهم، وقال:

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أو أنني غير مهتد

ثم قال في حق أخيه:

نظرت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج المدد

فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علاني أشقر اللون مزبد

ثم قال:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

مـع أن كثيرا من الناس لاينقل إلا البيت الأخير، منتقدين الشـاعر من خلاله بأنـه إمعة، وليس الأمر كذلك، لكن من يقطع الكلام عن سـياقه، يصل إلى نتيجة خاطئة ظالمة.

أقـول ذلـك: وأنـا أرى جنودنا البواسـل -وفقهـم الله وجزاهـم عنَا خيرا- يحطِّمون كل من يسـتهدف أمن هذا البلد سـواء كان الاسـتهداف على حدوده، أو كان في عمليـات وشـبكات إرهابية في داخلـه، فأعداء الدين والوطن ليسـوا على شيء، وليـس لهـم من الأمر شيء، وإنـما هم مملوكون لأعداء الإسـلام في الخارج، قابعـون في أوكارهـم، لا يشـهدون الصـلاة في بيـوت الله، ينتظـرون التوجيه من أسيادهم الحاقدين في الخارج، ليخربوا بيوتهم بأيديهم، لكنهم بحمد الله:

كناطحٍ صخرة يوما ليُوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهـذا الاسـتهداف يوجب عـلى أهل العلـم والفكر والدعـوة والإعلام، أن تجتمـع كلمتهـم في مواجهة العـدو، ومؤازرة رجال أمننا البواسـل، كـما هو الواقع بحمد الله عند كثيرين، أما أن يُتَخذ هذا الاسـتهداف سُـلَمًا لما لا ينبغي من النزاع، وتشتيت الوحدة الوطنية، ورمي التهم هنا وهناك، وتصفية الحسابات، فهذا الذي يـسر العدو، ويحزن الصديق، والعاقل يُفرِق بين ما يقال في حال السَـعة، وما يقال في حال الشـدة، و يفكر قبـل أن يتكلم، هل في كلامه جمـع للكلمة، وقمع للعدو، فيتكلم حينئذٍ، أم العكس، فيسكت، عملا بقول النبي عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمـن بالله واليوم الآخر فليقـل خيرا أو ليصمت»[1]، وليـس من الخير -فيما أرى- اتهام مؤسسـات الدولـة الإعلامية والدعوية والخيريـة والتعليمية، بعد كل إحباط عمل إرهابي -لا سـيما وهي اتهامات لا تصمد أمام التحقيق العلمي، وأما النقـد البناء «وليس الاتهـام دون دليل» فهو مطلوب، ولكن لـه أصوله وضوابطه ومكانـه وزمانه، وأرجو أن يوفق الله القائمين عـلى البرامج الحوارية التلفازية التي تعقـد اللقاءات بعـد الأحـداث الإرهابية، لوضـع النقاط على الحـروف، لضبط المسـار، ولئلا تزل قدم بعد ثبوتها، فما كل من وصف نفسـه بأنه خبير في الحركات والجماعات والعلاقات والاستشارات ونحوها، يصدق عليه ذلك، لأن كثيرا منها ألقاب توزع بالمجان، وإن بيعت فهي بأبخس الأثمان، ولا كل من زعم الإصلاح، ونفاه عن غيره، تصريحا أو تلميحا، صادق في ذلك.

فالوطن يسـع الجميع، والأصـل حب كل مواطن لدينه ووطنـه وقيادته، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بدليل كالشـمس، والخلاف شر، والتنازع سبب للفشل،

---

(١) رواه البخاري، رقم ٢٦١٦، ومسلم ٤٨.

وقضايا الدين والوطن ليست سبيلا للارتزاق والتملق، وتصفية الحسابات، ورمي الفتيل هنا وهناك.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

البينة على المدعي

لـو يُعطى النـاس بدعواهـم، دون بيِّنـة وبرهـان، لادّعى رجال أمـوال قوم ودماءهم، ولقال من شـاء ما شاء، سواء تحت شعار: (سمعت الناس يقولون شيئا فقلتُه)، أو: (منقول)، أو (كما وردني)، أو غيره ذلك، لكن تلك الأقوال والدعاوى المنتشرة -لا سـيما عبر وسائل التواصل- تذهب جفاءً عند قولك للذي أرسلها أو ادَّعاها: (أين البينة التي تثبت صحة ما أرسلت أو ادعيت؟).

وفي هـذه الأيام انتشرت عبر بعض وسـائل التواصل دعوى وجود شـعرات النبي، عليه الصلاة والسـلام، قلت لأحد مرسـلي هذا الخبر، ما الدليل اليقيني أن ذلك من شعرات النبي عليه الصلاة والسلام؟

فقـال: الدليـل اليقيني دونه خـرط القتاد، ولكـن الناس يتناقلـون هذا الخبر ويقولونه، فقلت: مسـائل الشريعة لا تُبنى على (يقولونه)، ومجرد تناقل الناس لخبر مـا ليس دليلا على صحته، فالناقل يُطالَب بتصحيح نقله، والمدعي يُطالَب بالدليل عـلى دعـواه، وإذا كان التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وسـلم، معمولاً به في عهده -صلى الله عليه وسـلم- مثل مـاء وضوئه، وثوبه وطعامه وشرابه وشـعره، وكان عند أم سـلمة -رضي الله عنها- جلجل فيه شـعر من شـعرات النبي عليه الصلاة والسلام، ثم اندثر ذلك، فإنه لا يُعلم الآن وجود شيء من ذلك على وجه اليقين.

قـال الألباني رحمه الله: (ونحن نعلم أن آثاره صلى الله عليه وسـلم، من ثياب، أو شـعر، أو فضلات، قد فقدت، وليس بإمـكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين).

وإذا كان ذلـك لم يثبـت، فعلينـا بالثابـت وهـو طاعـة النبي-عليـه الصـلاة

والسلام- والتأسي به، والاهتداء بهديه، فنُصدقه عليه الصلاة والسلام فيما أخبر، ونطيعه فيما أمر، ونجتنب ما عنه نهى وزجر، ولا نعبد الله إلا بما شرع، ففي ذلك الكفاية والبركة والسعادة.

وكثير من الناس اليوم يتهافتون على ما لم يثبت عن النبي، عليه الصلاة والسلام، ويجدون نشاطا وتعاطفا وميلا إليه، وربما يتكاسلون عن سنته الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام.

وما كان السلف الصالح يلتفتون لغير ما أمرهم به عليه الصلاة والسلام. فقد بلغ عمر بن الخطاب أن أناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها النبي، عليه الصلاة والسلام، فأمر بها فقُطعت. رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

وهذا يدل على أن الصحابة -رضي الله عنهم- لم يكونوا يهتمون بآثار قدم أو منزل أو مبرك ناقة ونحو ذلك.

ومن كان ناصحا لله ولرسوله وللناس، فَلْيَدْعُ إلى اتباع سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- الثابتة بالسند الصحيح، وليعرض عن الدعاوى والأوهام التي ليس عليها دليل ولا برهان، حماية لجناب التوحيد، وسدا لذرائع الشرك، وخشية من إضلال الناس بغير علم.

اختلاف العلماء وشغب المتعالمين

جرت العـادة عند أهل العلم في تقريرهم للمسـائل الاجتهادية أنهم يذكرون أدلتهـم على ما يرجحونه من الأقوال، ثم يتناقشـون فيهـا، أولا: في صحة الدليل، وثانيـا: في صحـة الاسـتدلال، وثالثـا: في الجواب عـن الأدلة المعارضـة، ثم بعد النظر والتمحيص قد يتفقون عـلى القول الراجح، وقد يختلفون، وإذا اختلفوا فإن اختلافهم لأسـباب يُعذَرون فيها، لأنها ليسـت مبنية على تعليلات عليلة، ولا على الظن وما تهوى الأنفس، وإنما مبنية على العلم، ومن تلك الأسـباب، كون الحديث الذي هو نصٌ في الموضوع لم يبلُغ ذلك العالم، وقد يكون بلغه لكنه لم يثبت عنده إما لأن محدِثَه أو محدث محدثه أو غيره من رجال الإسناد مجهول عنده، أو متهم أو سيئ الحفظ،أو لاعتقاده أن لا دلالة في الحديث، أو لاعتقاده أن تلك الدلالة قد عارضها ما دل على أنها ليسـت مُرَادة، مثل معارضـة العام بخاص أو المطلق بمقيد أو الأمر المطلق بما ينفي الوجـوب إلى أنواع المعارضات، أو اعتقاده أن الحديث مُعارَض بما يدل على ضعفه، أو نسـخه، أو لغير ذلك من الأسـباب التي ذكرها العلماء، ومنهم شـيخ الإسـلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، هذه أسـباب الخـلاف عند أهل العلم، يتناقشـون بعلـم وعدل وإيمان وخـوفٍ من الله تعالى، كلٌ منهم رائده الدليل، يدورون معه حيث دار، وإذا تبين لهم الحق تمسـكوا به وعضوا عليه بالنواجذ، ويحْذَرون أشـد الحذر من تقديم آرائهم وآراء شيوخهم أو غيرهـم على قـول الله ورسـوله عليه الصلاة والسـلام، امتثالا لقـول الله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[1]، هـذا هـو حال العلماء الراسـخين عند اختلافهم في المسـائل الاجتهادية، ومـع أنه ورثهم - بحمد الله - طلاب علم يسيرون على هدي علمائهم الراسخين في تعظيم النصوص الشرعية، إلا أنه مع الأسف نبتت طائفة من المتعالمين، يتكلمون في دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ولأنهم ليسـوا من أهل العلم لم تكن آراؤهم وخلافاتهم مبنيـةً على أدلة وبراهين شرعية، على النحو الذي سـار عليـه العلماء كما تقدم، وإنما خلافاتهم حسـب أهوائهم، فإن كان الدليل الذي يـدل على ما لا يهوونه، موجودا في السـنة المطهرة، قالوا حسـبنا القرآن الكريم، ولا يحتجون بالسُـنَّة، وكأن القرآن الكريـم ليس فيه قوله تعالى﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُـذُوهُ﴾[2]، وإذا رغب أحدهم في تصدير منكر من المنكرات الموجودة في دول العالم إلى بلادنا، ووجد الأدلة المانعة لما يهواه أمامه كالجبال الرواسي، لجأ إلى الاسـتدلال بكلام إنشـائي لا خطام له ولا زمام، أبطله الله في كتابه الكريم، كقول: أكثر من في الأرض يفعلون هذا الأمر الذي يحرمـه علماؤنـا، ولا يمكن أن يكون النـاس كلهم على باطـل، وعلماؤنا على حق!

سـبحان الله هل هـذا دليل يُواجه الإنسـان به ربه يـوم القيامـة؟! يقول ربنا سـبحانه وتعـالى ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، ولا يقـول: مـاذا أجبتم فلانـا وعلانـا، ولا الأكثـر ولا الأقل، فالعـبرة بالدليل، سـواء فعله أكثـر مـن في الأرض، أم أقل مـن في الأرض، لا عـبرة بالكثـرة ولا بالقلة، بل إن

(١) سورة الحجرات : ١.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة القصص: ٦٥.

الاحتجاج بالأكثر هو أحد مسائل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب (إن من أكبر قواعدهم - يعني: أهل الجاهلية- الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله، فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن)، قال الله تعالى ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقال تعالى﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]، وقال ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾[3]، وقال﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ ﴾[4]، والمقصود أن هذا الاستدلال في غاية السقوط والبطلان، ومعلوم أن من يدين بغير الإسلام أكثر ممن يدين بالإسلام، فهل معنى هذا أن الحق معهم لكونهم الأكثر، هذا لا يقوله مسلم يعقل ما يقول، وأما القول بأنه لا يمكن أن يكونوا على باطل وهم الأكثر، نقول: لماذا لا يمكن، وما الدليل من كتاب الله ومن سنة رسول الله أنه لا يمكن؟

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (عُرِضت عليَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي ليس معه أحد...الحديث)[5]، والشاهد قوله: والنبي وليس معه أحد، فمع أنه وحده، ولم يأت معه أحد، إلا أنه على الحق، ومن لم يتبعه على باطل، ولا إخال مسلما يصوِّب

(١) سورة الأنعام: ١١٦.

(٢) سورة يوسف: ١٠٣.

(٣) سورة سبأ: ١٣.

(٤) سورة ص: ٢٤.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٤٠١)، وابن حبان (١٦/ ٣٤٢)، والحاكم (٤/ ٦٢١).

المخالفين للنبي لكونهم كُثُرا، وهو واحد، إلا إن كان غير عاقل، فحينئذٍ لا يستحق أن يخُاطَب بالحجة لأنه لا يعقلها.

فاللهم اهدنا وإخواننا صراطك المستقيم.

هذا جوابي مع التحية والتقدير

بعد إحدى المقالات التي كتبتها، كتب القارئ الكريم الأستاذ غرم الله قليل، وفقه الله، تعليقا تضمن سؤالا هذا نصه: «سؤال للشيخ الفاضل الرضيمان: لماذا تقبلون من الشيخ الألباني كل شيء إلا قوله عن «كشف وجه المرأة»؟ حيث قدمتم العادات والتقاليد على ما يسعه الاختلاف؟».

وكتب سؤالا آخر: حول التفريق بين الزوجين، بحجة عدم كفاءة النسب؟ وهل لعلمائنا فقه خاص؟

ولقناعتي التامة بأهمية التواصل مع القراء الكرام، لأننا نكتب لهم، ونستفيد من أسئلتهم وملحوظاتهم، وقديما قال الفقيه المفسِّر ابن سعدي -رحمه الله-: «ونحن ممنونون في كل ما يقع لكم من إشكالات، لأنها قد تصير سببا لبحث أمور لم تخطر على البال، ومراجعة محالها، وهذا من طرق العلم، فلا تحرمونا ذلك، أرجو الله أن يجعل عملنا وإياكم خالصا لوجهه». فإذا كان هذا ما يقوله العلامة ابن سعدي، فماذا أقول وبضاعتي في العلم مزجاة، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾[1]، فالعلم رزق من الله، والناس يتفاوتون فيه، ينفقون منه حسب ما آتاهم الله، ولهذا أستعين بالله على جواب أخينا الفاضل، وأسأل الله أن يوفقني للصواب، وأن ينفع بذلك كل من قرأه، فأقول:

أولا: قولك -حفظك الله- لماذا تقبلون من الألباني كل شيء...الخ، أقول: يا

(١) سورة الطلاق: ٧.

محب، هذه دعوى لا دليل عليها، ونحن وعلماؤنا لا نتقيَّد بما قال الشيخ الألباني -رحمه الله- ولا غير الألباني، وإنما نتقيد ونعمل فقط بما قاله الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، ونفهمه بفهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ولهذا فبعض أقوال الشيخ الألباني -رحمه الله- تم ردها بمقتضى الدليل الشرعي، ومنها على سبيل المثال: تحريمه لبس النساء للذهب المحلَّق، ومنها: تحريمه استعانة المملكة العربية السعودية بالقوات الأجنبية في تحرير الكويت، بينما علماء المملكة الراسخون في العلم أجازوا ذلك بالإجماع، وتبين أن ما أفتى به علماؤنا هو الحق، الموافق للأدلة، والمحقق لمصالح بلادنا، ولهذا فتميُّز علمائنا الراسخين -بحمد الله- يشهد به حتى المخالفون لهم، يقول القرضاوي وهو أحد رموز حزب الأخوان: «وقفت ضد المشايخ الكبار في السعودية، داعيا لنصرة حزب الله قبل سنوات مضت، لكن مشايخ السعودية كانوا أنضج مني، وأبصر مني، لأنهم عرفوا هؤلاء على حقيقتهم»، وبياني لمكانة علماء المملكة لاسيما الراسخين في العلم منهم، كابن باز وابن عثيمين -رحمهما الله- والمفتي وصالح الفوزان -حفظهما الله-، لا يعني أنهم معصومون، كلا، ولكنهم محل الثقة والعلم والفقه والديانة، ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ومن أبرز سماتهم أنهم يعظِّمون الدليل، وقد سمعت شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- أثناء الدراسة عليه، يقول: «من خالفني بمقتضى الدليل عنده، فهو من أحب الناس إليَّ، وأنا وهو متفقان، لأننا جميعا اتفقنا على تطبيق قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]، فكل منا رده إلى الله والرسول ولم يجامل الآخر».

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

ولهذا ربما يختلف علماؤنا في المسائل الاجتهادية، مع محبتهم لبعض، فالشيخ ابن باز رحمه الله – على سبيل المثال- لا يرى وجوب طواف الوداع للمعتمر، بينما شيخنا ابن عثيمين –رحمه الله- يرى وجوب ذلك، وهما معا يريان وجوب الزكاة في الحلي الذي تستعمله النساء، بينما لا يرى شيخنا صالح الفوزان –حفظه الله- وجوب ذلك.

ثانيا: قولك حفظك الله: «قدمتم العادات والتقاليد على ما يسعه الاختلاف»، أقول: تغطية وجه المرأة، ليست عادة وتقاليد، وإنما هي عبادة جاءت الأدلة بمشروعيتها، ومساحة المقال لا تتسع لذكر تلك الأدلة، فأحيلك والقارئ الكريم إلى رسالة صغيرة لطيفة لشيخنا ابن عثيمين –رحمه الله- بعنوان: (الحجاب) ففيها الأدلة الشرعية، على وجوب تغطية وجه المرأة، وأربأ بأخي الكريم أن يسمي ما وردت به الأدلة الشرعية، مجرد عادات وتقاليد.

ثالثا: هذه المسألة – تغطية وجه المرأة- مسألة خلافية بين العلماء، منذ زمن طويل، اختلف فيها العلماء على قولين، وكلٌّ له أدلته، وفهمه لتلك الأدلة، وجرى العمل في بلادنا منذ تأسيسها على القول بتغطية وجه المرأة، باعتباره في نظر علمائنا هو القول الراجح من قولي العلماء، فما كان ينبغي لأخينا –سامحه الله- أن يصف من أدَّاه اجتهاده إلى ترجيح أحد القولين، بأنه مُتبعٌ للعادات والتقاليد!

ولا يخفاك أخي الكريم أن بعض الناس ينتقون من فتاوى العلماء ما يُوافق رغباتهم، دون نظرٍ في الأدلة، ومعلومٌ أن الشيخ الألباني رحمه الله –وهو الذي استشهدتَ به- يرى تحريم المعازف والأغاني، وهو يوافق علماءنا في ذلك، بمقتضى الأدلة الشرعية، ومع ذلك فالانتقائيون لا يأخذون ذلك منه، وإنما فقط يأخذون

قوله بعدم وجوب تغطية وجه المرأة، وهذا المسلك الانتقائي غير صحيح.

رابعا: سؤالك الآخر عن قضية تكافؤ النسب، والتفريق بين الزوجين بعد وجود الأبناء.

أقول: إن القضاة والعلماء لم يتدخلوا في أمر زواج مباح اتفقت عليه الأسرتان، مهما كان نسب هاتين الأُسرتين، وإنما تلك الأُسر هي التي ذهبت للقضاة في المحاكم، طلبا لحل إشكالات ربما تصل إلى أمور لا تحمد عقباها، فحينئذ ينظر القضاة في ذلك، لتحقيق المصالح، ودرء المشاكل بينهم، وأنت تعلم - أخي الكريم - أن الوسائل لها أحكام المقاصد، فأحيانا يُمنع المباح، إذا أدى إلى شرٍ وفتن، كما أن إنكار منكر معين، يحرم إذا كان يؤدي إلى منكر أكبر، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، وإذا كان إتمام زواجٍ معين، أو استمراره، يؤدي إلى شرٍ واقتتال، فإنه يمنع لمصلحتهم جميعا، حتى لو كانوا أقارب نسبهم واحد، فضلا عن ما ليس كذلك.

(١) سورة الأنعام: ١٠٨.

لا تكونوا عونا للعدو على وطنكم

وعظنا الأمير الصالح المصلح نايف بن عبدالعزيز رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، وجعله من ورثة جنة النعيم، وعظنا موعظة بليغة، وأوصانا وصية مُودِّعٍ محبٍ مُطَّلِعٍ، فقال: (أقولها بكل وضوح وصراحة، نحن مستهدفون في عقيدتنا، نحن مستهدفون في وطننا، دافعوا عن دينكم قبل كل شيء، دافعوا عن وطنكم، دافعوا عن أبنائكم، دافعوا عن الأجيال القادمة)، وبحمد الله فإن أبناء هذا الوطن يعملون بهذه الوصية العظيمة، ويستشعرون مكانة هذا الوطن الذي هو مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، ويستشعرون مكانة قيادته الذين هم حماة العقيدة الصحيحة منذ ثلاثة قرون، ولذلك نرى تفاني أبناء هذا البلد، وتكاتفه مع قيادته، ورجال أمنه، بصورة لا نظير لها في العالم، لأن هذا هو الواجب عليهم شرعا، ولأنهم يعلمون أن حفظ سور بيوتهم الخاصة التي تضم أبناءهم ومحارمهم، لا يتم إلا بحفظ سور وطنهم، ومن اقتحم -لا قدر الله - سور الوطن الكبير، فسيتخطى سور البيت الصغير، ويعلمون كذلك أن كثيرا من المفسدين، وأهل التحريش، يرفعون رايات الإصلاح، وهم في الحقيقة مفسدون، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[١]، ولا يخفى عليهم أن المُفسِد ابن سبأ رفع (شعار الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ بيت المال)، فهيَّج الناس، وملأ قلوبهم حقدا على ولاتهم، فكان نتيجة ذلك قتل إمام المسلمين الخليفة الراشد عثمان رضي الله

---

(١) سورة البقرة : ١١، ١٢.

عنـه، ونهب بيـت المال، ووقوع المنكـر، فأبناء هذا الوطن الكريـم لا تنطلي عليهم الشعارات البرَّاقة، وإنما ينظرون إلى الحقائق والمآلات، آخذين العلم من النصوص الشرعيـة ومن التاريخ، ولهذا لما جاء ما يسـمى إعلاميا بالربيع العربي، كان موقف أبنـاء هذا الوطن بعلمائه وكتابـه ومفكريه ودعاته وخطبائه وسـائر مواطنيه موقفا مشرفا، وقفوا مع وطنهم وأمنهم وقيادتهم، ومن أراد بالوطن سـوءا ردوه خاسـئا وهو حسير، لكن بعض أبناء الوطن، ربما بحسن نية، وعدم فقه للمآلات، صدرت منهم أقوال اسـتفاد منها أعداء الوطن، وربـما لو تصوروا مآلات أقوالهم لما تحدثوا بها، وإن كانت حقاً، فكيف وهي أوهام لا تصمد أمام البحث العلمي؟

فـإن قيل العبرة بالنوايا، فالجـواب أن النتائج تبنى على المقدمات، بغض النظر عن النوايا، فمثلا من كان فظا غليظ القلب فإن النتيجة الحتمية هي انفضاض الناس عنه، مهما صلحت نيته، قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، فكذلـك مـن يقول كلاما خطيرا ضـد وطنه، فإنه يخـدم الأعـداء، وإن كانت نيته سـليمة، صحيح أنهم قلة لا يتجاوزون أصابع اليدين، لكن ذلك مؤثر، فالشخص الواحد يخرق سفينة فيغرق الجميع، وأنا هنا لست ضد النقد، النقد مطلوب، ولكن يمكن أن يوجه لمن يعنيه الأمر، فمثلاً: نقد المقررات الدراسـية، يمكن أن يكون في مجمعات علمية، ومجالس تربوية، مع أهل الشأن، فيقدِّم المنتقِد ما لديه من نقولات يراها تؤيد العنف والفكر الضال، وليستمع من أهل الاختصاص، فربما يتبين له أنه متوهـم، فيحمـد الله أن تبين له الحق، وإن كان فيه ما يسـتوجب التعديل والتطوير ففي الوزارة وكالة معنية بهذا الشـأن، وتتقبل الملحوظات، فهذا شأن داخلي، لكن

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

بعـض الكتاب والخطباء - هداهم الله - تسرعوا فنشروا للعالم في وسـائل الإعلام تهما خطيرة تتضمن أن مقرراتنا الدراسـية تدعـو للعنف والفكر الضال الذي عليه داعش، وقد اسـتفاد مـن تلك التهم الظالمـة كل من له موقف سـلبي ضد وطننا، فصاروا يقدمونها على أنهـا حقائق تدين وطننا، ومن ذلك ما ذكره المذيع الأوروبي المسـمى سيباسـتيان من تهم، قدمها حججا له يريد من خلالهـا إدانة بلادنا، وكأنه يقـول ندينكم بما قاله بعض أبناء وطنكم، ولذلك صرَّح ببعض الأسـماء، وعرَّض عـن بعض، وذلك في مقابلته مع الأمـير تركي الفيصل وفقه الله في برنامج في دائرة الخطر، وكنتُ درسـتُ تلك التهم في كتابي (الدعاوى المتعلقة بالمقررات في التعليم بالمملكة العربية السـعودية، عرض وتقويم) فوجدتُ أن بعضها نقولات لا وجود لها في المقررات، وبعضها قُطع من سـياقه وقيوده التي توضحه، وبعضها لاسـيما ما يتعلق بسماحة الإسلام، تم كتمه، وحاشـا مقرراتنا الدراسية أن تتضمن الإرهاب وفكـر داعش، لقد خرَّجـت المقررات علماءنـا وأمراءنا وكتابنـا ومجتمعنا، وحتى الناقديـن لها هـم من خريجيها، بل إن ما في المقررات من علم هو ما يبطل شـبهات أصحاب الفكر الضال، فكيف يقال إنها تتضمن العنف؟

وأعداء الإسـلام- يفرحـون بهذه التهم- مع أنهم يعلمون بـراءة مقرراتنا من العنف وداعش، فداعش والقاعدة صنيعتهـم، وهي بضاعتهم، ووَفَّرُوا لعناصرهما المأوى والدعم، ونحن المتضررون منهما، فهم جمعوا بين سـيئتين، أوجدوا تنظيمات تحاربنا، واتهموا مقرراتنا الدراسـية، كسـبوا إثما، ورموا به بريئا، وقد حاورت منذ اثنتي عشرة سنة ولا أزال موقوفين في قضايا أمنية، ووالله ما سمعت أحدا قط ذكر أن المقررات الدراسـية سـبب في ما وقع فيه، وإنما يذكرون أسبابا أخرى ليس هذا موطن ذكرها.

ومعلوم أن كثيرا من أفراد حركات العنف وداعش هم من دول أخرى، فلماذا لم يتم اتهام مقرراتهم الدراسية، كما يفعلون مع مقرراتنا؟ فهذا يبين أن الهدف هو استهداف وطننا، وإذا كنا نتفهم تجني أعداء الإسلام، لأن الله أخبرنا عن ذلك فقال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾[1]، فإنه ليحزنني جدا أن يكون بعض أبناء هذا الوطن - هداهم الله - مصادر لمن يستهدف وطننا، يعطونهم الذريعة الكاذبة، ليسلقوا وطننا بألسنة حداد، والله تعالى يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[2]، ولا يليق أن تكون ردود الأفعال، أو الصراعات بين التيارات، أو أي مسوَغ آخر، سببا لإطلاق تهم كاذبة خاطئة يستفيد منها أعداء وطننا، ومن تلكم التهم ما ذكره الأوروبي تيم سيباستيان من أن: مقررات المملكة الدراسية ترى قتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ولسوء فهمه زعم أن ذلك من العنف، والواقع أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي قال (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله)[3] فمشكلته مع الإسلام ونبي الإسلام، وليست مع مقرراتنا، ويجهل هذا المذيع الأوروبي، وربما مصادره من بعض بني جلدتنا، كذلك يجهلون معنى الحديث وضوابطه، ويغمضون أعينهم عن ما جاء في المقررات من ضوابط تشرح ذلك، ولهذا أقول: ليس المقصود بلفظ (الناس) في قوله (أمرت أن أُقاتل الناس)

---

(١) سورة البقرة: ٢١٧.

(٢) سورة آل عمران: ١١٨.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٥، ومسلم رقم ٢٢.

كل الناس، فالمؤمنون من الناس وهم مستثنون، والمنافقون من الناس وهم مستثنون لأنهم يقولون لا إله إلا الله، والكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين، وكذا المستأمنون والمعاهدون مستثنون، والأدلة على ذلك كثيرة، ولا يصح أن تُفهم النصوص بطريقةٍ اجتزائية، يقول الله تعالى﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1]، فكما ترى القتال إنما هو لمن قاتلنا، وأما الاعتداء فمنهي عنه بنص الآية، ولهذا لم يقتل النبي عليه الصلاة والسلام اليهودي، بل مات ودرعه مرهونة عنده، وأمرنا ربنا أن نبر ونقسط إلى من لم يقاتلنا ولم يخرجنا من ديارنا من الكفار، كما قال تعالى ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[2]، والمقصود أن لفظ (الناس) من العام الذي أريد به الخاص، ونظيره لفظ الناس الوارد في قوله تعالى ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾[3]فهو ليس للعموم، وإنما المراد بالناس في الآية (الصحابة)، وكل هذا موجود في مقرراتنا، لكن الذي يريد الإدانة لجهله أو عدوانه ينتقي جملة ويقطعها عن سياقها، ثم ينشرها في الآفاق، ومن الغرائب أن مقررات إسرائيل وإيران وكثير من دول الغرب تتضمن أفكارا متطرفة، وعنصرية بغيضة، ومع هذا لم يذكر ذلك كُتَّابهُم، بينما بعض بني جلدتنا تسلطوا على مقرراتنا بظلم وجهل.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

(١) سورة البقرة: ١٩٠.

(٢) سورة الممتحنة: ٨.

(٣) سورة البقرة : ١٣.

هذا المسلك فتنة لطائفتين

من وفَّقَه الله تعالى لسلوك طريق الاعتدال الذي جاءت به الأدلة من الكتاب والسنة، وسار عليه خير القرون، فإنه يكون على صراط مستقيم، ومنهج مطّرد، لا يتناقض ولا يدور في فَلَك طوائف متحزبة، كل حزب بما لديهم فرحون، وإنما يقبل الحق وإن جاء ممن يكرهه، ويرد الباطل وإن جاء ممن يحبه، عملا بقوله تعالى (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)، ومع هذا فهو ليس بفَظّ ولا غليظ القلب، وإنما يرد ما يراه خطأ بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[1]، وأما من تربى على الحزبيات، فإنه يدور في فلكها، يحب ما يحبه الحزب، ويكره ما يكرهه، لأن الولاء والبراء عند تلك الأحزاب إنما هو على أهواء أنفسهم وأحزابهم، لا على دين الله ورسوله، وهذا خلل عقدي، وتقديم للهوى على الهدى، ومن أضل ممن اتبع هواه، ولهذا قال الله تعالى لنبيه داود، عليه السلام: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، وحري بأهل العلم والفكر أن يحَذروا تحزيب الناس، وفي هذا يقول ابن تيمية، رحمه الله: «وليس للمعلمين أن يحُزِّبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[3]، وليس لأحد منهم

(١) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) سورة المائدة: ٢

أن يأخذ على أحد عهدا بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا، ومن خالفهم عدوا».

وهذه الحزبيات تُربي أفرادها على قبول ما يقوله الحزب أو أحد أفراده، وإن كان خطأ، وبالتالي الدفاع عن الخطأ، وإيجاد التأويلات والمخارج لتصحيحه ما دام صدر ممن يحبونه، واعتبار من يَرُد عليه عدوا للإسلام والمسلمين، وفي المقابل: يقفون من خطأ من ليس من مجموعتهم موقفا مُتَشنِّجا، يتجاوز رد الخطأ، إلى الشخصنة، والقدح في إيمان من يرونه أخطأ، والشماتة به، وكأنهم فرحون بخطئه، يشيعونه عبر المقاطع ووسائل التواصل التي خصصوها لهذا الغرض، تحت غطاء النصح، والرد على المخالف، بينما لو كان من مجموعتهم لصمتوا صمت القبور، هذا المسلك ليس من الدين ولا من العقل ولا من الرجولة.

والمُلاحظ أن كثيرا من الأخطاء إذا وقعت في زماننا، تكون فتنة لطائفتين، طائفة تُدافع عن الخطأ، بل تُصوِّبه، لصدوره ممن يحبونه، وطائفة تذمه، وتبالغ في ذلك، لصدوره ممن يبغضونه، فتجعل ذلك الخطأ سُلَّما لهم للقدح فيه، وتصفية الحسابات، وربما إخراجه من التقوى والإيمان، والخوارج والمرجئة، بل سائر أهل الأهواء، دخل عليهم الداخل من هذا الباب.

وأما من سلك طريق الاعتدال فإنه يُعظِّم الحق، ويرحم الخلق، فلا يُجامِل أحدا بتسويغ خطئه، وإنما يرد على الخطأ، ويبين ما يراه صوابا، ويذكر الأدلة عليه، بعلم وعدل وتواضع ورفق ورحمة بالمُخالِف، ودعاء له بأن يوفقه الله للصواب، فذلك أدعى لقبول الحق، كما هو دأب الصادقين، منذ زمن النبي -عليه الصلاة والسلام-

إلى زماننا هذا، وكنت قرأت ردا للإمام محمد بن عبدالوهاب على أحد المخالفين ممن عاند الحق وآذى الشيخ، جاء في تلك الرسالة قوله -رحمه الله- لذلك المخالف: «إني أدعو لك في سـجودي»، ولو قارنا ذلك بما يقع في كثير من السـجالات اليوم لرأينا البون شاسعا، ومن أراد بيان الحق لينفع نفسه وأخاه، سيختلف أسلوبه عمن يريد الظهور لنفسه، وإسقاط غيره، كما هو دأب من لا يعيش إلا في الصراعات الباطلة، والتصنيفـات الظالمة، والحزبيـات المقيتة، فلا أرضا قطع، ولا ظهـرا أبقى، وتأمل -أخي القارئ- ما ذكره شـيخ الإسلام، في هذا الكلام النافع، تجده مطابقا لما عليه كثير من الناس في زماننا، يقول رحمه الله: «ومما يتعلق بهذا الباب أن يُعلم أن الرجل العظيم، في العلم والدين، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أهل البيـت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهـاد، مقرون بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسـبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين، ومثـل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين: طائفـة تُعَظِّمه، فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه. وطائفة تذمه، فتجعل ذلك قادحا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه مـن أهل الجنة، بل في إيمانـه حتى تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسـد. والخـوارج والروافض وغيرهم مـن ذوي الأهواء دخل عليهـم الداخل من هذا.

ومن سلك طريق الاعتدال عظّم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظِّم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسـيئات، فيُحْمَد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحُب من وجه، ويُبْغَض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم».

وإني لأسـأل الله تعالى أن يهدي الجميع لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي

من يشـاء إلى صراط مسـتقيم، وأن يُعـافي الجميع من هذه الحزبيـات التي أدت إلى اصطفافـات مـا أنزل الله بهـا من سـلطان، حتى آل الأمـر إلى أن بعـض المغردين والقارئين ونحوهم يعجبه قول معينٌ، ويرغب أن ينشره، فلا يستطيع ذلك، لكون ذلك القول الصواب صدر ممن لا يرتضيه حزبه، وهو يخشـى من عتابهم ولومهم، فأين حرية المؤمن وعزته واتباعه الحق؟!

هل الإسلام دين المساواة

هـذه الجملة (الإسـلام دين المسـاواة) لم تـرد في كتاب الله تعالى، ولا في سـنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ولا قالها أحد من أصحاب القرون المفضلة - فيما أعلم - ومن أراد بها المساواة (المطلقة) بين الناس عموما، فهو مخطئ في ذلك، ومن أمثلة ذلك أنه: ليس الذَكر كالأنثى، بل كلٌ له خصائص سـخرها الله له، وهذا من التكامـل، فمن أراد أن يلغي الفوارق، ويكلف المرأة بما ليس من شـأنها، أو يكلف الرجل بما ليس من شأنه، متوهمًا أن:

الذكـر كالأنثى، فإنه يُذَكَّـر بقوله تعـالى ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[1]، فالمرأة لها مهام جليلة، استحقت بسبب القيام بها أن تكون أحق الناس بصحبة ابنها، بل قدم النبي عليه الصلاة والسـلام حقها على الأب ثلاث مرات، فقال: (أمك، ثم أمك، ثـم أمك، ثم أبـوك)، والرجل له خصائص، جعلت القوامة لـه كما يدل عليه قوله تعالى (الرجال قوامون على النسـاء بما فضَّل الله بعضهم على بعض)، فكلٌ ميسر لما خُلِق له، فمن أراد أن يقحم المرأة بما ليس من شأنها، فهو ظالم لها، وإن زعم خلاف ذلك، ولهذا فالصواب أن يقال (الإسـلام دين العـدل)، لأن العدل هو إعطاء كل ذي حـق حقه، وقد أمر الله به فقـال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[2] وقال ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾[3]، بينـما المسـاواة تعني: إعطـاء الجميع مثل بعـض، وفي التطبيق العملي

(١) سورة آل عمران: ٣٦.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٢.

لهذين المفهومين، نجد- على سبيل المثال - أن الأستاذ الذي يعدل بين الطلاب، يعطي كل طالب ما يستحقه من الدرجات، بينما الذي يساوي بينهم نجده يعطيهم درجات متماثلة، وإن اختلف أداؤهم، فيكون بذلك ظالما لهم بهذه المساواة، والذي يعدل بين الناس يُنزِل كل واحد منهم منزلته اللائقة به، ولا يساوي بين من أبلى بلاء حسنا في خدمة دينه وبلده، بمن ليس كذلك، وإذا كانت المساواة لم ترد في القرآن الكريم، فإن الذي ورد فيه هو نفي المساواة، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[3]، وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾[4]، وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[5]، فالفروق بين الناس معلومة قدرا وشرعا. صحيح أن جميع الناس مطالبون بعبادة الله وحده، كما لا يستثنى أحد من الحدود الشرعية، وكلهم متساوون في كونهم من بني آدم، وقد كرَّم الله بني آدم، كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[6] ولا يخرج من هذا التكريم إلا من أهانه الله بسبب

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة النساء: ٩٥.

(٣) سورة الرعد: ١٦.

(٤) سورة الزمر: ٩.

(٥) سورة الرعد: ١٦.

(٦) سورة الإسراء: ٧٠

خروجه عن طاعته، كما قال تعالى ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[1]، ومتساوون في الوعد والجزاء، كما قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]، لكن هذا لا يعني إطلاق المساواة، ونفي الفوارق الشرعية، فإن قال قائل: ما تقول في حديث: (الناس سواسية كأسنان المشط)[3]، وحديث (لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى)[4]، وأن الناس كلهم من تراب، فالجواب: أما حديث (الناس سواسية) فهو غير صحيح، وأما الحديث الآخر (لا فرق...) فقد أثبت الفرق بقوله: إلا بالتقوى، مع كون طائفة من أهل العلم ضعفوا هذا الحديث، وأما كون الناس كلهم من تراب، فصحيح، لكن التربة والأرض تختلف، فمنها أرض طيبة، تمسك الماء وتنبت الكلأ، ومنها أرضٌ سبخة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، بدليل قوله تعالى ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾[5]، قال شيخ المفسرين الطبري في بيان معنى الآية (وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات، يقرب بعضها من بعض بالجوار، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض، فمنها قِطْعة سَبخَةٌ لا تنبت شيئًا في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع)، وبين النبي عليه الصلاة والسلام أن

(١) سورة الحج: ١٨

(٢) سورة النحل: ٩٧

(٣) رواه ابن عدي في الضعفاء، وحكم عليه بالوضع، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وذكر أسانيده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة حديث رقم ٥٦٩.

(٤) رواه البيهقي وصححه الألباني.

(٥) سورة الرع: ٩.

من الأرض ما هي طيبة تقبل الماء وتنبت العشب، ومنها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فكذلك الناس، منهم الطيب ذو الأصول الطيبة، الذي لا يستغرب منه الطيب، لأن معدنه طيب، ومنهم الرديء الذي لا خير فيه مهما أحسنت إليه، لأن معدنه رديء، ويدل على أن الناس معادن مختلفة، قول النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري (تجدون الناس معادن)[1]، قال الحافظ ابن حجر (قوله: تجدون الناس معادن، أي: أصولا مختلفة، والمعادن جمع معدن، وهو الشيء المستقر في الأرض، فتارة يكون نفيساً، وتارة يكون خسيسا، وكذلك الناس).

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٣٣٢٥.

وجاءكم النذير

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[1]، قال ابـن عبـاس رضي الله عنهما في قوله تعـالى: أو لم نعمركم أي: نبلغكم سـتين عاما، و﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ هو النبي عليه الصلاة والسـلام، وقـال البخاري في صحيحه، هو: الشيب، ثم أورد بسنده حديثا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بَلَّغَه ستين سنة»[2]، مع أن الإعذار يكـون قبل هذا، لكنه خصّ السـتين لكونها قريبة من معترك المنايـا، قال ابن بطال في شرح البخاري: (إنما كانت السـتون حدًّا لهذا لأنها قريبة من المعترك، وهي سـن الإنابـة والخشـوع وترقب المنية، فهـذا إعذار بعد إعذار لطفا مـن الله بعباده، حتى نقلهـم من حالة الجهـل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحـة، وإن كانوا فُطروا على حب الدنيا وطول الأمل، لكنهم أُمروا بمجاهدة النفـس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية، وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل، وأصرحُ من ذلك ما أخرج الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنهم رفعه: «أعمار أمتي ما بين السـتين إلى السـبعين وأقلهم من يجوز ذلك..)[3]، ومعلومٌ أن بلوغ الأشـد يكون ببلوغ الأربعين سنة، كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ

(١) سورة فاطر: ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٩).

(٣) رواه الترمذي برقم ٣٥٥٠، وحسنه ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٢٤٠.

﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[1]،
وكل شيء من أمور الدنيا إذا بلغ تمامه، فإنه ينقص، فهذا الهلال ينموا رويدا رويدا، فإذا تم اكتماله، أخذ بالنقص والاضمحلال، وهكذا عُمُر الإنسان، قال العلماء: في بلوغ العمر أربعين سنة استكمال الشباب واستجماع القوة وهو عمر تام ولا يزال بعده في نقصان وإدبار، فإذا بلغ ستين سنة فقد جاء أوان التذكر، لأن الأربعين منتهى استتمام القوة، فإذا جاوز إلى ستين فقد أتى عليه عشرون سنة في النقصان، وهو نصف الأربعين الذي هو منتهى القوة، فقد افتقد من نفسه نصف القوة فلذلك صار حجة عليه، فكان حريا بأن يتذكر وينيب ويزيد في الطاعات، فقد قرب الرحيل.

ومما ينبغي التفطن له: أن الاستعداد ليوم المعاد لا يعني الرهبنة وترك العمل كما يتوهمه الجهال، فالمؤمن مطالب بالعمل والإنتاج ونفع الناس، وفي هذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)[2]، ومطالبٌ كذلك بعدم نسيان نصيبه من الحياة الدنيا، كما قال الله تعالى ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[3]، فلا رهبانية في الإسلام، وفي المقابل لا يعني الإقبال على الدنيا، كراهية التذكير بالآخرة، أو أن التذكير بآيات الله موضعه المساجد فقط، كما يتوهم ذلك من يفصل الدين عن

(١) سورة الأحقاف: ١٥

(٢) أخرج البخاري في الأدب المفرد، ٤٧٩، والإمام أحمد في المسند ١٢٧٣٧.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

الحياة، ولو تأملوا لعلموا أن تذكر الآخرة، يجعل الإنسان يتقن عمله، ويبدع فيه، ولا يظلم، ولا يخون، ومع الأسف لكثرة تزهيد بعض الناس من الوعظ، صدَّقهم بعض الجهال، وصاروا إذا أرادوا أن يلمزوا أحدا قالوا هذا واعظ أو من الوعاظ، وإذا أرادوا أن يلمزوا كلاما قالوا هذا خطاب وعظي، وكأنَّ ذلك سُبَّةً، مع أن الله تعالى أخبر عن نفسه أنه يعظ عباده فقال تعالى ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] ووصف كتابه الكريم بالموعظة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[2] ورسولنا عليه الصلاة والسلام يعظ أصحابه، كما قال العرباض بن سارية (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة)[3]، والمقصود: أن الوعظ منهج شرعي، يستعمل حسب مقتضيات الحال، كما يستعمل الجدال، والحجاج العلمي، وبيان فرائد الفوائد، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4]، فلا يُلتفَت لمن يزهِّد في هذا المنهج الشرعي، القائم على الأدلة، وليس على أفكار وأدبيات بعض الجماعات الوافدة المنتسبة للإسلام، التي كانت - في فترة ماضية - تُرهِب الطلاب، حتى طلاب الابتدائي الصغار من البنين والبنات، تُرهبهم بتماثيل جنائز يصنعونها لتمر على الطلاب وقت الاصطفاف الصباحي للمدارس، وهذا الخطأ منهم ليس مسوِّغا

(١) سورة النور: ١٧.

(٢) سورة يونس: ٥٧.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، والترمذي٦٧٦، وابن ماجه٤٣، وأحمد ١٧١٤٤.

(٤) سورة النحل: ١٢٥.

لخطأ آخر، وهو التزهيد من الوعظ الموافق للمنهج النبوي، فالخطأ لا يُعالج بخطأ، ومن المفارقات أن المُزهِّدين بالوعظ، هم أنفسهم يعظون كثيرا، لكنهم يعِظون بما يضرهم ويضر المجتمع، ومن وفقه الله إذا ذُكِّر بآيات ربه، ووقوفه بين يدي الله، زاد إيمانه، وحسن عمله، ولم تأخذه العزة بالإثم، وإنما ينصت بتواضع، قال عطاء بن أبي رباح: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط وقد سمعته قبل أن تلده أمه، ولهذا حتى الجن لمّا سمع نفرٌ منهم آيات الله تتلى قالوا لقومهم: أنصتوا، وقالوا: أجيبوا داعي الله، كما في سورة الأحقاف، فلا خير في رجلٍ، الجنُ خير منه.

ومن نعمة الله تعالى: أن المؤمن أمره كله خير، وإذا أذنب وأخطأ، فإن التوبة تجب ما قبلها، فلو بلغت ذنوب العبد عَنان السماء، ولو كانت أكثر من زبد البحر، إذا تاب تاب الله عليه، وأبدل سيئاته حسنات، كما جاء ذلك نصاً في سورة الفرقان، فبعد أن ذكر الله جزاء من وقع في الشرك، وقتل النفس بغير حق، والزنى، قال بعدها: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1]، وفي سورة الزمر يقول تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[2]، لم يستثن ذنبا وإنما كما في الآية الكريمة (جميعا)، ولاحظ أنه قال: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ ﴾، لم يقل: (الذين اتقوا – الذين أخبتوا – الذين آمنوا) إنما قال: ﴿ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ ﴾، والتوبة يسيرة على من يسرها الله عليه، لا تتطلب إلا الإقلاع من الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العودة إليه، فإن عاد إليه، فليعد إلى التوبة مرة أخرى،

---

(١) سورة الفرقان: ٧٠.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

فالتوبة يسيرة، لا كما يقوله بعض أصحاب الجماعات والتنظيمات المنتسبة للإسلام، الذين ينقلون أصحاب الذنوب، من الشهوات إلى الشبهات وأماكن الصراع، فيقولون لهم لا تقبل توبتكم إلا بالجهاد، فيزجونهم في أماكن الصراع، ليرجعوا إلينا مُكَفِّرين ومُفجِّرين، هؤلاء غير صادقين ولا ناصحين، والصواب أن مجرد الانتهاء من الذنب، والاستقامة على طاعة الله، سبب للمغفرة، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] هكذا بكل سماحة، إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف، إذا كان يُغفر للكافر إذا انتهى، فالمسلم الذي وقع ببعض الذنوب أولى، فلا حاجة للتنطع، ولا للغلو، ولا للآصار، ولا لأذية الناس، بل يكف شره فذلك صدقة منه على نفسه.

(١) سورة الأنفال: ٣٨.

كشف الشبهات

وفق الله الإمام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، للقيام بدعوة إصلاحية عظيمة أعادت للناس في الجزيرة العربية صفاء الدين الخالص ونفوذه وقوته، أمضى حياته كلها في الدعوة إلى التوحيد، الذي هو دعوة الرسل جميعا، وقد جرت سنة الله أنه ما دعا أحدٌ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عودي وأوذي، ولذلك عُودي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأُوذي من أعداء التوحيد، الذين رأوا أن دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له، صرفٌ للناس عن التبرك بهم، وتحذيرٌ من اتخاذ الصالحين من أهل القبور شفعاء يقربونهم إلى الله زلفى كما يزعمون، وبيان لحقيقة من يدَّعون أن النبي عليه الصلاة والسلام يحضر مجالسهم، ويؤيدهم على شطحاتهم، فأضلوا بسبب ذلك أتباعهم في هذه الدنيا، ويوم القيامة يقول الأتباع: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[1] وقد سرَّ بدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى التوحيد أقوامٌ أراد الله بهم خيرا، وضرَّ بها آخرون من دعاة الوهم والخرافة، الذين يعلمون أن الناس إذا تعلقوا بالله وحده، وسألوه حاجاتهم مباشرة، لم يعد لدكاكين الارتزاق التي يُتَشَفَع بأصحابها معنى، فالله قريب يجيب دعوة الداعي بلا وسائط، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2]، ولذا ناصبوه العداء، وافتروا عليه الكذب، وأحدثوا ألقابا يرونها منفِّرة عن دعوته إلى التوحيد، كما هو دأب أهل الأهواء، الذين إذا عجزوا عن مقارعة

(١) سورة الأحزاب: ٦٧، ٦٨.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

الحجة بالحجة، لجؤوا إلى السب والاتهام والتشويه، وكان جواب الشيخ محمد عن تلك الأكاذيب والافتراءات هو قوله: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[1] وقال رحمه الله: «نسبوا إلينا أنواع المفتريات، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله، فمنها إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلا عن أن يفتريه»، وإمعانا في الصد عن دعوة التوحيد، وصفوا دعوته بـ(الوهابية) لا للتعريف، وإنما لِلَّمْز، ولتلتبس مع فرقة الوهابية الخوارج، أتباع عبدالوهاب بن رستم التي كانت في أواخر القرن الثاني الهجري، وقد راج هذا التلبيس والافتراء على بعض الناس، ولم يتفطَّنوا أن بين الوهابية، وبين دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عشرة قرون، ولكن الزبد يذهب جُفَاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، لقد عرف العقلاء الحقيقة، وتبـ ▯لهم كذب مروجو هذه الافتراءات، لاسيما كذبهم على الشيخ بأنه يكفِّر المسلمين، وحاشاه من ذلك، وإنما الذين افتروا هذه الأكذوبة، هم الذين يكفِّرون خير الناس، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يفعلون ذلك ليهدموا الدين، لأن الطعن في الصحابة وتكفيرهم، طعن فيما يحملونه من الشريعة، وإذا كان هذا موقفهم من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلا يستغرب منهم الكذب على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومعاداته، فإنهم لم يعادوه لشخصه ولا لأسرته، وإنما لكونه دعا إلى التوحيد الخالص، وكل منصف يقرأ كتاب التوحيد للإمام محمد يجده كله آيات وأحاديث، فأي تكفيرٍ يتحدث عنه المفترون؟! وهكذا سائر كتبه، فإن قيل ما جُمع من رسائله بما سُمي (الرسائل الشخصية) فيه عبارات تكفير، فالجواب: أن من أراد أن يعرف منهج العالم فليقرأ كتبه التي حررها لإفادة الناس،

(١) سورة النور: ١٦.

فهي المُحَكَمَة، وليرد المتشابه إليها، أما الرسائل والردود، فهي إجابات على أسئلة لم نطَّلِع عليها، وحُكْمٌ على وقائع لم نشاهدها، ومعلوم أن جواب الشيخ يكون على قدر السؤال، وحسب واقع الحال المسؤول عنه آنذاك، فما الإشكال في ذلك؟! والتكفير حكم شرعي يطلق على من أشرك في عبادة الله، ومع هذا فالإمام محمد بن عبدالوهاب من أكثر الناس تحرزا في مسائل التكفير، فلا يكفر إلا بالمتفق عليه وهو التوحيد، دون المختلف فيه، وقد نقلت نصوص أقواله في كتابي: (منهج الإمام محمد بن عبدالوهاب في مسألة التكفير)، وأجبتُ عن الشبهات التي اختلقها أهل الأهواء، فإن قيل هناك من ينتسب إلى دعوة الشيخ ممن جاء بعده عنده أخطاء أو غلو في التكفير، فالجواب -إن صح ذلك- لا يجوز أن ينسب خطأ غيره له، ولهذا لم يُنسَب خطأ خالد بن الوليد رضي الله عنه في قتل بني جذيمة لغيره، ولا يصح أن يُنسب خطأ الخوارج الأولين، لكتاب الله لكونه عندهم ويقرؤنه، كما أن خوارج زماننا وقرامطتهم، من أدوات النظام الإيراني كداعش والقاعدة لا يصح أن يُنسبوا إلى الإمام محمد لكون كتبه عندهم، فالخلل في فهمهم السقيم، لا في كتب الشيخ، ولا ريب أن أعداء التوحيد يفرحون بوجود كتب الشيخ مع الخوارج، ليجمعوا بين السيئتين: الاعتداء على بلد التوحيد (السعودية)، والطعن في كتب التوحيد، هكذا يخططون، والقطيع ينفِّذون، ولكنهم -كما جاء في الحديث- مقطوعون، ونظرا لأن من أنفع كتب الشيخ كتاب (التوحيد) الذي يجب أن يُدرس أولا، فإن كتاب (كشف الشبهات) من أهم الكتب التي ينبغي دراسته بعد كتاب التوحيد، فهو كتاب قلَّ حجمه، وكثرت فوائده وفيه من فرائد الفوائد ما لا يخفى.

أخشى أن أُبلّغ الجهات الأمنية

ما تقدم في العنوان هو مختصر سؤال وردني أثناء مشاركتي وآخرين من الفضلاء في برنامج توعوي مع بعض منسوبي ومنسوبات التعليم العام، تضمَّن السؤال: أن هناك من يلحظ على أحد أفراد أسرته أو أقاربه توجها فكريا غاليا، ويقول إنه حريص على قريبه، ومحب له، وخائف عليه، ويُفَكِّر في إبلاغ الجهات الأمنية في الدولة، لكنه - كما يقول - يخشى عليه من السجن والضرر؟ فما الطريقة المثلى في التعامل مع هذه الحالة وأمثالها؟ كان هذا هو مضمون السؤال، ومع أني أجبتُ على السؤال حسب علمي، فإني أعيد جوابي على ذلك السؤال، رجاء أن ينفع الله به من شاء من عباده.

فأقول: إذا بذل الانسان وسعه في النصح لحماية قريبه من الفكر المنحرف، ولم يستجب، فإن من رحمته لقريبه ومن الإحسان إليه، أن يُبلِّغ الجهات الأمنية عنه.

أولا: لأن البيعة الشرعية لولي الأمر تقتضي النصح وعدم الغش، وليس من النصح لولي الأمر التستر على من يحمل فكرا منحرفا لتدمير البلاد والعباد.

وثانيا: ليس من النصح لعامة المسلمين، أن يتستر على من يحمل فكرا منحرفا ضدهم، وربما يتطوَّر الأمر إلى التفجير بهم، وإرهابهم.

وثالثا: ليس من النصح لصاحب الفكر المنحرف نفسه، أن يراه يلقي بنفسه إلى التهلكة، ثم لا ينقذه، أرأيت لو كان في طريقه حفرة يوشك أن يسقط فيها، أليس من النصح الحيلولة بينه وبين سقوطه؟ فما بالك في سقوطه في وادٍ سحيق من

الضــلال وأفكار الخوارج التي تجعل صاحبها، يهُلك الحرث والنسـل، ويمرق من الدين كما يمرق السـهم من الرمية، أليس إنقاذه أولى؟! وأما دعوى أنه قد يُسجن، نقــول: لو فرضنا أنه سُـجن، فإن سـجنه الذي يعيده إلى جـادة الصواب، خيرٌ من تورطه بدماء معصومة يُسال عنها بين يدي الله، وقد يكون سجنه حماية له من نفسه، وبعض الموقوفين يحمدون الله أن قُبِضَ عليهم قبل أن يَقتلوا أنفسهم وغيرهم، لأن السجن أعطاهم فرصة التفكير والمناقشة العلمية مع أهل الاختصاص، مما أدى إلى رجوع كثير منهم إلى الحق.

وبعـض الآبـاء تواصلوا مـع الجهات الأمنيـة عندما رأوا ملحوظـات فكرية على بعـض أبنائهم، فتمَّ معالجة ذلـك عن طريق مركز محمد بـن نايف للمناصحة والرعاية، بدون سـجنٍ ولا إيقاف، وبالتالي لا مُسَـوِّغ للخشـية من إبلاغ الجهات الأمنيـة في الدولة، لأن دولتنـا وأجهزتها الأمنية كالوالد الرحيم، ليسـت عدوا لنا فنخشـاها، وإنما هي أمنٌ لنا، ولبيوتنا ومحارمنا وحدودنا، تحقق مصالحنا، وترسـخ أمننا، فلو اعتدي مفسد على بيت أحدنا أو ماله، أو حصل حريق، أو غريق.. ونحو ذلـك، فـإن ملجأه بعد الله إلى قيادة هذه الدولة وأجهزتهـا الأمنية، فهي التي تحميه بعـد الله، ولهـذا من أهم المهمات ترسـيخ هذا الأمـر وهو محبتنا لدولتنـا وأجهزتها الأمنية، وثقتنا بهم، وتواصلنا معهم، وأنهم معنا ليسوا ضدنا، يجب أن يُقال ذلك في البيوت وفي أماكن التعليم وفي الإعلام وفي الجلسـات الخاصة والعامة، لينشأ جيلٌ محب لدينه ووطنه وقيادته، كما هو الأصل والواقع في شـبابنا بحمد الله، ولا حاجة للظنون السيئة، والأهواء المضلة، والمزايدات المتوهمة، فنحن ودولتنا جسدٌ واحد.

حوار بين الشيخ ومخالفيه

عندما بينَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وحذَّر مما يضاده، اعترض عليه المخالفون وقالوا: نحن نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، لكن نحن مذنبون، والصالحون لهم جاه عندالله، ونطلب من الله بهم، وهذا ليس بشرك.

فأجابهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بما ملخصه: أن الله تعالى أرسل النبي عليه الصلاة والسلام إلى قومٍ مشركين يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله، ويعتقدون أنه هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لا شريك له، لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون نحن مذنبون ونريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] فنزَّه نفسه عن فعلهم، وسماه شركا، مع أنهم يعتقدون أن هؤلاء الشفعاء لا ينفعون ولا يضرون، وإنما قصدوهم ليقربوهم إلى الله زلفى بزعمهم، ولذلك يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهذا هو فعلكم سواء بسواء.

فقال المخالفون: ما الدليل على أن المشركين يقرون بتفرد الله بالخلق والرزق والنفع والضر ونحو ذلك؟ فقال لهم الشيخ محمد وهو يحاورهم: الأدلة على ذلك كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ

(١) سورة يونس: ١٨.

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[3]، ولو كانوا يعقلون لعلموا أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، لكن عندهم وعند من سلك طريقهم، نقص في توحيد الربوبية، وإن كانوا يقرون به.

فقال المخالفون: الصالحون لهم جاه عند الله.

فأجابهم الشيخ محمد بأنه: حتى لو كان لهم جاه عند الله كما تقولون، فإن جاههم لهم، وصلاحهم لهم، وأنتم ليس لكم إلا عملكم، ما علاقتكم بعمل فلان وصلاحه ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[4].

فقال المخالفون: الآيات في النهي عن طلب الشفاعة، نزلت فيمن يعبد الأصنام من الكفار، ونحن نطلب الشفاعة من الصالحين، فكيف تجعل الصالحين مثل الأصنام؟ فأجابهم الشيخ: بأن معبودات المشركين متنوعة، ليست الأصنام وحدها، بل منهم من يدعو الأولياء كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ

---

(١) سورة يونس: ٣١.

(٢) سورة المؤمنون: ٨٦.

(٣) سورة الزمر: ٣٨.

(٤) سورة البقرة: ١٣٤.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[1]، ومنهم من يدعو عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه، وقد نهى الله عن ذلك فقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، فإذا كانوا يقرون بالربوبية كما تقدم بيانه، ويتخذون الوسائط من الصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى، وأنتم كذلك تقرون بالربوبية لله وحده لا شريك له، وتطلبون الشفاعة من الصالحين، فما الفرق بين ما يفعلونه، وما تفعلونه؟! فقال المخالفون: الكفار يريدون من الصالحين، ونحن لا نريد منهم، ونشهد أن الله هو النافع الضار، المدبر لا نريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، وإنما نقصدهم نرجو شفاعتهم.

فأجابهم الشيخ: أن هذا الذي تنسبونه لأنفسكم هو ما يفعله المشركون سواء بسواء، فإنهم كما تقدم مقرون أن الله هو المدبر النافع الضار الرازق لا شريك له، كما ذكر الله عنهم في الآيات السابقة، ولكنهم طلبوا الوسائط لتقربهم إلى الله زلفى بزعمهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[3].

فقال المخالفون: أتنكر شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام؟ فأجابهم الشيخ: لا أنكرها، بل هو عليه الصلاة والسلام الشافع المشفع، وأرجوا شفاعته، ولكن

---

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) سورة المائدة: ٧٥، ٧٦.

(٣) سورة يونس: ١٨.

الشـفاعة كلهـا لله كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[1]، فتُطلب منه سـبحانه فيقال: اللهم لا تحرمني شـفاعته، اللهم شـفِّعني فيه، وأمثال ذلك، وهي لا تكون إلا بعـد إذنه ورضاه كما قال تعـالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2] والله لا يأذن إلا لأهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فكما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[3].

فقال المخالفون: النبي عليه الصلاة والسـلام أُعطِي الشـفاعة ونحن نطلبه مما أعطاهم الله.

فأجابهم الشـيخ: أن الله أعطاهم الشـفاعة ونهاكم عن هذا، فقال ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[4]، ثـم إن الشـفاعة أُعطيها غير النبي عليه الصلاة والسـلام، فصحَّ أن الملائكة يشـفعون، والإفراط- وهم الأولاد الذين ماتوا قبل البلوغ- يشفعون، أتقولون إن الله أعطاهم الشـفاعة، فنطلبهـا منهم؟ فإن قلتم هذا: رجعتم إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإن قلتم: لا، بطل قولكم أعطاه الله الشـفاعة، ونحن نطلبه مما أعطاه الله.

(١) سورة الزمر: ٤٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة المدثر: ٤٨.

(٤) سورة الجن: ١٨.

الجواب ما ترى لا ما تسمع

عظـماء التأريخ لا يأبهـون بالظواهـر الصوتية، ولا ينبهـرون بزخارف القول سـواء غُلِّفت بعباراتٍ أرقّ من الحرير، أو بتهويلاتٍ أشـد من الحديد، إنما يهتمون بالحقائـق والأفعال، وقد جـاء في كتب التاريخ أن ملك الروم نقفور، كتب إلى أمير المؤمنين هارون الرشـيد كتابا أظهر فيه سـبك الكلمات، وقوة المصطلحات، وأُبهَّة العظمـة والتهديد، فلما قرأه هارون الرشـيد أجابه بجملة واحـدة، كتبها على ظهر كتاب نقفور، وأعاده إليه، قال فيه (الجواب: ما ترى لا ما تسـمع)، ثم شخص من فوره، وسـار حتى نزل باب هرقله ففتحهـا، فطلب منه نقفور الموادعة، على خراج يؤديه إليه كل سنة.

والأمـير محمد بن نايـف ـ حفظه الله ووفقـه ـ هو أحد هؤلاء العظماء، يسـمع كما نسـمع تهديـدات التنظيمات الغاليـة، والجماعات المنحرفة، والأبـواق الحاقدة، المتربصـة بأمـن المملكـة العربيـة السـعودية، فيجيبهم بما يـرون لا بما يسـمعون، وذلك بقطع كل أصبع تشـير إلى بلادنا بسـوء، وبإخـراج المجرمين من جحورهم وأوكارهم، ومن ثَمَّ اسـتئصال شأفتهم، وقطع دابرهم، هذا أمرٌ مشاهد لكل أحد، وآخـر ذلك ما رأيناه من إنجـاز أمني أطاح بالعناصر الإرهابيـة في حي الحرازات بجدة، وهو إنجازٌ غير مسـتغرب، لكنه مقدَّر ومشـكور، فهذه الإنجازات الأمنية مصـدر ثقـة وراحة وطمأنينة، لكل مواطن ومقيم في هـذه البلاد، ومن عظمة هذا الأمير الموفق أنه لا يبتدئ أحدا بعدوان، بل يدفع بالتي هي أحسن، ويصبر، فإذا لم يعد للصبر موضع، بأن سـولت لأحدٍ نفسـه الإساءة لأمن المملكة، ضرب بيدٍ من

حديد، فكانت ضربته بحمد الله هي القاضية، وهو مع هذا ـ وفقه الله ـ رجل عملي، يعمـل بصمت، ويصل إلى الحقائـق دون تهويل، أو تزويق للكلام، وهذا هو منهج هذه القيادة، فقد قال الملك المؤسـس عبدالعزيز رحمـه الله (أنا ترعرعت في البادية، فـلا أعرف تزويق الـكلام، ولكني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق)، وشـعب المملكة العربية السـعودية كقيادته بحمد الله، يعـرف الحقيقة دون تزويق، وهذا لا يمنـع من التذكير بها، فالذكرى تنفع المؤمنين، وتبطل خداع المضلين، فمن الحقائق الثابتة ما يلي:

الحقيقـة الأولى: أن بلادنـا وقادتهـا آل سـعود، مصـدر خير وعزة للإسـلام والمسـلمين، في مشـارق الأرض ومغاربهـا، هذه حقيقـة ناصعة، يراهـا العالم منذ ثلاثمئـة سـنة ولا يـزال إلى يومنا هـذا، ونسـأل الله أن يبقيها ما دامت السـماوات والأرض، فلا مجال للمزايدة، مهما شوَّش الحاقدون والمستأجرون والمغَفلون.

الحقيقـة الثانية: دسـتور هذه البـلاد لا نظير له في العالم، فهـو ينص على حماية العقيـدة الصحيحـة وتربية النـشء عليها، والتحاكـم إلى الشريعـة، وأن الكتاب والسـنة هما الحاكمان على جميع أنظمـة الدولة، فهل يوجد دسـتور في العالم مثله؟! وكـما أن هذا هو الدسـتور النظري، فهـو الواقع العملي، فالسـعودية لا نظير لها في العالم من جهة تطبيق الإسـلام وخدمته وخدمة الحرمين وطباعة كتاب الله، وترجمة معانيـه إلى لغات العالم، وليس في بلادنا بحمـد الله شركيات وأوثان تعبد من دون الله، والمحاكم في بلادنا تحكم بالشريعة، هذه أمور مشـاهدة، مما جعل العالم الزاهد ابـن عثيمـين رحمه الله يقول (أُشْـهِد الله تعالى عـلى ما أقول، وأُشـهِدكم أيضا أنني لا أعلـم أن في الأرض اليـوم من يطبق من شريعة الله ما يطبقـه هذا الوطن أعني:

المملكة العربية السعودية)، وغيره من العلماء كثير قالوا بمثل ذلك، ومعلوم أن شهادة العلماء ليست كشهادة غيرهم، لأن الله استشهد بهم على أعظم مشهود، وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، فقال سبحانه ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[1]، وعليه فلا عبرة بما يختلقه المغرضون والناعقون في الخارج، الذين لجؤوا إلى أعداء الإسلام، واقتاتوا على فتاتهم، وصاروا أعوانا لهم في أذية المسلمين، ومع ذلك لا يستحون في الحديث عن الإسلام، أي إسلامٍ يتحدثون عنه، وهم أدوات لأعدائه!

الحقيقة الثالثة: المملكة العربية السعودية منهجها الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهو منهج الاعتدال والوسطية، فلا غلو في الدين، ولا انفلات عنه، لسنا بحاجة إلى المعادلة العقيمة التي حذر منها الأمير خالد الفيصل وفقه الله، إما التغريب وإما التكفير، لأن هذين المنهجين متفقان في النتائج، وإن اختلفت الأساليب، كلاهما يهدف إلى طمس الدين، الغلاة: بالزيادة عليه، والتنفير منه، بالقوة والعنف، والتغريبيون: بهدم أصول الاعتقاد، وتهوين الشريعة في النفوس، بالقلم واللسان، وفي كلٍ شر.

الحقيقة الرابعة: شعب المملكة العربية السعودية مع قيادته، وقيادة المملكة مع الشعب، هذه حقيقة تاريخية واقعية، وفي هذا يقول الملك عبدالعزيز رحمه الله (كل فرد من شعبي جندي وشرطي. وأنا أسير وإياهم كفرد واحد، لا أفضل نفسي عليهم، ولا أتبع في حكمهم، غير ما هو صالح لهم)، ويقول (يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني، وكل شعرة منه يمسها أذى تؤذيني، وكذلك

(١) سورة آل عمران: ١٨.

الشـعب، فإنه يتألم إذا أصابني أي شيء، ولكـن المصلحة العامة تضطرني أن أقضي على من لا يصغي للنصح والإرشاد، وأن أتجرع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع).

وهذا الذي قاله الملك عبدالعزيز هو المنهج الذي سار عليه أبناؤه وأحفاده من بعده، فكل من أراد أن يشوش على هذه الحقيقة، فهو عدو، يجب الحذر، والتحذير منه، مهما أجلب بخيله ورجله من تلبيسٍ وشبهات.

الحقيقـة الخامسـة: كل من لم يكن على حق فهو متناقـض ومضطرب، كما قال تعـالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾[1] أي: مختلـط ومضطـرب، وأعتـبر ذلك في عناصر التنظيـم الإرهابي، وأنهم لما كانوا عـلى باطل، صار أمرهم مضطربـا، وقتـل بعضهم بعضا، ومـن أمثلة ذلـك: قتلهم صاحبهـم الذي أجرم وخدمهـم في الشر، وصنع المتفجـرات في بلادنا، قتلوه، ورمـوه في مزبلة التاريخ، كجيفةٍ منتنة، فلا خير فيهم، ولا في منهجهم الضال، وهي رسالة لكل شاب مسلم أن يعلـم أنهم هم العدو فليحذرهم، فما هم بمسـلمين، لأن المسـلم هو من سـلم المسلمون من لسانه ويده، وإنما هو كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء.

الحقيقة السادسـة: أن الله تعالى ضمن النصر لمن اسـتوفى حقـه، ثم بُغِي عليه، فكيف بمن بُغِي عليه وهو صابر، لم يستوف حقه؟! قال الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾[2]، والمملكة العربية السـعودية لم تبغ على أحد، وإنما بُغِي عليها من أعداء الإسـلام وأدواتهم، فهي منصورة إن شـاء الله تعالى، كما وعد الله في كتابه نصر من بُغِي عليه.

---

(١) سورة ق: ٥.

(٢) سورة الحج: ٦٠.

الغلو في الدين والانفلات عنه

العلاقة بين (الغلو في الدين) و(الانفلات عن بعض أحكامه) هي - في نظري - علاقة السبب بالنتيجة، فالغلو في الدين سببٌ للانفلات عن كثيرٍ من أحكامه، وتهوينٌ من شأنه في النفوس، وذلك أن هذا الدين يسرٌ، ولن يشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه، وإذا غلبه انقطع وعجز وأعرض عنه، واندفع لنقده بقوةٍ تساوي قوة اندفاعه عندما كان غاليا ومتشددا فيه، وكما يقال: لكل فعل ردة فعل مساوية له في القوة ومعاكسة له في الاتجاه، ولا يبالي الشيطان في أي واد هلك أتباعه، أفي وادي الغلو، أم في وادي الانفلات، المهم أن يبعدهم عن منهج الاعتدال والوسطية، ويوقعهم في الضلال، كما قال الله تعالى ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾[1]، ومن نظر في سيرة بعض المندفعين في تنقص المظاهر الشرعية - هداهم الله -يلحظ أنهم كانوا من الغلاة سابقا، ومنهم من كانوا يفتاتون على ولي الأمر، ويتعدون بأيديهم على ممتلكات الناس ومحلاتهم التجارية التي يرونها تتضمن ما يحرم بيعه، ومنهم من ابتلوا بالأحزاب والحركات المنتسبة للإسلام، التي تجعل المنضم إليها حزبيا، لا يرى الدين إلا من خلال مرئيات قادة تلك الأحزاب التي تتخذ الدين مطية لأمور سياسية، ومصالح شخصية، ولذلك يندفعون بغير هدى من الله، متوهمين أنه لا يحمل همَّ الإسلام والدفاع عنه، والغَيرة عليه، إلا حزبهم، فحجَّروا واسعا، وأساؤوا الظنون بغيرهم، واتهموا العلماء الراسخين بالتخاذل وعدم القيام بالواجب، إلى آخر شغبهم وغوغائيتهم التي آذوا بها الناس، وضيقوا بها على عباد

(١) سورة النساء: ٦٠.

الله، فلما طال عليهم الأمد، وعجزوا عن مشــادة الديــن، انتقلوا من أقصى اليمين، إلى أقصى اليســار، ولكن هذه المرة بمحاربــة مظاهر التدين، لتوهمهم أن كل متدينٍ هــو من مجموعتهم الســابقة أهل الغلو، فانتقلوا من الغلــو إلى الانفلات والغرور، ونصَّبــوا أنفســهم حاكمين على تديــن الناس، ومتخصصــين بالمذاهب والحركات والجماعــات، مع كونهم جهالا لم يُعرفوا بعلمٍ ولا بصيرة، ولو تابوا إلى الله وتعلموا العلم على أيدي العلماء الراســخين، واســتقاموا على دين الله برفق وســكينة، وبُعدٍ عــن التنطع والانفلات، لكان خيرا لهــم، ولاهتدوا إلى التدين الصحيح، الذي أمر الله به ورسولُه، ولانشرحت صدورهم، وذاقوا حلاوة الإيمان، فالدين يسر، يؤخذ برفق وسدادٍ ومقاربة، يقول النبي عليه الصلاة والسلام (إن الدِّينَ يُسرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَة وَالرَّوْحَة وَشيءَ مِـنَ الدُّلْجَة)[1]، وأما العنف والصخب والبذاءة فليســت من الدين في شيء، ولعله لا يكاد يُعرَف أحد نشأ على الدين السمح والفطرة السليمة، والعلم النافع، وسلم من الانضمام للحزبيــات والتنظيمات، أنه انتقل إلى الغلو أو الانفلات، لأن الإيمان وسلامة المنهج إذا خالط بشاشة القلوب، لا ينتقل منه العبد إلى غيره.

فإن قيل: هذه الحزبيات توجد حتى عند بعض من ينسب نفسه إلى منهج السلف الصالح، فالجواب: العبرة إنما هي بالاتباع لمنهج الســلف، وليس بالادعاءات التي تكذبهــا الحقائق، ولا ريب أن من ســار على طريقة الســلف الصالح قولا وعملا، ولم يكن انتســابه للكيد والتشويه، أو ســلما للارتزاق والتملق، فإنه لا يكون حزبيا قط، وأما من اتخذ الســلفية حزبــا، أو صار مطيةً وخادماً لحــزب المنفلتين من أهل

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان – باب الدين يسر – رقم الحديث ٣٩.

الشهوات، أو الحركيين من أهل الشبهات، فذاك لضعف عقله ودينه وعلمه، وربما لكون تربيته السابقة حزبية، فيكون حينئذٍ فيه بقية من الباطل السابق، فينقل ذلك الباطل والتحزب معه، وقد أشار إلى هذا الملحظ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فقال (المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يُؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم (ونحن حدثاء عهد بكفر).

فهم مع جلالة قدرهم، قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، لما اعتادوه في السابق مما هم حديثو عهد به.

لكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنكر عليهم، وقال:[1] قلتم كما قال أصحاب موسى لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، فعندئذٍ تركوا هذه المقولة الباطلة.

والمأمول من كل مسلم: أن يعتز بدينه، ويبين محاسنه، ولا يجعله عرضة للخصومات، فهو مصدر السعادة في الدنيا والآخرة، وأما أخطاء الناس فتعالج، ولا تُقر، ولكن بدون طعن في ثوابت الدين – وأعني بالثوابت: كل ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم – ودون انتقاص للعدول من حملة الشريعة، الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

(١) أخرجه الترمذي برقم ١٨٠، وقال حسنه صحيح، وأحمد في مسنده، ٢١٣٩٠٥.

هل وراء الأكمة أجندة معادية

عندما تسمع شخصا يسأل عن دم البعوضة بداعي الورع، وخشية الإثم، ثم تراه لا يأبه بمن يخوض في دماء المسلمين، ويدعو إلى تكفيرهم وقتالهم، فإنك لا تشك حينئذٍ طرفة عين أنك تسمع لشخصٍ مختل الشعور، مغيب العقل، أو لشخصٍ مأجور ينفِّذ أجندة سياسية طائفية، وهذا هو تماما حال أدوات النظام الإيراني الصفوي، من بعض بني جلدتنا، الذين يرون نظام الملالي وأسلافه الذين مضوا، يكفِّرون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسفكون دماء المسلمين، ويحكمون بتكفير كل من أحب أبابكر وعمر، وهذا- كما ترى- تكفير صريح لجميع المسلمين، لأن كل المسلمين يحبون أبابكر وعمر رضي الله عنهما، وليكون كلامي دقيقا وموثقا أنقل ما قالوه من كتبهم هم، لا من كتب خصومهم، يقول شيخهم المجلسي في بحار الأنوار ٦٩/ ١٣٨ (أبوبكر وعمر كافران، كافر من أحبهما)، ومن أجل هذا الحقد الدفين على صاحبي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خصصوا دعاء عليهما، يرونه شرط دخول الإسلام، أسموه الدعاء على صنمي قريش أبي بكر وعمر، وقد نص على ذلك شيخهم المرعشي في كتابه إحقاق الحق ١/ ٩٧، وأما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أحب النساء إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، والتي أثنى الله عليها وبرأها من فوق سبع سماوات، وأنزل فيها قرآنا يُتلى، فإن ملالي النظام الإيراني الهالك يسمونها (أم الشرور)، وقد أفرد شيخهم النباطي في كتابه الصراط ١٦١/ ٣ فصلا قال فيه (فصل في: أم الشرور عائشة بنت أبي بكر)، ويتوارثون الكراهية والحقد على قوم حطوا رحالهم في الجنة، بشهادة رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فيرون أن من لا يجد في قلبه عداوة لعثمان رضي الله عنه يرونه كافرا، وبهذا يكفِّرون جميع المسلمين، لأن جميع المسلمين يحبون عثمان رضي الله عنه، جاء في كتابهم اللاهوت ١٤٠ ما نصه (من لم يجد في قلبه عداوة لعثمان، ولم يستحل عرضه، ولم يعتقد كفره، فهو عدو لله ورسوله، كافر بما أنزل الله)، بل ويرون أنهم لا يجتمعون مع أهل الإسلام في رب ولا نبي، يقول شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه بحار الأنوار٢٧٩/ ٢ (إنا لا نجتمع معهم -أي مع المسلمين- على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته من بعده أبوبكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبوبكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا)، فهم -كما ترى في نص كلامهم- شيء آخر، لا علاقة لهم بالإسلام والمسلمين، بل ولا يجتمعون مع أهل الإسلام في إله، ولا نبي، وهذا ما يسيء الظن بأي حركة أو جماعة تنسب نفسها للإسلام، ثم تميل إلى ملالي نظام إيران، وتواليهم، وتتخذهم بطانة من دون المؤمنين، وتحُسِن الظن بهم، وكيف يحُسَن الظن بمن يَتَّهِم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفشل في أداء الرسالة، يقول شيخهم الخميني في خطابه في ١٥ شعبان ١٤٠٠ (لقد جاء الأنبياء جميعا من أجل إرساء قواعد العدالة، لكنهم لم ينجحوا، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية، لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر).

هذه الجنايات العظيمة على الشريعة، وهذا التطاول على رب العالمين، واتهام سيد المرسلين، وتكفير جميع المسلمين، يراه بعض من ينسبون أنفسهم للعلم والبحث والتحقيق من أدوات نظام إيران، ممن هم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ثم لا ينبسون ببنت شفة، ولا يدينون هذه المقولات الكاذبة الخاطئة، وإنما

يبحثون في كتب أئمة الدعوة في هذه البلاد السعودية، لعلهم يجدون ما يُشَوِّشُون به، فلما لم يجدوا إلا كلاما فيه تعظيم لرب العالمين، واقتداء بسيد المرسلين، ودعوة للتوحيد الخالص، صاروا يتتبعون المتشابه من كلام أئمة الدعوة، كما هو دأب الذين في قلوبهم زيغ، لعلهم يجدون ما يشوشون به، فصاروا يقطعون الكلام عن سياقه وواقعه، أو ينقلون جواب عالم من علماء الدعوة، بشأن تكفير مقالةٍ أو شخصٍ أو أهل جهة، فيطيرون بذلك كل مطير، مع أنهم لم يطلعوا على السؤال الذي أفتى بموجبه ذلك العالم، ولم يعرفوا الواقع الذي تكلم فيه العالم، والتكفير حكم شرعي، يطبقه القضاة والعلماء الراسخون وفق انطباق الشروط، وانتفاء الموانع، نعم قد يخطئ القاضي أو العالم، بسبب عدم دقة ما عُرِض عليه في السؤال، ومعلوم أن الحاكم إنما يحكم بنحوٍ مما يسمع، فيرُّد عليه العلماء حينئذٍ إن أخطأ، وقد يكون مصيبا، لأننا لم نُشاهد ذلك الواقع، فهي إذًا وقائع لأحداث مضت وانتهت لم نعاصرها، ولم نقف على وقائعها، فما الداعي لإثارتها بهوى وانتقائية؟

وإني هنا أتساءل: هل يجرؤ متبعو المتشابه في كلام علماء الدعوة وأئمتها على نقد مقولات النظام الإيراني، وأسلافه الذين مضوا، في تكفيرهم لجميع المسلمين؟

أم أن ذلك دونه خرط القتاد؟ لكون إمكاناتهم محصورة على تنفيذ ما أُمروا به من تتبعٍ للمتشابه من كلام علماء الدعوة في بلادنا، بعد قطعه من سياقه وواقعه، ابتغاء الفتنة والإثارة، ومن المستفيد من ذلك؟ ولماذا في هذا التوقيت بالذات؟ هل هو مصادفة أم أن وراء الأكَمَةِ ما وراءها؟ ومن كان بيته من زجاج كيف يرمي الناس بالحجر؟!

أما آن لكم أن تحذروا من اخترقكم

بلادنا المملكة العربية السعودية جُبلت على الخير والإحسان، وأُسِّسَت على التقوى منذ أول يوم من إنشائها قبل نحوٍ من ثلاثة قرون، شمل معروفها وإحسانها القريب والبعيد، ولا تتبع ما تنفق منًّا ولا أذى، وتخدم الحرمين الشريفين وضيوف الرحمن، خدمةً ما عرف التاريخ لها مثيلا، تفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، وتيسيرا على عباد الله. ولا تؤذي أحدا قط، وإنما تحسن وتصبر، فأثابها الله تعالى من فضله خيرا وأمنا ومكانة ونصرا، والله شاكر عليم، هذا أمرٌ مشاهد لكل أحد.

لكن هذا الخير والإحسان والمكانة العالية للمملكة العربية السعودية لم تَسرُ من في قلبه مرض، وإنما يسره ويُفرحه لو أصابتها سيئة، وهذه صفة أهل النفاق وسوء الطوية، كما في قوله تعالى ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾[1]، تأملوا هذا التوصيف الدقيق، وقارنوا بين هذا الوصف وواقع بعض الدول والجماعات والأفراد في تعاملها مع المملكة العربية السعودية، كيف أن أي حسنة ومكانة عالية للمملكة تسؤهم، فيظهر ذلك السوء على فلتات اللسان، وجلسات الضرار، ومهما تكن عند امرئ من خليقة، وإن خالها تخفى على الناس تُعلم، سواء في جلسات سرية تضمنت منكرا من القول وزورا ضد المملكة، وثقتها التسجيلات السرية، قال تعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾[2]، أو في

(١) سورة آل عمران: ١٢٠.

(٢) سورة النساء: ١٠٨.

تصريحات آثمة، طارت بهـا الركبان، فلم يكن حينئذٍ بُدّ من البراءة منها، بقول: إنا بـرآء منها، وهذا التعليل عَلِيْلٌ بل ميِّت، لأن السـوابق تدل عـلى هذا، ولو فرضنا أن هذا مُتَقَوَّل، ماذا عن المواقف السـابقة، فليسـت هـذه أول خطيئة وجناية، ولو صدقـوا الله، واعترفوا بذنبهم، وندموا عليه، وعزموا عـلى عدم العودة إليه، لكان خيرا لهم، وليس كل من فعل شيئا ثم قال (إني بريء) يصدَّق، وإلا لصدَّقنا كل من فعل شـيئا ثم نفاه، بل ولصدَّقنا الشيطان الرجيم، في قوله لمن استفزهم، وأزَّهم إلى الـشر، وأحدث بينهم الفتن والضرر، ثم في النهاية قال لهم: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1]، العبرة بالمعطيات السـابقة، والحقائق الثابتة، وفي الأيام الماضية صدر كلام مزعج منسـوب للنظام القطري، ثم بعـد ذلك تمت البراءة مما صـدر، وادُعِيَ أن هناك اختراقا، وأنه سـيتم البحث عن المُخترِق.

فاللـوم إذًا هو على من اخترقهم ودفعهم إلى هذا الواقع المؤلم، وفي المثل العربي القديم: قال الجدار للوتد لِمَ تشـقني؟ قال: سـل مَن يدقني، وفي نظري أنه لا حاجة إلى بـذل الجهد في البحث عن المُخـترِق، فهو معروف، لأنه هو الـذي يدق الوتد، فأسـاء بذلك إلى قطر حكومة وشعبا، وجعلها في عزلة ومشاغبة، المخترِق: هو من زيَّـن للنظام هذا التصريح الفج، ثم دعاهـم إلى البراءة منه، المخترِق: هو من جعل قطر تضم قناة الضرار، المسماة (الجزيرة)، التي آذت أهل الإسلام، ودعت للثورات في بلاد المسـلمين، فكانت النتيجـة القتل والدمار والتشريـد، والعيش في الملاجئ تحـت خط الفقر والخوف، المخترِق: هو مـن زيَّن لقطر دعم جماعات متصارعة مع

(١) سورة الأنفال: ٤٨.

دولها وشعوبها، مضى على إحداثها عقود من الزمن، فما أنتجت إلا الصراعات والاغتيالات والمصادمات والاعتقالات، مع أنها تنتسب إلى الإسلام، وما هكذا الإسلام، فلا الإسلامَ نصروا، ولا الأعداءَ كسروا، بل عضوا الأيدي التي أحسنت إليهم، فكان من الإحسان لتلك الجماعات أن تؤمر بحَل نفسها، ومصالحة مجتمعها، وعدم الانفراد عنهم باسم أو وصف أو تنظيم، فكل المجتمع مسلمون، ليسوا هم فقط، فلماذا هذا التحزب والتفرد؟!

لكن المخترقين لقطر لا يريدون الإصلاح، وإنما يريدون الإفساد، وأن تكون قطر مصدر إزعاج، فهل يعي النظام القطري هذه الحقيقة، ويربأ بنفسه أن يكون ظهيرا للمجرمين، وأداةً للمخترقين، هذا ما نرجوه ونأمله من حكام قطر، وأولى خطوات الإصلاح إبعاد المخترِقِين، وعدم السير خلفهم لئلا يوردوهم المهالك، فبئس الدليل هم، وقديما قيل:

إذا كان الغراب دليل قوم فلا فلحوا ولا فلح الغراب

وإن تعجب -أخي القارئ- فعجبٌ ممن يرى تلك المشاغبات تترى ضد بلده، فيغض الطرف عنها، بل ويدافع عن الظالم، باسم الحيادية، وعدم الخلاف، وغير ذلك من العبارات الرخوة، والورع البارد، بينما لو توهم وقوع خطأ من أحد قادة وطنه لما تثبَّت، وإنما يسعى للإنكار بجميع أنواع الإنكار الثلاثة، ويهيِّج الشباب بإثارته وبكائه، مدَّعيا الغَيرة على الدين، لكن هذه الغَيرْة المزعومة تختفي إذا وقع حزبه في خطأ، هكذا هي مكاييل الولاء الحزبي، تصطف مع الحزب والمخالف خارج الحدود، ضد الدين والوطن، لكنهم مخذولون، ومخذول من وقفوا معه ضد وطنهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وأمـا بلادنا السـعودية، التي تصل الرحـم، وتعين على نوائـب الحق، وتبذل الخير، ومع هذا تحُسَد وتؤذى، فلا يُقال لها إلا ما قاله الله تعالى لمن بُغِي عليه: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: ١٢٠.

جَلَدُ الفاجر وعجزُ الثقة

نعـوذ بالله كـما تعوَّذ أمير المؤمنين عمـر بن الخطاب - رضي الله عنـه - من جَلَد الفاجـر وعجز الثقة، هذه معضلةٌ كبرى، وبلاء عظيم، فالأصل هو أن يكون الثقة الصالح لديه قوةٌ وجَلَد في نشر الخير، وقمع الباطل، والصبر على ما أصابه في سبيل ذلـك، لأن ذلـك من عزم الأمـور، ولأنه على حـق، ويدعو إلى حـق، بينما الفاجر مؤهل للانزواء، وعدم التصدر، فحسـبه أن يصلح فجوره، ويمسـك عليه لسـانه الذي لا يـأتي بخير، لأنه على باطل، ولا يرجو من فجوره، ما يرجوه الثقة الصالح مـن صلاحه، لكن أن تنعكس المسـألة: فيكون الجَلَد والنشـاط عند أهل الفجور، والكسل والضعف والجبن لبعض أهل الحق والصلاح والعلم، فتلك مصيبة، حتى وإن سـوَّغ الضعفاء من الثقات لأنفسـهم بأنهم يخشـون أن تصيبهم دائرة من أهل السـوء، فيضايقوهم في جامعاتهم وأعمالهم وأولادهم، لكون كثيرٍ منهم متمكنين، وأنهـم إذا صدعوا بالحق ودافعوا عـن دينهم ووطنهم المملكة العربية السـعودية، ونقـدوا من ناوأها، ولو بشـطر كلمـة أو مقالة، سـيصيبهم أذى كثير، وألم مزعج، فيلجؤون حينئذٍ إلى الظل والضبابية والحيادية، وهذا (أي: عجز الثقة) بلاء عظيم، يستعاذ بالله منه، ونقول لهؤلاء الضعفاء الكسالى ما يلي:

أولا: إن تكونـوا تألمون بسـبب نشر الخير، والدفاع عن بلادكـم، فإن الفجرة الصادعـين بالباطل، والمثبطين لأهـل الخير، يألمون كما تألـمون، ولكن الفرق أنكم ترجون من الله ما لا يرجون.

ثانيـا: ما ذكرتم من تسـلطهم هذا صحيـح، وقد رأينا ورأى غيرنـا ألوانا من

الأذى، ولكن العاقبة للمتقين، ودفاعنا عن بلادنا، وكشـف شبهات أهل الضلال تجاهها، ليس هو وظيفة أو تفضلا ومِنَّة، بل ذلك عقيدة، نرجو ثوابها من الله، ولا يصح أن يعبد الإنسان ربه على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، من فعل ذلك فهو خاسر.

ثالثا: إذا كان شذاذ الآفاق من نظام الملالي وحزب اللات، وقناة الضرار (الجزيرة) والحركيين، رموا بلادنا عن قوسٍ واحدة، مع أنه لا نظير لها في العالم من جهة نصرة العقيدة، ونشر الخير، أفلا يجدر بنا أن نرد عن عرضها وكيانها، ونقذف بالحق شبهات أهل الباطل، ونكشف عوارهم، ونحصِّن أبناءنا وطلابنا من شرورهم، إذا لم ندافع عن بلدنا الذي هو مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، وولاتنا الذين هم أنصار العقيدة الصحيحة، فعمّنْ ندافع؟

ألا يسركم أن تدافعوا عن بلد التوحيد وقيادته، إذا دافع غيركم عن أدوات إيران، الذين ذهبوا إلى قبر الخميني ووضعوا عليه الزهور، والذين ذهبوا إلى الملالي داعين لسقوط الدول العربية، وقالوا (تعلمنا من الخميني ومن حسن البنا وسيد قطب، وإيران نموذج يحتذى لنا في كل شيء)، وكلامهم هذا موجود في اليوتيوب صوتا وصورة، وحتى قبل وجوده نحن نعلم من كتبهم ومنهجهم أنهم شيء واحد.

ولهذا أكرر ما قاله الأمير نايف رحمه الله: (دافعوا عن دينكم، دافعوا عن وطنكم..).

رابعا: نحن لسنا حياديين بل مع دولتنا، سِلْماً لمن سَالَمهم، وحربا لمن حاربهم، وهذا مقتضى التوجيه النبوي (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)[1]، ومن لم تكن

(١) رواه البخاري ٣٦٠٦، ومسلم ١٨٤٧.

مواقفه مع المواقف الخيِّرة لدولته، فهو مخالف للحديث، ونقول لكل من آذى بلادنا وقادتنـا ولو بكلمة إن تبتم ورجعتم إلى الحق، واحترمتم بلدنا وقادتنا، سرّنا ذلك، وإن عدتم عدنا.

خامسـا: لسـنا في واد، ودولتنا في واد آخر، ومقولة الحركيين: نحن الشعب لا علاقة لنا بمواقف الدولة، هي شنشـنة نعرفها من أخزم، وهم لا يقولون ذلك مع حزبهـم وإن كانت قيـادة ذلك الحزب خارج الحدود، وإنما هـم ملتزمون بمواقف الحزب وإن لم يقتنعوا بها، وسـبحان الله يفرون مما أمر الله به ورسـوله، وهو الطاعة ولزوم ولاة الأمور، ويقعون فيما نهى الله عنه ورسـولُه وهو الطاعة للأحزاب، هذا والله هو الخذلان، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

أقـول قولي هذا اسـتنهاضا للضعفة مـن الثقاة، لئلا يكون فيهم كَسَـل، وكان الملـك الراحـل عبدالله بن عبدالعزيـز ـ رحمه الله ـ لاحظ هذا الكسـل، وحذَّر منه، ومـع هذا فأهل القوة من الثقات هم الأكثر بحمد الله، يصدعون بالحق، ويقمعون الباطل، بعلم وعدل، وفقهم الله.

رؤية شرعية في الفتنة القطرية

الـرد إلى السـنة وإلى أولي الأمر في ما يرد من أمـور الأمن ونحوه منهج شرعي يدل عليه قوله تعـالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1]، ولزوم إمام المسلمين سـبب للخير، ونجاةٌ من الشر، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسـلم لمن سـأله عـن المخـرج من الشرور والفتن كـما في الحديث الصحيح: (تلزم جماعة المسـلمين وإمامهـم)[2]، والالتفـاف حول ولي الأمر، والطاعة له فيما تنشـط له النفوس، وما تكرهـه، وعـدم منازعته الأمر، هو ما سـار عليه صحابة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم مع أمرائهم، وبايعوا النبي عليه الصلاة والسلام على تنفيذه، كما في حديث عبـادة بـن الصامت المتفق على صحتـه، فقد قال رضي الله عنه: (بايعنا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم على السـمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله..)[3]، هذه نصوص شرعية واضحة، صحيحة وصريحـة، لا مجال للرأي فيها، وهي صالحة لكل زمـان ومكان، ونحن في المملكة العربية السعودية التي هي مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، ومأرز الإيمان، إمامنا هو خادم الحرمين الشريفين الملك سـلمان بـن عبدالعزيز وفقه الله، له في رقابنا بيعة، لا ننازعـه الأمر، كما هو مقتضى النصوص الشرعية السـابقة، فهـو أعلم منَّا بمصالح

(١) سورة النساء: ٨٣.

(٢) رواه البخاري،٣٦٠٦، ومسلم، ١٨٤٧ .

(٣) رواه البخاري، ٧١٩٩، ومسلم، ١٨٤٠ .

البلاد والعباد، يرى الأمور من جميع جهاتها، وينظر إلى الحقائق لا إلى الشعارات، ويقف على اليقينيات لا على الظنيات، يبذل جهده لعز دينه وبلاده وشعبه، ويرد عنَّا الشرور والفتن، ونحن معه فيما يراه من درءٍ للمفاسد، وجلب للمصالح، ولو خاض بنا المعارك لخضناها معه ما تخلف منا رجل واحد، نثق بقراراته، ومنها قراره حفظه الله بقطع العلاقات مع قطر، ونحن على يقينٍ أنه لم يفعل ذلك إلا بعد أن بلغ السيل الزبى، واقتضت مصلحة بلادنا ذلك، ومعروف عن قادتنا منذ الملك عبدالعزيز رحمه الله الصبر الجميل، والنَفَس الطويل، وفي هذا يقول الملك عبدالعزيز:

(جعلت سنتي ومبدئي ألا أبدأ أحدا بالعدوان، بل أصبر عليه وأطيل الصبر على من بدأني بالعداء، وأدفع بالحسنى ما وجدت لها مكانا وأتمادى بالصبر، حتى يرميني البعيد والقريب بالجبن والضعف، حتى إذا لم يبق للصبر مكان، ضربت ضربتي فكانت القاضية، وكانت الآية على ما عودني الله من فضله،والحمد لله رب العالمين)، واتباع منهج الصبر والتأني هو الذي جعل قادة بلادنا صابرين عشرين عاما على أذية الجار الصغير، الذي لم يكتف بأذيته، بل جمَّع الأشرار من كل حدب وصوب ليلحق الأذى بوطننا، فهذا الجار المؤذي، طغى وبغى، ومن أذيته ما جاء في قرار قطع العلاقات، ومنها ما يلي:

١- الانتهاكات الجسيمة التي تمارسها السلطات في الدوحة، سرا وعلنا، طوال السنوات الماضية بهدف شق الصف الداخلي السعودي، والتحريض للخروج على الدولة، والمساس بسيادتها.

٢-احتضان جماعات إرهابية وطائفية متعددة تستهدف ضرب الاستقرار في

المنطقة، ومنها جماعة (الإخوان المسلمين) و(داعش) و(القاعدة).

٣-الترويج لأدبيات ومخططات هذه الجماعات عبر وسائل إعلامها بشكل دائم.

٤- دعم نشاطات الجماعات الإرهابية المدعومة من إيران في محافظة القطيف من المملكة العربية السعودية، وفي مملكة البحرين الشقيقة.

٥- تبني وإيواء المتطرفين الذين يسعون لضرب استقرار ووحدة الوطن في الداخل والخارج.

٦- استخدام وسائل الإعلام التي تسعى إلى تأجيج الفتنة داخليا.

٧- الدعم والمساندة من قبل السلطات في الدوحة لميليشيا الحوثي الانقلابية حتى بعد إعلان تحالف دعم الشرعية في اليمن.

من اطلع على هذه النقاط السبع، يعلم يقينا أن نظام قطر مخالف بأفعاله تلك لشريعة رب العالمين، ولسنة سيد المرسلين، ويتعجب من صبر وحلم قادة هذه البلاد، وربما لو تعرضت أي دولة غير دولتنا السعودية لواحدةٍ من هذه النقاط السبع، لفعلت ما هو أشد من قطع العلاقات، ولما انتظرت كل هذه السنين.

ولكن قادتنا يصبرون، ولسان حالهم يقول:

ولو كان سهم واحد لاتقيتُه *** ولكنه سهم وثان وثالث

ولاريب أن توبة نظام قطر من مخططاته الشريرة لو حصل يُفرحنا، فالصلح خير، إذا كان بصدق ونقاء، لا أن يعاهدوا وينكثوا كما هو دأبهم.

ومع الأسف بعض من نزعهم عرق من التحزب يسمعون هذه الانتهاكات المخالفة للشريعة ضد وطنهم، ولا يقفون مع وطنهم، بل ينهون عن انتقاد تجاوزات قطر، بدعوى اعتزال الفتنة، واللحمة الخليجية والعربية، وبدعوى السكينة، التي

هـم أبعد الناس عنها، فما أكثر صخبهم وضجيجهم على كثير من قرارات بلادهم، فضلا عـن مواقفهم ضد الإمارات العربية، ومـصر العربية، فهم في قولهم اللحمة الخليجيـة والعربية يكذبون، إنما اللحمة والتعاطـف فقط مع حزبهم ومن يدعمه، فحيثما وُجد حزب الإخوان وداعموه فثم المصلحة والدعم والتعاطف، هكذا هي نظرتهـم، ومـا كان ينبغي لهم أن يتعاطفـوا مع أي حزب، فلا حزبية في الإسـلام، فضـلا عن تقديم الـولاء الحزبي على الدليل الشرعي، فليتقـوا الله، وليلزموا جماعة المسلمين وإمامهم.

وأمـا مـا يدندنون به مـن اعتزال الفتنة، فهـي حيلة حركيـة، إذ إن الفتن التي تعتـزل هي ما لا يتبين فيها الُمحق من الُمبطـل، ولا أظن عاقلا يقول لا نعرف المحق من المبطل، أهي بلادنا أم قطر؟ لا عاقل يقول ذلك، فأذية قطر الصغيرة كبيرة، كلٌّ يعلم أنها على باطل.

وقـد قال ابن باز رحمه الله: (والقاعدة أن الفتنـة التي ينبغي عدم الدخول فيها هي: المشـتبهة التي لا يتضح فيها الحق من الباطل، والتي قال فيها رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم...الحديث)[1]، فهذه الفتن التي تشـتبه ولا يتضح للمؤمن فيهـا الحق من الباطل، هي التـي يشرع البعد عنها وعدم الدخول فيها، أما ما ظهر فيه الحق، وعرف فيه المحق من المبطل، والظالم من المظلـوم، فالواجب أن ينصر المظلوم، ويردع الظالم ويردع الباغي عن بغيه، وينصر المبغي عليه).

فحري بكل مؤمن لاسيما أساتذة الجامعات، وحملة الأقلام، ومتصدرو المنابر،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

أن يقفوا مع بلادهم وولي أمرهم عملا بالأدلة الشرعية، ولا يكونوا للخائنين خصيما، ومن كان محايدا أو سلبيا أو متعاطفا مع من آذى بلادنا، فإن جنايته على الدين والوطن عظيمة.

تأخير البيان عن وقت الحاجة

القاعدة الأصولية عند أهل العلم تقول: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

ومن الحاجة بل الضرورة: تبصير الشباب وغيرهم بما تقوم به دولتنا المباركة المملكة العربية السعودية من تحقيق للتوحيد، وتحذيرٍ مما يُضاده، ومن نصرةٍ للإسلام والمسلمين، وكونها أُسست على التقوى من أول يوم قبل ثلاثة قرون ولا تزال بحمد الله.

فإذا كان هذا هو الواقع، فالمملكة اليوم تواجه تحديات ومكائد تمس عقيدتها وأمنها وكيانها، فما سر هذا الصمت عند كثير من الدعاة وقيادات التعليم والجامعات، ألا يعلمون أن دفاع الصائل والباغي على هذه البلاد السعودية بالحجة والبرهان يُعد من الديانة والأمانة والتقرب إلى الله؟

فإن قيل: قد يكون خصم اليوم صديق الغد، ويصالحنا، فكيف نرد عليه الآن؟

فالجواب: إن صلاحه يسرنا جدا، وقد قال تعالى ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾[1]، هذا في حق الكفار، فما بالك بالجار المسلم، لا ريب أننا نفرح بصلاحه وتوبته، ولكن هذا لا يعني عدم رد ما يصدر عنه من عدوان، فخالد بن الوليد -رضي الله عنه - حاربه المسلمون لما كان ضدهم في أحد، وأحبوه لما هداه الله وكان منهم، وعبدالرحمن بن ملجم قربه الصحابة ومكنوه من تدريس القرآن لما كان معهم، فلما صار من الخوارج تبرؤوا منه، فالتصرف هو حسب ما يصدر من الشخص، وكان عمر بن الخطاب إذا قيل له كنت تقول كذا والآن تغير الأمر تقول كذا؟! يجيبهم بقوله: (ذاك على ما قضينا،

(١) سورة الممتحنة: ٧.

وهذه على ما نقضي) لأن واقع كل قضية اختلف.

فيا أيها الصامتون: أيُخطط لانتهاك بلدكم، وتسمعون تسجيلات تنشر لتقسيم بلدكم، ونشر الفوضى فيه، وتُكتَب المقالات، وتُجرَى المقابلات في التجني عليه، وأنتم سامدون؟!

من لم يقف مع وطنه وهو يراه مستهدفا، فمتى سيقف؟ إن هذا لشيء عُجاب!

وإياكم أن تغتروا بصمت الحركيين، لأن صمتهم إنما هو لولاءاتٍ حزبية خارج الحدود، وأنتم رأيتم دفاعهم القوي عن تركيا في أزمتها، وفي صمتهم المطبق الآن عما يحدث ضد السعودية؟

ولكم قدوة في مواقف الشيخين الجليلين، اللذين شهدت لهم الأمة بالديانة والإمامة، وكتب الله لهما القبول (ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله)، لكم قدوة في مواقفهما المُشرفة تجاه هذه الدولة السعودية، فجهودهما في بيان فضائلها، والرد على أعدائها كثيرة معلومة، وإذا أساء أحد إلى هذه البلاد، غضبوا وردوا عليه بالحقائق والبراهين، فأرْدَوه خاسئا وهو حسير، ومن اطلع على ما صدر عنهما من كتب ورسائل ومحاضرات، يرى ذلك عيانا بيانا، ويزداد اهتمامهما وبيانهما وقت الحاجة والتلبيس، لعلمهما أن الدفاع عن الدولة السعودية وقادتها، دفاع عن التوحيد، ومعاداتها عداء للتوحيد، كما في قول الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن هذه الدولة السعودية: (العداء لهذه الدولة عداء للحق، عداء للتوحيد)، فهما يدافعان عن هذه الدولة السعودية، ديانة لله واعتقادا، لا لغرض من أغراض الدنيا، ولا لتسجيل مواقف، ولا لتصفية حسابات مع أحد، بل هو تقرب إلى الله تعالى، واستمرا على ذلك، حتى لقيا ربهما صادقين ناصحين، وما كان لله يبقى، وما كان لغيره يفنى.

ما الفساد الذي يجب مكافحته

١. يتفق الجميع على نقد الفساد، وأهمية مكافحته، إلا أنه من العقل والرزانة - في نظري - ولئلا تزل قدم بعد ثبوتها، أن يُسأل من يصف غيره بالفساد ماذا تقصد بالفساد، وما مظاهره وأمثلته؟

وذلك لأن بعض الناس يقلب الحقائق، فيجعل الصلاح واتباع النظام فسادا، ويعتبر من لم يحقق أهواءه فاسدا، فيتجنى على الأشخاص والجهات، وهذا المسلك الظالم الخاطئ ليس جديدا، بل ذكره الله في كتابه الكريم عن فرعون وقومه، وذلك أنهم اعتبروا دعوة موسى عليه السلام إلى صلاح العباد فسادا كما قال تعالى عنهم: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[1]، أرأيتم كيف سموا الطاعة لله تعالى: فسادا، وكذلك قال فرعون لقومه محذرا من موسى، بما يسميه فسادا: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾[2]، فسمى التوحيد والطاعة فسادا، فليس كل من ادعى أن غيره واقع في الفساد يكون صادقا، بل قد يكون هو أحق بهذا الوصف وأهله، ولو أن كل شخص يدَّعي على غيره الفساد، يُطالَب بتقديم ما يثبت دعواه، فإن صحت يكافأ، وإن لم تصح يعزر ويُسجن، وليس إما سالما وإما غانما، لو تم هذا لكان خيرا وأحسن عاقبة.

٢. بعض الناس يحجر واسعا، ويظن أن الفساد، هو مصطلح خاص

---

(١) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٢) سورة غافر: ٣٦.

بالتجاوزات المالية والإدارية، فنشأ عن هذا التوهم، التناقض بأن يفعل الإنسان الفساد وينهى عنه في آن واحد، وإذا قيل له: ابدأ بنفسك فانهها عن فسادها، قال: لم أقع في الفساد لأني لم أتجاوز ماليا أو إداريا، فيقال له: التجاوزات المالية والإدارية هي فساد ولا شك، ولكن الفساد ليس محصورا في ذلك، فالمعاصي كلها فساد في الأرض، واقرأ إن شئت قوله تعالى ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾[1]، والطغيان والترف بالمعاصي فساد في الأرض، كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾[2]، والتهوين من شأن المعاصي وإباحة ما حرم الله فسادٌ في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾[4]، وبخس الناس أشياءهم، والخروج في وقت الدوام الرسمي بما يضر الناس، ويبخس حقوقهم ووقتهم: فسادٌ في الأرض كما قال تعالى ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[5]، والنفاق والتلون وإتيان هؤلاء بوجه وأولئك بوجه آخر: فساد في الأرض، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾[6]، فكل ما نهى الله عنه ورسولُه عليه الصلاة

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

(٢) سورة الفجر: ١١، ١٢.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

(٤) سورة النمل: ٤٨.

(٥) سورة الشعراء: ١٨٣.

(٦) سورة البقرة: ١١.

والسلام هو فساد في الأرض، ولو أن كل إنسان أصلح نفسه، لزال الفساد أو قل، أما أن يرى الإنسان القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه، فهذا إعجاب بالنفس وبلاء عظيم، وأسوأ من ذلك أن يرى الماء الزلال، فيصفه بالملح الأجاج، وما ذاك إلا لفساد تصوره وطبيعته، وقديما قال المتنبي:

ومن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرّاً بِهِ المَاءَ الزُّلالا.

٣. يجب الحذر من جميع المعاصي، فهي فساد وسبب لكل بلاء وشر وفتن وأوجاع، فإن لم يتسع علمك لهذا - كما يقول ابن القيم -فا كتف بقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[1]، ونزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أخر متلازمة، بعضها آخذ برقاب بعض، وكلما أحدث الناس ظلماً وفجورًا، أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم، وأهويتهم ومياههم، وأبدانهم وخلقهم، وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات، ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم... فجعل الله ظلم المساكين، والبخس في المكاييل والموازين، وتعدي القوي على الضعيف سببًا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت في صور ولاتهم، فإن الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في قوالب وصور تناسبها، فتارة بقحط وجدب، وتارة بعدو، وتارة بولاة جائرين، وتارة بأمراض عامة، وتارة بهموم وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها،

(١) سورة الروم: ٤١.

وتارة بمنع بركات السماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشياطين عليهم تؤزهم إلى أسباب العذاب أزًا، لتحق عليهم الكلمة، وليصير كل منهم إلى ما خلق له، والعاقل يسـ [illegible] بصيرته بين أقطار العالم، فيشاهده، وينظر مواقع عدل الله وحكمته، وحينئذ يتبين له أن الرسل وأتباعهم خاصة على سبيل النجاة، وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون، وإلى دار البوار صائرون، والله بالغ أمره، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، وبالله التوفيق.

مفاهيم واستدلالات في غير محلها

أنزل الله كتابه هدى وشفاء وموعظة وتبيانا لكل شيء، فهو صالح لكل زمان ومكان، وقد قال أهل العلم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن ذلك لا يعني الاستدلال به على معان مخالفة تعود عليه بالإبطال والإيهام، ومن ذلك ما يلي:

١ - بعض الناس إذا أراد التحذير من معاقبة الناس، دون تثبت وإقامة حجة، يقول: لا يصح أن يؤخذ الناس وفق قاعدة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾[1] ومعلوم أن هذه الجملة هي آية كريمة في سورة الحاقة، وهي لا تدل على ما استدلوا به، لو كانوا يعلمون، وما كان ينبغي لهم أن يقتطعوا هذه الآية الكريمة من سياقها، ويحذفوا ما يوضحها من الآيات بعدها، ومعاذ الله أن يكون معنى قول الله تعالى ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ إنزال العقوبة دون بيان، وإقامة للحجة، فالله تعالى يقول ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[2]، ولذلك فإن قول الله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾، إنما هو في حق من لم يمتثل ما أمره الله به من الإيمان به، وإطعام المساكين، بدليل قول الله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾[3]، فكما ترى سبب أخذه وعقوبته، هو كونه لم يؤمن بالله العظيم، ولم يحض على طعام

(١) سورة الحاقة: ٣٠.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

(٣) سورة الحاقة: ٣٠: ٣٥.

المسكين، وعليه: لا يصح أن يستدل أحد بآية من القرآن الكريم على معنى لا علاقة له بالآية، فإن قال لا أقصد معنى الآية، قيل له: تجنب الآية، وقل ما شئت من كلام مباح، لأن إيراد الآية في غير سياقها يرسخ معنى خاطئا، وإن لم تقصد ذلك، فيفهم بعض الناس أن آية ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ تعني العقاب دون مسوّغ.

٢- بعض الناس يفهم معنى المحروم الوارد في قوله تعالى: ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[١] أنه من حرم نفسه من الاستفادة مما أنعم الله عليه من أموال وممتلكات، فيقولون: هو محروم، ويعطونه من الزكاة عملا بالآية، وهذا خطأ، فهو وإن حرم نفسه من ماله بسبب بخله، إلا أنه ليس المعني بالآية الكريمة، ولا يستحق أن يعطى من الزكاة، لأنه غني، ولو أعطي لوضع ما يعطاه مع الأموال التي لم يستفد منها، وعليه: فمعنى المحروم في الآية: هو من حرم الصدقة لتعففه، وعدم سؤاله، ولهذا جمعت الآية بين السائل والمحروم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢] أي: أن السائل لفقره يعطى من الزكاة، ومن حرم الصدقة لتعففه، وعدم سؤاله، يعطى من الزكاة، أما من حرم نفسه من أمواله لبخله، فليس له حق في أموال المسلمين، وليس هو المراد في الآية.

٣- يفهم بعض الناس من جملة ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾[٣] أنها تعني الاكتفاء بإصلاح النفس، وعدم دعوة الغير للخير، وهذا الفهم غير صحيح،

---

(١) سورة المعارج : ٢٤.

(٢) سورة المعارج : ٢٤:٢٥.

(٣) سورة المائدة: ١٠٥.

فالمؤمن مأمور شرعا أن يصلح نفسه، ويدعو غيره إلى الخير، والدال على الخير كفاعله، وعدم الضرر الوارد في قوله﴿ لَا يَضُرُّكُم ﴾ هو من اهتدى، لقوله تعالى﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾[(1)] بهذا القيد ﴿ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾، ومن لم يفعل ما أمره الله به، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو ناقص الهداية، فالآية إنما تدل على أن المؤمن إذا فعل الخير بنفسه، وقام بما أوجب الله عليه تجاه غيره، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه بذلك لا يضره من ضل، لأنه لم يقصرّ، وإنما قام بما أوجب الله عليه، فيكون إثم من ضلّ بعد البيان على نفسه، وفي هذا يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله، عز وجل، أن يعمهم بعقابه»[2].

٤- يفهم بعض الناس من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[(3)] أن الظلم المذكور بالآية هو ظلم الإنسان نفسه، وأن من فعل ذلك فلا أمن له ولا هداية، وليس الأمر كذلك، والصواب: أن المراد بالظلم في الآية هو الشرك، لأن الشرك ظلم، كما في قوله تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم)، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾، قالوا: فأينا لم يظلم نفسه

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

(٢) أخرجه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٢٥٢).

(٣) سورة الأنعام : ٨٢.

يارسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس بذلكم، ألم تسمعوا إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]..

٥- بعض المسؤولين وغيرهم إذا طالبه الناس بحلول تنهي معاناتهم، قال أنا لا أملك عصا سحرية تلقف كل شيء أمامها، في إشارة لعصا موسى عليه الصلاة والسلام التي تلقف ما يأفكون، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[2]، وهذا خطأ عظيم، لأن عصا موسى ليست سحرية، وإنما هي عصا حقيقية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[3]، والذي رأى أن ذلك سحر، هو فرعون، فقد قال عندما رأى العصا تنقلب حية تسعى، تلقف ما يأفكون، ورأى إيمان أتباعه السحرة، قال لهم: (إنّه -يعني: موسى- لكبيركم الّذي علّمكم السّحر)، وهو كاذب مكابر، فلم يكن موسى ساحرا، ولم يعلم أحدا السحر، وليست عصاه سحرية، وإنما هي عصا حقيقية، آية من آيات الله تعالى.

انقلبت حية تسعى بأمر الله، ورجعت إلى سيرتها الأولى إذا أخذها بيده بأمر الله، وانفلق البحر لما ضربه بها، فكان كل فرق كالطود العظيم، وبها ضرب الحجر فانفجر منه اثنتا عشرة عينا، وهي مع هذا عصا يتوكأ عليها، ويهش بها على غنمه، بالإضافة إلى مآرب أخرى.

فلا يصح أن يسوّغ الإنسان كسله وعجزه عن القيام بعمله لخدمة الناس، بهذه

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) سورة الأعراف: ١١٧.

(٣) سورة طه: ١٧، ١٨.

الكلمات الخاطئة الظالمة، كقوله: لا أملك عصا سـحرية، ولو تنحى وأتاح الفرصة لمن هو خير منه، لكان خيرا له من هذه الاعتذارات الرخوة

لن يخزي الله السعودية وهذا هو الدليل

سنة الله ثابتة لا تتغير، ولن تجد لسنة الله تبديلا، هذه حقيقة يعرفها كل من نور الله بصيرته، ونظر في سنة الله في خلقه، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[1]، فمن حفظ الله حفظه الله، فالله خير حافظا وهو أرحم الرحمين، وفي الحديث (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)، ومن حسنت نيته، وعمل الخير والمعروف، فإن الله لا يخزيه أبدا، مهما تكالب عليه أهل الشر، ومهما قلبوا له الأمور، وابتغوا الفتن، فهم مخذولون، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[4]، هذه سنة الله التي لا تتغير.

ولهذا أقسمت خديجة -رضي الله عنها- أن الله لا يخزي زوجها نبينا محمدا، صلى الله عليه وسلم، أبدا، مع أنها إذ ذاك لا تعرف أنه نبي، لكنها تعرف أن ذلك عاقبة كل من عمل خيرا بصدق، فلا يقال إن ذلك خاص بالنبي، عليه الصلاة والسلام، بل ذلك عام لكل من عمل خيرا، وكف شرا، فإن الله لا يخزيه، هذه سنة

(١) سورة فاطر: ٤٣.

(٢) سورة فاطر: ٤٣.

(٣) سورة البقرة: ١٣٧.

(٤) سورة التوبة: ٤٨.

الله في خلقـه، والنتائـج مبنية على المقدمـات والمعطيات، وقد قـال الأعرابي عندما سئل عن دليل وجود الله؟

البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير، هذا دليل عقلي قطعي واضح ومشاهد، وأما مستند خديجة على قسمها فهو ما تعلمه عنه من خير خلال السنوات التي عاشـتها معه قبل أن يكون نبيـا، ومن كان فاعلا للخير، مجتنبا للشر فإن الله لا يخزيه كائنا من كان، وقد أشـارت إلى ذلك بقولها: (أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيـف، وتعين على نوائب الحق)[1]، فهـي رضي الله عنها ترى أن من توفرت فيه هـذه الخصال الطيبة فإن الله لا يخزيه، وبحمد الله فإن الناس اليوم يرونها متوفرة في قادة بلادنا، ويرونهم يخدمون الحرمين الشريفين وزوارهما، خدمة ما عرف التاريخ لها مثيلا، ويأمرون بطبع المصحف الشريف الذي هو كلام رب العالمين، وينشرونه في أنحـاء العالم، ويترجمون معانيه لجميع لغات الناس، وغير ذلك من أعمال خيرية يصعـب حصرهـا، ومع فعلهم الخير لا يعتدون على أحـد بغير حق، من رأى ذلك فإنه يجزم أن الله لا يخزي هذه الدولة السعودية ما دامت على هذا الخير، وإنما يخزي من أراد بها سـوءا، ويفضحه على رؤوس الأشـهاد، وهذا ما رأيناه بحمد الله عيانا بيانا، فالملك عبدالله الذي أمضى عمره كله في خدمة الإسـلام والمسلمين، بل وكل محتاج وملهوف وإن لم يكن مسـلما، كما في أمره لفصل السـياميين من الأطفال مهما كانـت ديانتهـم، هذا الملك الطاهر النقي، ابن هذه الشـجرة المباركة (آل سـعود)،

(١) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

انشـغل بفعل الخير، بينما انشـغل أمير قطر وسـفيهه في لندن والقذافي في التخطيط للشر، واغتيال هذا الملك الصالح الذي يفعل الخير، فما هي النتيجة؟ النتيجة:(ولا يحيـق المكر السـيئ إلا بأهله)، قتل القذافي شر قتلة، وفضـح أمير قطر وأدواته على رؤوس الأشـهاد، وحفـظ الله الملـك من مكرهـم، وعاش حميدا، ومات سـعيدا.

والملك سـلمان –حفظه الله– أحسن لنظام قطر، واستقبلهم وعفا عنهم، رجاء أن يتوبوا إلى ربهم، لكنهم اسـتمروا في ضلالهم يعمهون، حسـدا من عند أنفسهم، فماذا كانت النتيجة؟ النتيجة ما ترون وتسـمعون أخرج الله أضغانهم، ورأى الناس تآمرهم مع (النجف) و(قم) و(حزب اللات) على أهل السـنة، فسـقطوا من أعين كل عاقل شريف من شعب قطر ومن شعوب العالم.

ويصعـب أن أتصور مشـاعر القطري وهو يرى ويسـمع تآمر نظـام بلده مع مكفري الصحابة –رضي الله عنهم– ضد أهل السنة؟!

لقـد تبـين للناس أن مـا يتظاهر به نظام قطـر من خير، إنما هـو طعم لمزيد من الإفسـاد، ومن ذلك مسـجد الضرار الذي بنوه وأسـموه (جامـع الإمام محمد بن عبدالوهاب) وزعموا أنهم على منهجه السلفي، هل هذا يتسق مع ما سمعه الناس من مهاتفاتهم التآمرية مع أدوات قم والنجف وحزب اللات؟!

والجواب: أن هذا لا يتسـق أبدا، ولا يبعد أنهم بنوا هذا المسـجد، ضرارا، وتفريقا بـين المؤمنين، وإرصـادا لمن حارب دولة التوحيد المملكة العربية السـعودية، وناكفها، وفي التاريخ نماذج لمساجد بناها، وأعلنها، من يتآمرعلى المسلمين، ومنها مسجد الضرار الذي بني في زمن النبي، عليه الصلاة والسلام، ونزل فيه قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾[1]، وكل ما ينفقه نظام قطر من أموال تبين خطرها وإن كانت باسم الجمعيات الخيرية، والهيئات الدعوية ونحوها، ستكون عليهم حسرة ثم يغلبون، لأن حقيقتها الضرار، والكيد، والفتن، وأعوذ بالله أن أقول ذلك: رجما بالغيب، أو تألياً على الله، ولكن هذا هو الواقع المشاهد أمامنا، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ﴾[2].

فهم مفسدون، والله لا يصلح عمل المفسدين، ونسأل الله أن يردهم إلى الحق، وأما بلادنا السعودية التي تفعل الخير، وتدافع عن نفسها فإذا ظُلِمَتْ فإنها منصورة، لأن من اتقى الله وأحسن وصبر فإن الله معه، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٧

(٢) سورة يوسف: ٨١.

(٣) سورة النحل: ١٣٧.

البلاد لا يصلحها غير السكون

هكذا قال الملك المؤسس عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- وهي كلمة تُكتَب بماء الذهب، فالسكينة نعمة يمنّ الله به على من يشاء من عباده، ليزدادوا إيمانا، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[1]، فالسكينة والحلم والأناة والتؤدة والطمأنينة، صفات يحبها الله ورسولُه، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة معلومة، بخلاف العجلة والطيش والقيل والقال، التي هي من نزغات الشيطان. يقول الملك عبدالعزيز -رحمه الله- ما نصه: «إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار، فإني لا أراعي في هذا الباب صغيرا ولا كبيرا، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره».

ولهذا كان السلف الصالح لا يتدخلون فيما أُنِيط بغيرهم، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: «من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2]، بل حتى ما يوجّه إليهم من فتاوى ونحوها يودون أن غيرهم يكفيهم المؤنة، فيتدافعون الفتوى، استشعارا للمسؤولية بين يدي الله، بينما الآن نرى كثيرا من الناس يتسابقون إلى الفتوى، كلٌ يقول: أنا لها.. أنا لها، وحتى لو وُجِد من هو أعلم منه، فإن ذلك لا يهمه، يتجاسر على ما لم يُسبق إليه، ويُفتي بجهلٍ وهو ربما لم يُسأل، ابتغاء الشهرة

(١) سورة الفتح: ٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣٧)، والطبراني (٣/ ١٢٨) (٢٨٨٦).

والتميـز، وإن كان بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منير، فيوقظ بذلك الفتن النائمة، ويزعج النفوس الساكنة المطمئنة، هذا المسلك دليل على نقصٍ في العقل، وجهلٍ في الشرع، وقد سـمى الله تعالى «العقل» حِجْراً فقال: «هل في ذلك قسمٌ لذي حجر»، لأنـه يحجر ويمنع صاحبه من الاندفاع وراء ما يطلبه المسـتمعون، مما لا يرضي الله ورسـوله، ولأن المؤمن ذا العقل الراشد يدرك مآلات الأمور، فيَعلم أن متاع الدنيا قليل وأنه موقوفٌ بين يدي الله، ومسؤول عما قاله وفعله، وهناك لا ينفعه أحد من الخلـق، قال الله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[1]، ولهذا فالعالِم حقيقة هو من يخشى الله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، فيتبع طريق السلف الصالح، أهل العلم والسمت والبصيرة، ويحذر مسلك المتعالمين، المعروفين بكثرة الهذر والعجلة والجرأة والتوسع في الكلام، لأن هذا المسلك أدى من سار عليه إلى موافقة الخوارج أوالمرجئة في مسائل الدين والإيمان.

ومن السـكون، ألا يُعطي الإنسـان نفسـه أكبر من حجمه، فيظن نفسه خبيرا بالحـركات الإسـلامية أو محلـلا سياسـيا، أو خبيرا إسـتراتيجيا، ونحـو ذلك من الأوصـاف التـي لم تُعط له من أهـل الاختصاص، ولا يملك مؤهـلا في ذلك، إنما هي دعاوى، والواقع أنه لن يعدو قدره، فكان عليه اللصوق إلى الأرض، ومُراغمة النفس عند استشرافها لعجْبٍ أو حب ظهور، لئلا يتحدث في أمورٍ شائكة، لم يحط بها خُبرا، ولئلا يسترسـل في تحليلات لا خطام لها ولا زمام، وليس عليها آثارةٌ من علـم، وأهواءٌ لا ينتج عنها إلا الشر والإفسـاد كما حذّر مـن ذلك الملك عبدالعزيز

(١) سورة مريم: ٩٣: ٩٥.

فيما نقلتُه عنه آنفا.

ومن السكون، عدم منازعة الأمر أهله، قال شيخنا ابن عثيمين «رحمه الله»، منذ عهد عثمان -رضي الله عنه- إلى يومنا هذا ما أفسد الناس إلا منازعة الأمر أهله، ولهذا قال النبي، صلى الله عليه وسلم، «عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم»[1]، فكلٌّ له مهمة يجب أن ينشغل بأدائها، فللحروب رجالٌ يُعرفون بها، وللدواوين كُتَّابٌ وحُسَّاب.

فلا حاجة للنزاع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، وذلك لأن النزاع والخلاف سببان للتفرق، واختلاف القلوب، وبالتالي الفشل والضعف، وذهاب الريح، لأن من أقبل إليه ما يسره قيل: هبَّت ريحه ورياحه، ومن دخل عليه الوهن والضعف يقال: ذهبت ريحه، فالسكون والخلود إلى ما أمر الله به ورسولُه من الطمأنينة، والحذر مما نهى الله عنه ورسولُه من المنازعة سبب للحياة الطيبة، وراحة البال، وحسن المآل.

قال الله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم (١٨٤٦).

(٢) سورة الأنفال: ٤٦.

(٣) سورة النساء: ٦٦: ٦٨.

مفتي الخنفشار

في كتاب التعالم للشيخ بكر أبو زيد، أن رجلا كان يفتي كل سائل دون توقف، فلحظ أقرانه ذلك منه، فأجمعوا أمرهم لامتحانه، بنحت كلمة ليس لها أصل هي «الخنفشار»، فسألوه عنها، فأجاب على البديهة: بأنه نبت طيب الرائحة ينبت بأطراف اليمن، إذا أكلته الإبل عقد لبنها، قال شاعرهم اليماني:

لقد عَقَدَت محبتُكم فؤادي.... كما عقد الحليبَ الخنفشار

وقال داود الأنطاكي في «تذكرته» كذا وكذا، وقال فلان وفلان..

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- فاستوقفوه، وقالوا: كذبت على هؤلاء، فلا تكذب على النبي «صلى الله عليه وسلم».

وتحقق لديهم أن ذلك المسكينَ: جِرَاب كذبٍ، وعيبة افتراءٍ في سبيل تعالمه، فما كل من ادّعى العلم، أو تنمَّر في المجالس، ليوهم غيره أنه ذو قدرات علمية فائقة، يُعد فقيها، ولذلك نقل الإمام مالك عن ربيعة أنه قال:

«ولبعض من يفتي ها هنا أحق بالسجن من السراق»، هذا في زمن الإمام مالك، فكيف بزماننا هذا؟ الذي كثر فيه مدّعو العلم والفقه، بينما أقوالهم وأفعالهم تناقض العلم والفقه، ومن شاء الدليل فلينظر إلى كثيرٍ من القنوات الفضائية، ووسائل التواصل الاجتماعي، فقد فضحت كثيرا من مدَّعي العلم، وبينت جهلهم، ورصدت تجاوزاتهم، وإن كان بعضهم حريصا على إلقاء الهالة على نفسه، والتزكية لها عند التعريف بشخصه، وحقيقة الأمر: ضعفٌ ظاهر، ودعوى

عريضة، وإقحام لأنفسهم فيما كُفُوا مؤنته، ومع وجود هؤلاء المتعالمين المتسرعين، إلا أنه -بحمد الله- يوجد فضلاء وعلماء قديما وحديثا، لديهم رسوخ في العلم، وفقه للمآلات، وعقل راشد، وخوف من الله، وهضم للنفس وتواضع، ومن ذلك التواضع، قول أبي عمرو البصري أحد القراء السبعة: «ما نحن فيمن مضى، إلا كبقلٍ في أصول نخلٍ طوال»، وكانوا يقولون: «من أحبَّ أن يُسأل فليس أهلا أن يُسأل»، بينما بعض الخنفشاريين بسبب جهله، وشعوره بالنقص، ورغبته في الظهور، يفتي في قضايا مصيرية، ويتقدَّم على الراسخين في العلم في زمانه، مخالفا بذلك منهج السلف الصالح، الذين لا يتقدمون على من هو أولى منهم، فهذا أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- مع أنه صحابي جليل، لما رأى قوما في المسجد يسبِّحون بالحصى، ذهب إلى من يراه أعلم وأفقه منه، وهو ابن مسعود -رضي الله عنه- وعرض عليه ما رأى، فقال ابن مسعود: فما قلتَ لهم؟ فقال: ما قلتُ لهم شيئا انتظار رأيك أو أمرك.

هذا الفقه لا وجود له عند الخنفشاريين، مدَّعي العلم، ومحبي الشهرة، الذين يتقدمون على الراسخين في العلم، في الفتوى والحكم على الناس، وما كان ينبغي لهم ذلك، كما لا ينبغي لطالب العلم أن يكون مطيةً لغيره، من أهل التغريب أو التكفير، مهما أغدق عليه أهل الشهوات من صفات المدح كالوسطية وسعة الأفق والمرونة والعالمية ونحوها، ومهما أغدق عليهم أهل الغلو من صفات المدح كالصدع بالحق، والغيرة على الدين، والاستقلالية ونحوها، ومهما أظهروهم في قنواتهم، فكل ذلك زبدٌ وجفاءٌ لا قيمة له، وإنما العبرة بالسير على الهدي النبوي، وهو ما سار عليه السلف الصالح، قولا وعملا. ومن أمثلة الصدق في المواقف أن ابن تيمية لما رأى أن ابن قلاوون يريد أن يقتل خصومه من القضاة، ويريد أن

يحصل على فتوى من شيخ الإسلام بذلك، لا سيما وهم كذلك خصوم لابن تيمية، حكموا بسجنه وأرادوا قتله، كما بينَّ له ذلك ابن قلاوون من خلال الوثائق التي أطلعه عليها، وقال: انظر، حكموا بقتلك، قال شيخ الإسلام: ففهمتُ مقصودَه، وأنَّ عنده حنَقًا شديدًا عليهم، فشرعتُ في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلَهم في دولتك، أما أنا فهم في حلٍّ من حقِّي ومن جهتي، وسكَّنتُ ما عنده عليهم، فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية -وهو أشد أعداء ابن تيمية- يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية؛ لم نُبْقِ ممكنًا في السعي فيه، ولما قدَر علينا عفا عنا، وحاجج عنّا.

بينما مدعو العلم يَفْجُرون في الخصومة مع مخالفيهم، ولا يستطيعون أن يقولوا ويعدلوا مع مخالفيهم، فضلا أن يفعلوا ما فعله شيخ الإسلام مع خصومه، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة.

كما أن من أمثلة الفقه في مآلات الأمور، عدم إنكار المنكر، إن كان يؤدي إلى منكر أكبر، وهذا الفقه لا يتحمله المتسرعون، يقول شيخ قال ابن تيمية: «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال، فدَعْهُم».

من فوائد العلامة ابن سعدي

العلامة عبدالرحمن السـعدي رحمه الله (١٣٠٧-١٣٧٦) رزقه الله تعالى، علما وفهما، وخُلُقاً حسـنا، وعقلا راشـدا، ومعدنا طيبـا، وأسرةً كريمة، خَلَّف مجلدات ضخمة في سائر فنون العلم، وخَلَّفَ علماء كبارا كثرا، من أبرزهم في نظري تلميذه شـيخنا ابـن عثيمين رحمـه الله، ومع مكانتـه العالية جـدا في العلـم والعمل، فهو إنسان بسـيط متواضع جدا، يغشى مجالس أصحابه وعوام بلده في بيوتهم ويبادلهم الأحاديـث ويؤانسـهم ويمازحهم، ويقضي حوائجهم، بأدب جم، وحسـن محادثة ومخالطةٍ للناس، كما نقل لنا ذلك معاصروه، لا يميز نفسـه عنهم بشيء، ولم يكتف بتأليـف الكتب التخصصية الرصينة، وإنما كتـب في كل ما ينفع الناس، ومن ذلك هذه الفوائد والآداب التي هي كالدرر، ومنها قوله رحمه الله:

١. من الآداب الطيبة: إذا حدَّثك المحدث بأمر ديني أو دنيوي، ألا تنازعه الحديث إذا كنـت تعرفه، بـل تُصْغِي إليه إصغاء من لا يعرفـه، ولم يمر عليه، وتريه أنك استفدتَ منه كما كان ألباءُ الرجال يفعلونه، وفيه من الفوائد:

تنشيط المحدث، وإدخال السرور عليه، وسلامتك من العُجْب بنفسك، وسلامتك من سوء الأدب، فإن منازعة المحدِّث في حديثه من سوء الأدب.

ومن الآداب أن تشـكر مـن صنع إليك معروفا قوليا أو فعليا أو ماليا ولو يسـيرا، وتبدي له الشكر وبهذا أمر الله ورسوله، وعلى هذا اتفق العقلاء.

٢. ومن الآداب الطيبة: الكلام مع كل أحد بما يليق بحاله ومقامه، مع العلماء بالتعلم

والاستفادة والاحترام، ومع الملوك والرؤساء بالاحترام والكلام اللطيف اللين المناسب لمقامهم، ومع الإخوان والنظراء بالكلام الطيب، ومطارحة الأحاديث الدينية والدنيوية، والانبساط الباسط للقلوب، المزيل للوحشة، المزين للمجالس، ويحسن المزح أحيانا، إذا كان صدقا، ويحصل فيه هذه المقاصد، ومع المستفيدين من الطلبة ونحوهم بالإفادة، ومع الصغار والسفهاء: بالحكايات والمقالات اللائقة بهم مما يبسطهم ويؤنسهم، ومع الأهل والعيال بالتعليم للمصالح الدينية والدنيوية والتربية البيتية، مع المباسطة والمفاكهة، فإنهم أحق الناس ببرك، ومع الفقراء والمساكين بالتواضع وخفض الجناح، وعدم الترفع والتكبر عليهم، ومع من تعرف منه البغض والعداوة والحسد المجاملة وعدم الخشونة، وإن أمكنك الوصول إلى أعلى الدرجات وهي قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1]، فما أكمله من مقام، لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم.

واحذر غاية الحذر من احتقار من تجالسه، من جميع طبقات الناس، وازدرائه، والاستهزاء به، قولا أو فعلا، تصريحا أو تعريضا.

٣. إياك أن تتصدى في مجالسك مع الناس للترؤس عليهم، وأنت لست برئيس، وأن تكون ثرثاراً متصدراً بكل كلام، وربما من جهلك وحمقك، ملكت المجلس على الجلوس، وصرت أنت الخطيب والمتكلم دون غيرك، وإنما الآداب الشرعية والعرفية مطارحة الأحاديث، وكلٌّ من الحاضرين يكون له نصيبٌ من ذلك، اللهم إلا الصغار مع الكبار، فعليهم لزوم الأدب، وألا يتكلموا إلا جواباً

(١) سورة فصلت: ٣٤.

لغيرهم.

٤. وإذا أخـبرك صاحبـك أو غيره، أنه أوقع تصرفـاً أو عقداً أو عملاً من الأعمال، وكان قـد مضى وتم، فينبغي أن تبارك له، وتدعو له بالخير والبركة، وتصوِّبه إذا كان باعتقـادك صواباً، فإن هذا يؤنســه، ويشرح صدره، وإياك في هذه الحال أن تخُطِّئه، فتُحدِث له الحسرة والندامة، وقد فات الاسـتدراك، إلا إذا كان غرضك تعليمه للمسـتقبل، وأما إذا أخبرك بشيء مما سـبق، وهو مستشـير لك، ولم يتم الأمـر، فعليـك في هذه الحـال أن تبدي له كل ما عندك مـن الرأي، وتمحض له النصيحة، ففرقٌ بين ما أمكن استدراكه وتلافيه، مما ليس كذلك.

٥. مـن الغلط الفاحـش الخطر، قبول قول النـاس بعضهم ببعض، ثـم يبني عليه السـامع حبـاً أو بغضاً، مدحـاً أو ذماً، فكـم حصل بهذا الغلط مـن أمور صار عاقبتهـا الندامة، وكم أشـاع الناس عـن الناس أموراً لا حقائق لهـا بالكلية، أو لها بعـض الحقيقة فنُمِّيت بالكذب والزور، وخصوصـاً ممن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقـل، أو عُرف عنهم الهـوى، فالواجب على العاقل التثبـتُ والتحرز، وبهذا يعرف دين المرء ورزانته وعقله.

٦. إياك والإصغاء إلى قول النمام فتصدقه، ثم إياك أن تبني على كلامه ما يضرك، ثم إياك أن تبدي له ما لا تحب إطلاع أحد عليه، فإن فعلت فلا تلومنَّ إلا نفسـك، وابتعـد غاية البعد عنه مهـما أمكنك، فإن كان لا بد – ولن يسـلم أحد من هذا – فاسـمع منه، غير واثق بكلامه، ولا مؤسـس عليـه، ولا تعطه من الكلام إلا الذي تُوطِّن نفسك على إشاعته وظهوره، واخزن عن هذا النوع ما تخشى مغبته، وتخشى أن يزاد فيه وينقص.

٧. كُـنْ حافظـا للـسر، معروفـاً عند النـاس بحفظه، فـإنهـم إذا عرفـوا منك هذه الحـال، أفضـوا إليـك بأسرارهم، وعـذروك إذا طويـت سرَّ غـيرك الذي هم عليـه مشـفقـون، وخصوصًـا إذا كان لـك اتصال بـكل واحد مـن المتعادين، فـإن الـوسـائل لاسـتخراج ما عنـدك تكثـر وتتعـدّد، مـن كلٍّ مِـنَ الـطّرفين، فإيّـاك إيّـاك أن يظْفر أحد منهـم بشيء من ذلك تصريحًـا أو تعريضا، واعلم أن للنـاس في اسـتخراج مـا عنـد الإنسـان طرقًـا دقيقـة، ومسـالك خفيّة، فاجعــل كل احتمــال وإنْ بَعُـد عـلى بالك، ولا تـؤت من جهة مـن جهاتك، فـإن هـذا مـن الـحزم، واجـزمْ بأنـك لا تنْدم عـلى الـكِتـمان، وإنمـا الـضرر والنّـدم في الـعجلـة والتّـسرع، والـوثوق بالـنـاس ثقة تحمِلك عـلى ما يضر.

أرى خلل الرماد وميض جمر

الجماعـة أصل من أصول الاعتقاد، وفي منصوص اعتقاد أهل السـنة والجماعة قولهم: (ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة زيغا وعذابا)، والأدلة على هذا الأصل من الكتاب والسنة وآثار السلف كثيرة ومعلومة.

ولقـد أتـى على النـاس في بلادنا قبل الملـك عبدالعزيز حين من الدهـر، كان فيها واقـع البلاد والعباد مخيفا، لما فيـه من التفرق والفتن والقتـل والخوف والجوع، يصف ذلـك الواقع المؤرخ ابن بشر رحمه الله فيقول: (انحل نظامُ الجماعةِ، والسـمع والطاعة، وتطايـرت شرورُ الفتنِ في تلكَ الأَوْطَان، وتعذَّرت الأسـفارُ بـين البلدان، وعاثت فيه العسـاكر المصرية، فقتلـوا صناديدَ الرجال، وصـادروا أهلها، فأخذوا مـا بأيديهم من الأموال، وقطعوا الحدائق الظليلات، وهدموا القصورَ العاليات، وصارَ أهلُ نجدٍ بينهم أذلَ من العبيد، وتفرَّقتْ علماؤُهم ما بين طريدٍ وشريدٍ، وثارت في غالـب البلدان الفتن، والقتل والمحن، وظهر المنكر، وعدم الأمر بالمعروف، وصار الرجل في جوف بيته وجلاً مخوفاً، وتذكروا ما بين أسـلافهم من الضغائـن الخبيثة القديمة، وتطالبوا بالدماء، فكل منهم يطلب أولاد أولاد غريمه، فتقاتلوا على سـنن ما أنزل الله بها من سلطان...إلخ ما ذكره ابن بشر رحمه الله في تأريخه، فأنعم الله علينا بالملك عبدالعزيز رحمه الله، والذي قاد ورجاله مسيرة التوحيد والبناء، فجمع الله به القلوب والبلاد، وعمَّ الأمن والاستقرار، فأصبـح الجميع تحت قيادته بنعمة الله إخوانا متحابين، وواصل أبناؤه وأحفاده مسـيرة التنميـة والبنـاء، فأصبح وطننـا المملكة العربية السـعودية من الـدول المتقدمة في جميع

المجالات، وبالشكر تدوم النعم كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وبكفر النعم يحصل الخوف والجوع كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2].

فحريٌّ بكلِ مواطن، أن يُسْهِم في حِفْظِ هذه النعمة التي وهبنا الله إياها، ولو بشطر كلمة، ولا يكون سبباً في إحلالِ قومه دارَ البوار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[3]، وأن يحفظ هذا المنجز الأمني الذي تعب من أجله الأخيار رحمهم الله، لكونه أمانةً يجب أن نحافظ عليه، لتستلمه الأجيال القادمة.

وكلُ جمرٍ تحت الرماد، يجب أن يُسْكَب عليه الماء لإطفائه، ولا يجوز إذكاؤه، فإن النار بالعودين تُذكى، وإن الشر مبدؤه كلام.

ومن الجمر الذي تحت الرماد: مسلك الإثارة، والتحريش، والاستعداء، والانتماءات الحزبية، وإذكاء العصبيات والنعرات، والاستهانة بالولاية، وملء القلوب عداوةً وبغضاء، فهذا كله داءٌ يجب استئصاله، وهو من سنن الجاهلية، وأبغضُ الناس إلى الله - كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري - مُبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية.

والوطنُ والقيادةُ في نظري كخيمة الراعي تَسَعُ الجميع، ويستظل بظلها جميعُ

(١) سورة إبراهيم : ٧.

(٢) سورة النحل: ١١٢.

(٣) سورة إبراهيم : ٢٨.

الرعيـة، مما يحُتِّم عـلى الجميع المحافظة عليها، فالحذر الحذر من الاسـتعداء الظالم، وتشـكيك الناس في ولائهم لوطنهم وقيادتهم بالظن والهوى، فإن هذا المسلك هو أحد الأسـس التي تقوم عليها الفتن، فالخطأ لا يسـكت عنه، وإنما يعالج بالحكمة والموعظة الحسـنة والمجادلة بالتي هي أحسـن، واسـتنهاض الهمم، وبيان تناقض المتخاذلين، وسـوء جنايتهم بالسـكوت عن الحق، فضلا عن التكلم بالباطل، لابد من البيـان بعلم وعدل، ولكن من الخطأ الفاحش أن يُعالج بالاسـتعداء والسـب والشتم والمزايدة على وطنية المواطنين بالظن والهوى، ولا ينبغي أن يتولى المعالجات مـن يتكلم بجهلٍ وظلمٍ وشـماتة، ويرمـي الفتيل هنا وهنـاك، لأن ذلك يؤدي إلى انقسـام الوحدة الوطنية، وهو ما يتعارض مع النظام الأساسي للحكم، فقد نصت المـادة الثانية عشرة على ما يلي: تعزيز الوحدة الوطنيـة واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

ومعلـوم أن القلـوب إذا تنافر ودها، تكون كالزجاج كسرها لا يُشـعب، ولو حُيِّد أصحاب المواقف السيئة ممن يتكلم بالباطل، أو يخرس عن الحق، وأُبعِدوا عن أماكـن التأثير، ليَحل أهل العلم والعقل والاتـزان مكانهم، لكان لذلك ثمرة طيبة ولو على الأمد البعيد، ولا حاجة حينئذٍ للسـب والتهم ورديء الكلام، لأن السب والاتهـام يخلق الأعـداء، ويُكثِر الخصـوم، ويضرب أبناء الوطـن بعضهم ببعض، ويسـتعدي الناس على وطنهم وقادتهم، وهذا المسـلك لا خير فيه، بل هذا عين ما يُريده الأعداء، وإنما المصلحة في نظري هي في تحبيب الراعي إلى الرعية، والرعية إلى الراعي، والتذكير بأهمية الدفاع عن ديننا ووطننا، بأسلوب حسن، واستنهاض همم السلبيين ممن سكت عن الحق، أو تكلم بالباطل ليصطف مع وطنه، وتذكيرهم بأنه لا قيمـة لهم بدون وطنهم وقيادتهـم، ومن مصلحة الجميع الحفاظ على أمن الوطن

واستقراره، ولا يُعان الشيطان على أحدٍ من أبناء الوطن، بل يُرَد من أخطأ إلى الجادة ما أمكن ذلك، فإن رجع إلى الحق فالحمد لله ويكفي، وإن استمر على ضلاله، فالتعزير الشرعي جزاؤه، وليس الصخب والضجيج، وليعلم كل مواطن أن حفظ أسوار بيوتنا التي فيها أبناؤنا وأسرنا، لا يتم إلا بحفظ سُور وطننا الكبير، المملكة العربية السعودية، فمن اخترق سور وطننا - لا قدر الله - فسيخترق سُور بيوتنا، ولكن إن شاء الله لن يتم لهم ذلك، وفي أبناء هذا الوطن عرق ينبض، والمأمول من كل من زلت به القدم أن يرجع إلى الحق، ويصلح، ويبين، والتوبة تجب ما قبلها، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١].

(١) سورة البقرة: ١٦٠.

رسائلنا للحاكم ذريعة لإثارة الناس

مـا تقدم في العنوان هـو ما قاله قبل أيام أحد مدَّعـي الإصلاح ممن ترك وطنه المسـلم ومجتمعه وناسه، وذهب للإقامة في بلد الكفار، ليتخذه مأوى لمعاداة وطنه، بدعوى الإصلاح، وما أكثر ما ظُلمت هذه الكلمة الطيبة (الإصلاح) من دعاة الفتن والشر، الذين إذا قيل لهم لا تفسـدوا ولا تزعجوا الناس بغوغائيتكم وسفاهتكم، والزمـوا العافية، وما أرشـد إليه النبي صلى الله عليه وسـلم من السـكينة والصبر وعـدم منازعة الأمر أهله، قالوا: إنما نحن مصلحون، هذا المسـلك المنحرف الذي سلكوه هو طريقة المفسدين، بدءاً من المنافقين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[١]، مـرورا بابن سـبأ الذي هيَّج الناس وأثارهـم على أمير المؤمنين عثمان بن عفـان رضي الله عنه تحت ذريعة (الإصلاح)، وكان مـن ادعاءاته التي ينشرها بين الناس بهدف الإثـارة أن عثمان بن عفان رضي الله عنـه لم يُصلـح الأخطـاء في عماله، وأنـه ولىّ أقاربه، وأضاع المـال العام، وصار يتحـدث بذلك، فتجمَّع حولـه الهمج الرعاع، ممن لا يعـرف المنهج الشرعي، ولا يعرف حقائق الأقوال والشعارات، وإنما هم أتباع كل ناعق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولمّا قدم المفسـدون الذين أرادوا قتل عثمان رضي الله عنه، وشكوا أمورا أزالها كلها عثمان، حتى أنه أجابهم إلى عزل من يريدون عزله، وإلى أن مفاتيح بيت المال تُعطى لمن يرتضونه، ولم يبق لهم طلبٌ، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها:

---

(١) سورة البقرة: ١١، ١٢.

مصصتموه كما يمص الثوب ثم عمدتم إليه فقتلتموه).

فتبينَّ أن شعار الإصلاح الذي رفعوه، ومطالبهم التي يوهمون الناس بها، ما هي إلا ذريعة لإثارة الناس على الحاكم وقتله، ولهذا لما تم قتل عثمان رضي الله عنه نادى منادٍ منهم إنه لم يحل لنا دم الرجل، ويحرم علينا ماله؛ ألا إن ماله حلال لنا، فنهبوا ما في البيت، فعاث رعاعهم في البيت فسادًا، ونهبوا كل ما في البيت، ثم تنادوا وقالوا: أدركوا بيت المال، وخذوا ما فيه، فانظر - أيها القارئ الكريم - يدَّعون الاهتمام بحفظ بيت المال، ويتهمون أحد الخلفاء الراشدين، الذي جهز جيش العسرة، وتستحي منه الملائكة، فلما تولوا سقطت الأقنعة، ونهبوا بيت المال، بعد أن قتلوا إمام المسلمين، وسعوا في الأرض الفساد.

هذا المسلك الذي سار عليه ابن سبأ، هو تماما ما يسير عليه ورثته في المنهج والفكر، وقبل عشرين عاما بعد أزمة الخليج ادَّعى بعض الناس الإصلاح، متسترين بلباس الدين والعلم الشرعي، مع أنهم ليسوا من المتخصصين في العلم الشرعي، وإنما هم حركيون حزبيون، ولو تخصصوا فيه لعلموا أن العلم الشرعي يدعو إلى السمع والطاعة لإمام المسلمين والصبر حتى وإن بدا منه أثرة واستبداد، لما جاء في صحيح البخاري: (ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[1]، ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعلم الناس، وأفصح الناس، وأنصح الناس، وأشجع الناس، وأتقى الناس، ومع هذا اختار كلمة (اصبروا) لم يقل: اخرجوا، أو اشجبوا، أو تظاهروا، وإنما قال: (اصبروا)، وقال أيضا في حديث آخر (أعطوهم الذي لهم، واسألوا الله الذي لكم)، وهذا ما لا يطيق العمل

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم (٧٢٧٥).

بـه الغوغائيـون من مدّعي الإصلاح، كما أن العلم الشرعـي يدعو إلى عدم منازعة الأمر أهله، ويحذِّر من الفتن والغوغاء والتحزبات الضالة، والإثارة التي لا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام، ولهذا نجد الكفار يستقبلون هؤلاء المرجفين ويدعمونهم، وأذكر لما أصدروا نشراتهم ومذكراتهم في تلك الفترة، أني قلتُ للطلبة آنذاك هؤلاء ليسـوا أهـل نصح، وإنما هم أهـل إثارة وفتنة، فهـم يكتبون للحاكـم مما يزعمونه نصيحـة ومطالب شرعية، ثم ينشرون ما يكتبون للعـالم، وهذا ليس من النصح في شيء، لأن الناصـح يبدي مـا لديه للمنصوح بسرية تامة، فـإن قبل فهذا المطلوب، وإن لم يقبل فقد برأت ذمته، هذا في حق آحاد الناس، فكيف في حق إمام المسلمين، واليـوم اعترف من تـولى كِبرَ الإفك والفتنة، وصار معارضا يسـكن في بلد الكفر، أنـه ومن معه فعلا لم يريـدوا الإصلاح برسـائلهم تلك وإنما أرادوا إثـارة الناس، والنصائـح الموجهـة من قبلهـم للحاكم إنما هـي ذريعة فقط، هذا ما قاله بلسـانه، فقد سـمعته في حوار مع أحد الحاقدين على بلادنا من حزب الإخوان يقول:(ليس الهدف تحقيق الإصلاح مع الدولة، الهدف أن يقتنع الناس بصراع جماهيري، ليكون الناس مهيئين لخطوة تالية من خطوات التغيير).

ويقـول كذلـك ما نصـه: (كان هدفنا الجماهـير، وليس الحاكم، وإرسـالنا إلى الحاكم ما هو إلا ذريعة حتى نصل إلى الجمهور).

فهل هذا هو الإصلاح، الذي أمر الله به ورسولُه؟!

ومـن ضلالهم كذلك أنهـم يجمعون التواقيع - كما اعـترف بذلك - ويوهمون مـن يوقـع أنها سرية، ثم يعلنونها، ولما سـأله محـاوره: عن جواز ذلـك، قال: نحن المورِّطون، نورِّط الناس.

وإذا كان هـذا هـو الواقـع، كان حريـا بهـم أن يسـموا حركتهـم، المورِّطون الكاذبون، بدل الإصلاح والمصلحون، لأجل أن يطابق الاسم المسمى.

والعجيب أنه يكفِّر دولتنا، ولا أدري ما هي الدولة الإسـلامية في نظره ما دام أنـه يـرى تكفير بلادنا، هل هي الدولة التي آوته، أم نظـام إيران وأدواتها، أم أنه لا توجد دولة إسلامية على وجه الأرض، والناس عنده في جاهلية عامة.

أسـأل الله أن يهديهم لترك هذا المسلك السبئي الوخيم، وأن يوفقهم إلى الهدي النبوي القويم، وما ذلك على الله بعزيز.

لا تقولوا على بلادنا غير الحق

العقيدة الصحيحة هي الأساس التي تصح معها الأعمال، وهي سبب النصر والتمكين كما قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[1]، بهذا القيد ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾، وقال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[2]، وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3]، وقد أدرك قادة هذه البلاد ابتداء من الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية ومن بعده من الأئمة والملوك إلى عصرنا الحاضر، كلهم يقولون: لا مساومة على العقيدة. فهذا الملك المؤسس عبدالعزيز رحمه الله يقول: (كلمة التوحيد، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إني والله، وبالله، وتالله، أقدم دمي، ودم أولادي، وكل آل سعود، فداء لهذه الكلمة، ولا أضن به).

ويقول: (سنبقى مثابرين على هذه العقيدة أنا وأسرتي، ولن نحيد عنها قيد شعرة بحول الله وقوته، ومن الله نسأل التوفيق والهداية).

---

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) سورة غافر: ٥١.

(٣) سورة الحج : ٤١.

ويقول: (لســت ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته.. إننا نلنا فخرا يزيد عن فخـر الملك وأبهته، أجل نحن دعاة إلى التمســك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة للعروة الوثقى لا انفصام لها).

ويقـول: (إننا لا نبغي التجديد الذي يفقدنا ديننـا وعقيدتنا، إننا نبغي مرضاة الله عز وجل، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حســبه، وهو ناصره، والمسلمون لا يعوزهم التجديد، وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح).

ويقول: (ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجســامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شــخصية أو لجر مغنم، وإنما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي ولنجعل كلمة الله هي العليا).

ويقول: (دســتوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد صلى الله وسلم. فإما حيــاة ســعيدة على ذلك، وإما موتة ســعيدة). وهكــذا فإن جميع أبنائــه الملوك بعده ســعود وفيصل وخالد وفهد وعبدالله وســلمان يؤكدون عــلى العقيدة الصحيحة، وأنها الأســاس الذي قامت عليه هذه البلاد، وتكونت بســببها هذه الوحدة، يقول الملك ســلمان حفظه الله: (يجب على شــبابنا أن يعرفوا كيــف تكونت هذه الوحدة، المبنية على العقيدة الإسلامية، ووحدة عربية إسلامية).

إذا عُلم ما تقدم، فإنه لا تصح معارضة ذلك بما ينقله هذه الأيام بعض الكتاب هداهــم الله من مقالات قديمة لغيرهم، أيقظوها من مرقدها، وحاولوا تســويقها، مــع أنها تضمنت منكرا من القــول وزورا، ولا حجة فيها، كالقول إن العقيدة التي يسمونها (الأيديولوجية الشرعية التي تستند عليها الدولة) سببٌ للأزمات، ومعاذ الله أن تكون العقيدة التي اســتندت عليها الدولة ســببا للأزمات، أو سببا لسقوط

الدولة السعودية الأولى، وإنما هي سبب للخير والعزة والتمكين والقيام، وكالقول إنه يجب اسـتبدال العقيدة أو ما يسمونه (الأيديولوجية الشرعية) التي قامت عليها الدولة بقوة الحاكم، فيا سبحان الله لماذا هذه العداوة للعقيدة، ألم يعلموا أن العقيدة الصحيحة هي التي بموجبها نعتقد البيعة والسمع والطاعة لولي أمرنا بالمعروف!

ألم يعلمـوا أن العقيـدة الصحيحة هي التي بموجبهـا نعتقد عدم الخروج على ولي أمرنا، وعدم منازعته الأمر! ألم يعلموا أن العقيدة الصحيحة هي التي بموجبها نصطـف خلف ولي أمرنا، ولو خاض بنـا البحر لنصرة الدين والدفاع عن الوطن، لخضناه معه ما تخلف منَّا رجلٌ واحد! ألم يعلموا أن العقيدة الصحيحة هي التي قال عنها الملك عبدالعزيز إنها ملكت مشـاعري وجسـمي وقلبي، وأقدم نفسي وأسرة آل سـعود فداء لها! فما بال كثير من الكتاب هداهم الله لا يكادون يفقهون حديثا؟ أهم أعلم أم الملك عبدالعزيز؟ يقول رحمه الله مبينا أن التوحيد والعقيدة سبب لقيام الدولـة ما نصه: (أن تسـقط دولة ثم تقوم ثم تسـقط ثم تقوم ثـلاث مرات، السر في ذلـك أنها دولة تقوم على شريعة؛ تقوم عـلى التوحيد وعلى دعوة التوحيد)، بينما بعـض الكتاب والصحفيين هداهـم الله يقولون نقيض ذلك تمامـا، فما مصلحتهم من تحريف الحقائق؟ والمأمول من الكتاب أن يعرضوا عن ذلك، ويستغفروا ربهم، ولا يقولـوا على بلادنا غير الحق، وألا يعتمـدوا على كتابات قديمة مناقضة للدليل والواقع، ويبعثوها من مرقدها ويُلمِّعوها، فالحق أحق أن يتبع، وربما يكون لكاتبي تلك المقالات القديمة الآن رأي آخر، مخالف لما كتبوه آنذاك، وعلى كلٍ فالحجة هي بالدلائل الشرعية، وبالحقائق الواقعية التي سطرها ولاة أمرنا آل سعود حفظهم الله.

أمير القصيم ورسائل أئمة دعوة التوحيد

بين يدي كتاب قيِّم جدا، عنوانه: (رسائل أئمة دعوة التوحيد)، يتضمن مقدمةً وأربعة فصول، واثني عشر مبحثا، وتسعا وعشرين رسالة في سلسلةٍ ذهبية من أئمة التوحيد من آل سعود رحمهم الله، أما مؤلفه فهو من جمع المجد من أطرافه، ديناً وعلماً وإدارةً وخلُقا ونسبا، الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة القصيم، الذي كلفه خادم الحرمين الملك سلمان ـ حفظه الله ـ أميرا لتلك المنطقة العزيزة من وطننا الغالي، وقد قال صاحب كتاب (لسراة الليل هتف الصباح) معالي الشيخ عبدالعزيز التويجري رحمه الله، وهو يعلق على إحدى الوثائق الصادرة من الملك عبد العزيز ما نصه: (ولأهمية القصيم عنده- أي: عند الملك عبدالعزيز- يختار لها أفضل أمرائه)، كما هو الشأن في المناطق الأخرى.

لم يكتف الأمير بخدمة المواطنين في تلك المنطقة، وتلمس حاجاتهم، وبذل الجهد في التنمية والتطوير وتحقيق تطلعات ولاة الأمر، وإنما ألّف كتباً نافعة، بلغت نحوا من ستة عشر كتابا، فعمَّ بخيره ونفعه أرجاء البلاد، وليس القصيم فقط، واستفدنا نحن في مناطقنا من مؤلفات هذا الأمير الصالح الناصح، أحد تلك الكتب القيّمة بل أهمها في نظري هذا الكتاب الذي هو موضوع هذا المقال: (رسائل أئمة دعوة التوحيد)، كتب المؤلف مقدمته بأدب جم، وتواضع كريم، رغم مكانته الأكاديمية العالية، ورغم مكانته العملية الناصعة، ولكنه استشعر عِظَم الموضوع الذي يتكلم فيه، وهو الأصل الذي خلق الله عباده من أجله، وأرسل جميع رسله

لتحقيقـه، وهو التوحيد، قال تعـالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] أي: يوحدون، وقال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[2]، واستشـعر كذلك ما تضمنه كتابه من أئمة آل سعود الراحلين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في نصرتهم التوحيد، وجعله الأسـاس الذي تنبني عليه الدولة، عندما يقرأ الإنسـان أقـوال هؤلاء الأئمة من آل سـعود يرى كلماتهم وإن تنوعت ألفاظها، إلا أن حقيقتها واحدة، لأنهم جميعا يصدرون من مشـكاة واحدة، وهـي الكتاب والسـنة، كلهم يقول: اعبدوا الله ما لكم مـن إله غيره، كلهم يقول: أعزنا الله بالإسـلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله، كلهم يقول: التوحيد هو الأساس الذي قامت عليه دولتنا، ولن نحيد عنه قيد أنملة، كلهم يقول: والله وتالله وبـالله إننا نقدم أنفسـنا ودماءنا وأسرنـا فداء لكلمة التوحيـد، لا إله إلا الله، محمد رسـول الله، فرحمهم الله، وحفـظ ذريتهم ووفقهم، فقد قالوا وفعلوا، وليسـوا هم ممـن يقول ولا يفعل، يقول الملك عبدالعزيز رحمه الله: (أنا لسـت من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حسـاب، فأنا رجل عملي، إذا قلت فعلت، وعيب علي في دينـي وشرفي أن أقـول قولا ولا أتبعه بالعمل لأن هذا شيء ما اعتدته ولا أحب أن أتعوده أبدا).

ونقول نحن أبناء هذا الشعب، ونحن نستحضر مواقف قادتنا، نقول للعالَم:

أُولَئِكَ آبَائي، فَجِئْني بِمِثْلِهِمْ   إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المَجَامِعُ

والواجـب علينا جميعا أن نسـير على طريقتهم في نصرة دعـوة التوحيد، فإنهم

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

والله عـلى الحق المبـين، ولندعو لهم بالتوفيـق والنصر والفوز بجنـات النعيم، قال الشـيخ ابـن باز رحمه الله: (آل سـعود - جزاهـم الله خيراً - نصروا هـذه الدعوة، هـؤلاء لهم اليد الطولى في نـصر هذا الحق - جزاهم الله خيراً - سـاعدوا، نصروا، فالواجب محبتهم في الله، والدعاء لهم بالتوفيق).

ويعلم كل متابع أنه لا نظير لآل سـعود منـذ القرن الثاني عشر الهجري وحتى اليـوم في نصرة التوحيـد، أدام الله توفيقهـم للخير، وأدام دولتنا السـعودية عزيزة قويـة، فهي بحمد الله دولة شرعية دسـتورها القرآن، ولهذا لما طلبت الأمم المتحدة من الملك عبدالعزيز إرسـال نسـخة من دسـتور الدولة، أرسـل لهم - رحمه الله - القرآن الكريم، وقال لهم هذا دستورنا.

فهذا هو الأسـاس الذي تقـوم عليه دولتنا السـعودية، وإن كـره الكارهون، وزخرَف المبطلون، الذين يهوِّنون من شـأن العقيـدة، ويصفونها بالصفات المنفِّرة، كقولهم: (الأيديولوجية الرسـمية، والتقليدية ونحوهما)، وهي شنشـنةٌ نعرفها من أخزم، يريدون هدم الأسـاس الذي قامت عليـه الدولة كخطوة أولى، ثم إزالة من كان وجوده مبنيا على هذا الأسـاس العقدي، وإن شـاء الله لـن يتم لهم ذلك، فهم والحالة هذه:

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وأقترح عـلى معالي وزير التعليم ـ وفقه الله ـ طباعـة هذا الكتاب وتوزيعه على المـدارس والجامعـات، لأن الحاجة بل الـضرورة تدعو إليه، ولما قال موسـى عليه السـلام: (يا رب علمني شـيئًا أذكرك وأدعوك به قال قل يا موسـى لا إله إلا الله، قال يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن

غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله»[1].

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: في هذا الحديث دلالة على أن الأنبياء يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله. وأقول: إذا كان الأنبياء على عظم شأنهم يحتاجون إلى التنبيه لفضل التوحيد، فنحن أشد حاجة وضرورة.

(١) أخرجه النسائي، ١٠٦٠، والحاكم في المستدرك١/ ٧١٠ وقال صحيح الأسناد.

دولة التوحيد في خدمة الحجيج

أمـر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسـلام أن يؤذن للناس بالحج، وبينَّ سـبحانه أن الناس سـيلبُّون هذه الدعوة من كل فجٍّ عميـق، كما قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1]، والله تعالى أعلم بمن هو أهل لاسـتقبال عباده الذين لبَّوا دعوته للحج، وأعلم بمن هو أهـل لخدمة حجاج بيته العتيق، فهو سـبحانه يخلق ما يشـاء ويختـار، كما قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[2]، وقـد اختـار الله آل سـعود ليكونـوا في خدمة ضيوفـه، فقاموا بذلك خير قيـام، وجعلوا حجاج بيت الله الحرام يؤدون نسـكهم براحة وأمن وطمأنينة ومنظومة كاملة من الخدمات، وقد كان الحجاج قبل حكمهم في حال من الخوف والسلب والنهب والمهالك، كما هو موثق في كتب التاريخ، فمنَّ الله تعالى على المسلمين بهذه القيادة المباركة، فخدموا حجاج بيت الله الحرام، وزوار مسـجد نبيه صلى الله عليه وسـلم، وخدموا الحرمين الشريفين، والمشاعر المعظمة، خدمة فائقة، ما عرف التاريخ لها مثيلا، وهذا أمر مشـاهد وواقع، لا ينكره إلا من ينكر الشـمس في رابعة النهار، فالأمور المشـاهدة لا تحتاج إلى أدلة تثبت وجودها، وهل يحتاج الإنسـان وهو في وسط النهار، والشـمس في كبد السماء، هل يحتاج إلى دليل على أنه في نهار؟ وقديما قال المتنبي:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل.

---

(١) سورة الحج : ٢٧.

(٢) سورة القصص: ٦٨.

وإنــه ليحزنني أن يُنكِر هذه الجهــود التي أنعم الله بها على قــادة دولة التوحيد المملكة العربية السعودية، يحزنني أن يُنكرها بعض المسلمين بدافع الحسد أو الحقد أو الأغراض السياسية الدنيئة، مع أنهم يرون تلك الجهود رأي العين، فهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، ويشــككون ويُلبِّســون، هذا الجحود ليــس من أخلاق أهل الإســلام، بل ولا أخلاق الجاهلية قبل الإسلام، وإنما من أخلاق طائفة من اليهود قال الله عنهم ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[1]، والمتعين على أهل الإســلام أن يشــكروا الله ســبحانه وتعالى أن هيأ لحجاج بيته مــن لا يألوا جهدا في خدمتهم، ثم يَشــكروا قيادة المملكة العربية السعودية، ويدعوا لها بالتوفيق والنصر وعظيم الأجر، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)[2]، قــال الإمام الخطــابي في شرحه لهذا الحديث: [هذا الحديث فيه ذم لمن لم يشــكر الناس على إحسانهم. وفيه أيضا الحث على شكر الناس على إحسانهم. وشكر الناس على إحســانهم يكون بالثناء عليهم وبالكلمــة الطيبة وبالدعاء لهم]، ولا يُلتَفت لمن يضيــق صدره بالثناء على هذه الدولة المباركة، وينتقــد من يثني عليها بما فعلت من خــير، بينما هو يثني على جماعات وأحــزاب ودول آذت الناس، ولم تنصر التوحيد، وهذا من الخذلان، وانقلاب المفاهيم.

إننا حينما نحمد الله ونثني عليه ثم نشــكر قادتنا على نصرتهم التوحيد والسنة، وخدمــة الحرمين وضيوف الرحمن، فإننا نمتثل أمــر الله تعالى القائل: ﴿ هَلْ جَزَآءُ

---

(١) سورة النساء: ٥٤.

(٢) الترمذي في سننه برقم ١٩٥٥.

﴿ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[1]، وأمر رسوله القائل: (من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)[2]، وهذا ما درج عليه علماؤنا الكبار ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله، ومعاذ الله أن يكون ثناؤهما تملقا وكذبا أو ابتغاء عرض من الدنيا، وكنتُ قبل يومين في جلسة خاصة عند سماحة شيخي صالح الفوزان حفظه الله، فقال لي وهو يستحضر ما منَّ الله به على المسلمين بالملك عبدالعزيز وأبنائه وأحفاده، وما قام به من جهود عظيمة للبلاد والعباد، قال ما نصه: (أنا أعتبر الملك عبدالعزيز مجددا).

هذه شهادة العلماء الذين استشهد الله بهم على أعظم مشهود وهو التوحيد كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾[3]، شهدوا كما ترى لهذه الدولة السعودية وقادتها بالخير وخدمة الإسلام والمسلمين، وعندما يشهدون بذلك فإنما يشهدون بعلم وصدق وإخلاص، لا بجهل وتملق ورغبة في لعاعة من الدنيا، وبلادنا صفحتها بيضاء نقية، وقضاياها عادلة، ليست بحاجة- في نظري - إلى محامين فاشلين، ولا مغردين براقشيين، ولا متملقين وصوليين، وإنما بحاجة إلى صادقين مخلصين، ينقلون الحقيقة كما هي، وحقيقة بلادنا مُشرِّفة ولله الحمد، فلننقلها بصدق وإخلاص، والله يتولى السرائر، ويُحصِّل ما في الصدور، ومن كان قوله لوجه الله فإنه يبقى، ومن كان لغيره يفنى.

---

(١) سورة الرحمن: ٦٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٦٨، والبخاري في الأدب المفرد ٢١٦ والحاكم ١/ ٤١٢ وقال صحيح على شرط الشيخين.

(٣) سورة آل عمران: ١٨.

إلا دستور المملكة العربية السعودية

قرأت مقالات لا خطام لها ولا زمام، تُبشرِّ بالعلمانية وتدعو إليها، وكأننا لسنا على شيء، والواقع أن أصحاب تلك الدعوات – هداهم الله – يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وهل يصح أن تكون الآراء المتهافتة، والخيالات المتناقضة، بديلا عن حكم الله ورسوله؟ هذا لا يصح، بل إن مجرد تصور تلك الدعوات والمقالات كاف في إبطالها، لأنها لم تُبْنَ على أساس، وإنما هي زبدٌ وفشارٌ على شفا جرف هار، ولذلك فمآلها إلى زوال، حتى وإن نُشرت في الصحف، قال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١]، فالعلمنة سراب خادع، يظنه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وقد قال الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[٢]، وكنتُ سألت أحد المنبهرين بالعلمنة، وقلتُ له: هل الشريعة الإسلامية نهت عن شيء فيه نفع وتقدم؟ ففكر مليا وقال: لا، قلت: هل هناك شيء حسن في اللبرلة والعلمنة ولا يوجد في الكتاب والسنة؟

فقال: لا، فقلت: إذاً لا حاجة لها، فديننا كافٍ شاف، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٣]، فهو يدعو إلى العلم والتقدم في جميع المجالات، وهو تبيان لكل شيء كما قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٤]،

(١) سورة الرعد: ١٧.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

(٣) سورة العنكبوت: ٥١.

(٤) سورة النحل: ٨٩.

وكنت قديما سمعت شيخنا ابن عثيمين رحمه الله يقول إن رجلا نصرانيا أتى عالما مسلما في مطعم، فقال له: تزعمون أن القرآن﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾، فقال العالم المسلم: نعم، فقال أخبرني كيف صُنِعَت هذه الطبخة من اللحم وغيرها، فقال العالم: يا صاحب المطعم! تعال، كيف صنعت هذا؟

قال: فعلت كذا وكذا وذكر الوصفة تماماً، قال: هكذا جاءت في القرآن!

فتعجب النصراني كيف جاءت في القرآن، وقال هات المصحف من أول الفاتحة إلى آخر الناس ما نجد هذا، فقال: بل موجودة في القرآن، إن الله قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، هذه الآية وإن لم تكن في هذه المسألة في خصوصها لكن فيها إشارة إلى أن كل شيء لا تعلمه اسأل عنه أهل العلم فيه.

أقول: كنت قرأت تلك المقالات الداعية للعلمانية، وهي متهافتة، ومن قرأها ازداد يقينا أن الله أغنانا بخيرٍ منها، لكني ما كنت أظن أن تصل الجرأة ببعض الكتَّاب أن يتجنوا في بعض مقالاتهم (التي أحتفظ بها) على دستور المملكة العربية السعودية، زاعمين أن الدستور ليس هو القرآن الكريم، متجاهلين ما نص عليه النظام الأساسي للحكم في مادته الأولى، والمتضمن ما يلي: (المملكة العربية السعودية، دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم...)، ومتجاهلين ما يقوله جميع ملوك المملكة العربية السعودية بدءا من الملك عبدالعزيز -رحمه الله- إلى الملك سلمان حفظه الله، في كل مناسبة يقولون: (دستورنا الكتاب والسنة)، بل وزعم أولئك الكتَّاب - هداهم الله - في بعض مقالاتهم زعموا وبئس مازعموا غَلَطَ من قال:

(١) سورة الأنبياء: ٧.

إن القرآن الكريم هو دستور الدولة، هكذا يقعون في الغلط بل ويتعدون الخطوط الحمراء، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، ومعلوم أن الذي قال إن دستور الدولة هو القرآن الكريم، هم ولاة الأمر، فهذا موثق عنهم، يقولونه بكل عزة وفخر وشرف، ولم يغلطوا في ذلك، بل هذا هو الصواب والعزة وعظيم الأجر، وهذا كما تقدم موثق في النظام الأساسي للحكم، وهو ما قامت عليه الدولة منذ عهد الإمام محمد بن سعود عام ١١٥٧ للهجرة إلى يومنا هذا في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان حفظه الله، وسيستمر ذلك إن شاء الله في هذه الأسرة الكريمة (آل سعود)، وإذا كان كل شعب يحترم دستور بلده وإن كان فيه ما فيه، فكيف لا يحترم بعض الكتَّاب في صحفنا دستور بلادنا الذي يرفع الرأس، وليس فيه نقص أبدا، وهو: (القرآن الكريم)؟ ما الهدف من هذه الجرأة؟ هل هي زلة يمكن الاعتذار منها؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ فيا أيها الكتَّاب وفقكم الله إن هذا القرآن الذي هو دستور بلادنا، ونعتز به، إنه يهدي للتي هي أقوم في العبادات والمعاملات والسياسة والأحكام، والتعاملات مع الموافقين والمخالفين، فهو تبيان لكل شيء، ويدعو للعلم والتقدم والتنمية الشاملة في جميع المجالات، من تمسك به وحكم به، واتبع هداه، فقد سعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه فإنه له معيشة ضنكا، ويحشره الله يوم القيامة أعمى، قال الله تعالى ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[2]، وهذا الشرف

(١) سورة طه : ١٢٤.

(٢) سورة النساء: ٦٥.

وهو تحكيم الشريعة، واتخاذها دستورا ومرجعا، هو ما يميز بلادنا المباركة، ويميز قادتنا حفظهم الله منذ ثلاثمائة سنة، ولن يخزي الله بلادنا وقادتنا أبداً ما دام أنهم بحمد الله جعلوا القرآن الكريم دستورهم ودليلهم وقائدهم ومرجعهم في الأمور كلها، لقد أغنانا الله بالإسلام دستورا ومنهجا، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، فاللهم وفق ولاة أمرنا لكل خير، وأصلح لهم البطانة، وأبعِد عنهم بطانة السوء، إنك على كل شيء قدير.

تسجيل للشيخ ابن عثيمين رحمه اللّه
لم يُنْشَر من قبل

كل من رأى الشـيخ ابن عثيمين رحمـه الله أو درس عنده أُعجِب بعلمه وهديه وسَـمْتِه وصدقه ونصحه وورعـه وزهده، ووضوحه وصراحته، وثباته، وحسـن تعامله مع الراعي والرعية، لا يسـتفزّه المتحمسون، ولا يستخِفّه الذين لا يوقنون، ولا يُخرِجه عن طوره المزايدون، ما يقوله في السر هو ما يقوله في العلن، لأنه يراقب الله، ويحـرص عـلى ألا يقول إلا ما يرضي الله، عن عقيدة صحيحة، وعلم راسـخ، وهدف نبيل، لعلمه أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الدنيا ومن عليها فانية، ولا ينفع عند الله إلا الصدق، وما أريد به وجه الله، وبين يدي تسـجيل خاص، لم يحضره إلا اثنان، أجاب فيه شـيخنا ابن عثيمين رحمه الله على بعض الأسـئلة، وذلك في منزله يوم الجمعة ١٤١٨/ ٨/ ١٢هـ السـاعة العاشرة صباحا، وحيث إن هذا التسجيل لم يظهر قبل ذلك، ولما تضمنته الإجابة من فوائد مهمة، رأيت أن أنشر أحدها لمناسبته وفائدته، وقد أذن الشيخ بتسجيل الإجابات لينفع الله بها من يشاء من عباده، وهذا هو نص الحوار المُسجَّل:

(قـال السـائل: إذا وجد الحاكم المسـلم فهل لطائفة من النـاس أن تقيم عملا جماعيا دون إذنه أو علمه؟

فأجاب شـيخنا بقوله: ماذا تريـد بقولك عملا جماعيا؟ فقال السـائل: أقصد عملا جماعيا يقتضي الأمر والنهي والسمع والطاعة.

فقال شـيخنا: ليس لهـا أن تفعل ذلك لأن هذا يعني حكومـة داخل حكومة،

وولي أمـر داخـل ولي أمر! وهـذا يؤدي إلى قيـام النزاع ولا بـد، لأن الحاكم الذي فوقهم لا يرضى بهذا قطعا أن يكون له مشارك في الحكم في جُزْءٍ من الأجزاء، لذلك نرى أنه لا يجوز ذلك العمل، نعم لو كنا في بلد غير إسلامي والحاكم غير مسلم فلنا أن ننظم شؤوننا على حسب ما يقتضيه ديننا بعد أن نتفق على ترشيح شخص معين ونائب له وما تقتضيه الحال.

[يقصد الشـيخ في البلاد الكافرة التي فيها مراكز إسـلامية، تبين لهم الأحكام الشرعية من صلاة وصيام ونحوهما]، فقال السائل: هل تبين لنا - جزاكم الله خيرا - حدود العمل الجماعي المشروع تحت سلطة حاكم مسلم؟

فأجاب شـيخنا: أنا لا أؤيد هـذا أبدا، لا أؤيد أن يقوم حـزب معين أو طائفة معينة تحت تنظيمات معينة إلا إذا كان في غير بلاد الإسلام.

فقال السـائل: إذا لم يكن في البلد حاكم مسـلم وافترق الناس إلى طوائف هل يجوز الالتحاق بإحدى هذه الطوائف لعمل أو لغيره؟

فأجاب شـيخنا بقوله: كلمة إذا كان الحاكم غير مسـلم، هل تريد أن هؤلاء في بلد كفر يحكمه كافر كبلاد أوروبا مثلا؟ أم في بلد إسلامي؟

فقال السائل: لنقل في الحالين، في حال بلد كافر من الأصل، وفي حال بلد أهله مسلمون والبلد مسلم، لكن غاب الحاكم المسلم فلا يوجد حاكم مسلم.

فأجاب شـيخنا: في الحال الأولى كما قلت لك أولا لا بأس أن يقيم المسـلمون لهـم دائرة معينة تلزمهم بأحكام الإسـلام ويرجعون إلى العلـماء في هذه الدائرة في أحكامهم الشرعية.

لكن في بلد مسلم يقال إن القائم عليها غير مسلم، هذه مسألة صعبة؛ لأن من الناس الآن من يكفِّر كثيرا من حكام المسلمين، وربما أكثرهم أو كلهم فلا يمكن أن نضبط، إذ إن كثيرا من الناس – مع الأسف الشديد – صاروا يجرؤون، هذا كفر وهذا كافر، ولا يجرؤون لما عندهم من الورع هذا حلال وهذا حرام، مع أن القول بأن هذا كافر أو هذا كفر أشد وأعظم لما يستلزم من إباحة الدماء والأموال والقتال وما أشبه ذلك.

وأنا أعجب من قوم عندهم ورع وعندهم دين لا يجرؤ أحدهم أن يقول هذا حلال أو هذا حرام في ما لم يكن حلالا أو حراما في شريعة الله، أو هذا واجب وهذا غير واجب لما لم يكن وجوبه في كتاب الله وسنة رسوله، ويجرؤون وبسرعة على تكفير من يرون بغير علم أنه كافر، أو أن هذا العمل كفر بدون علم، ولا شك أن هذا من تلاعب الشيطان بهم لأن انصياعهم لهذه الأخيرة أعني التكفير سواء أكان بالعمل أو العامل أعظم خطورة وجرأة على الله عز وجل من القول بأن هذا حلال وهذا حرام). انتهى.

ومن خلال إجابة الشيخ نستنبط ما يلي:

أولا: أن الشيخ يمنع إقامة الجماعات والأحزاب في الدولة المسلمة، لأن ذلك افتيات على ولي الأمر صاحب البيعة الشرعية، ولا يصح أن تكون دولة داخل دولة.

ثانيا: أن الشيخ مع اهتمامه بالدروس والفقه، حريص كذلك على التحذير من الأحزاب والجماعات، وفيه رد على أصحاب الورع البارد، والمنهج الفاسد، الذين لا ينكرون الحزبيات، بدعوى الاكتفاء بالعلم، وكأن التحذير من الأهواء

والحزبيات ليس من العلم، فها هو شيخنا ابن عثيمين وهو من أهل العلم الكبار ينكر هذه الحزبيات ويحذِّر منها، بل حذَّر منها قدوتنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ونهى عن التحزب للفرق والجماعات، وقال: (فاعتزل تلك الفرق كلها)[1].

ثالثا: خطورة تربية الأتباع على الجرأة في اقتحام مسائل التكفير بغير علم، في حين أنهم يتورعون عما هو أهون من التكفير، مما يعكس مقاصد هذه التحزبات وأهدافها الخفية السيئة.

رابعا: أهمية الاتزان في الردود، وأن تكون ممن استقام منهجه، فتكلم بعلم وعدل ورحمة، لا ممن اضطرب منهجه، وصار يتكلم بجهل وظلم ونقمة، يفرح بالخصومات، ولا يعيش إلا في الصراعات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم (٧٠٨٤).

هذا من بركة العقيدة الصحيحة

دين الإسـلام صالح لكل زمان ومكان، فيه الجواب الكافي، والدواء الشـافي لـكل ما يحتاجه الناس في دينهـم ودنياهم، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1]، وقال أبو ذر رضي الله عنه «لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يُقلِّب جناحيه في السـماء إلا ذكر لنا منه علما»[2]، وقال رجل من المشركين لسـلمان الفارسي رضي الله عنه: هل علمكـم نبيكم كل شيء، حتى الخراءة –آداب قضاء الحاجة– قال: «نعم، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول.. الحديث»[3].

وإذا كانت الشريعة بينت كل شيء حتى آداب قضاء الحاجة، فبيانها لأمور الجماعة والبيعـة والإمامـة والولاية، ومـا يتعلق بأمن النـاس، وحفظ دمائهم، مـن باب أولى، ومن توفيق الله تعالى لهذه البلاد السـعودية أن كان الكتاب والسـنة هما دسـتور الدولة، والحاكـمان على جميع أنظمـة الدولة، ولهما الصدارة في مقـررات التعليم، ومما نص عليه النظام الأساسي للحكم في مادته الثالثة والعشرين ما يلي؛ (تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبـق شريعتـه، وتأمر بالمعروف وتنهـى عن المنكر، وتقوم بواجـب الدعوة إلى الله).

فلما حمت الدولة عقيدة الإسلام، حماها الله تعالى ونصرها، جزاء وفاقا، كما قال تعـالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[4]، وكما قال النبي

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) اخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٣/ ٥-١٦٢، ورواه الطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٣/ ٨-٢٦٤، رجال الطبراني رجال الصحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ٢٦٢.

(٤) سورة محمد: ٧.

عليه الصلاة والسلام: (احفظ الله يحفظك)[1]، فمن حفظ العقيدة الصحيحة، ودعا إليها، حفظه الله ونصره، وخذل عدوه، وقد رأينا خذلان الله لأعداء هذه البلاد السعودية، فكان تدبيرهم تدميرا عليهم، لأن من حكمة الله أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، وأن الله لا يصلح عمل المفسدين، ومن إفسادهم دعوتهم الناس في السعودية إلى الخروج على ولي الأمر، والتمرد والعصيان، فيما أسموه حراك ١٥ سبتمبر، لكن شعب المملكة العربية السعودية الوفي الذي رضع العقيدة الصحيحة مع لبن أمهاتهم، ودرس المقررات الشرعية في المدارس والجامعات، والتي تأمر بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرنا، وتحُرِّم الخروج على ولي الأمر، بأي وسيلة من وسائل الخروج، هذا الشعب ضرب بقول أعداء الدين والوطن عرض الحائط، فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، والحمد لله رب العالمين، بل عاقبهم الشعب بنقيض مرادهم، فصدح خطباء الجوامع في جميع مناطق المملكة -جزاهم الله خيرا - بالتذكير بهذا الأصل العظيم، وهو: السمع والطاعة، وعدم الخروج على ولي الأمر، وهكذا الصحف ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها أسفرت بالكتابات النافعة في هذا الشأن، ومن سَفَهِ دعاة الثورات والمظاهرات والفتن، أنهم يُشاقون الله ورسوله، ويريدون أن يُقدَّم كلامهم على كلام الله ورسوله.

فالله تعالى يقول﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[2]، ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول:(من يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد

(١) اخرجه الترمذي ٢٥١٦ وقال حسن صحيح.

(٢) سورة النساء :٥٩.

عصاني) رواه مسلم، ويقول: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية)[1]، وقال: (خيار أئمتكم: الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة)[2] رواه مسلم، هذا كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

بينما كلام دعاة الفتن والمظاهرات نقيض ذلك تماما، ولذلك خابوا وخسروا في دعواهم، ولم يلتفت لهم أحد، وهذا في نظري من بركة العقيدة الصحيحة، وتدريسها، ولهذا فإن الدعوة للثورات تلقى آذانا صاغية في كثير من الدول، بينما لا قبول لها في بلادنا، ومن أبرز أسباب ذلك التمسك بالعقيدة الصحيحة، ولهذا يسعى الأعداء إلى تهوينها في النفوس، والتشكيك في مناهجنا ومقرراتنا الشرعية، لكنهم مخذولون إن شاء الله، ولاريب أن وقوف الشعب بكامله مع الدولة عن عقيدة يرجو ثوابها عند الله، أقوى رد على من يشكك بمناهجنا الشرعية ومُخرجاتها، وأما وقوع أشخاص في جماعات الغلو فهو بسبب مناهج حزبية وافدة، وليس بسبب مناهجنا التي خرجت هذا الشعب السعودي الوفي، فمن الظلم اتهام مقرراتنا الشرعية، وها نحن نرى ثمرات دراستها والعمل بها في لزوم جماعة المسلمين وإمام المسلمين في بلادنا السعودية، وعدم الالتفات إلى دعوات أهل البدع والأهواء، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٦٤٥، ومسلم، ١٨٤٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث ٣٤٥٤.

ألا يستحق هذا الكتاب أن يكون ضمن مقررات التعليم

كتابة التاريخ والأحداث، وتحليل مجرياتها وفق مرئيات كاتبه وتصوراته واجتهاده، أمرٌ واقعٌ وغير مستغرب، صحيح أن كاتب التاريخ يحاول أن ينأى بعاطفته وميوله عند الكتابة والتحليل والاستنباط، وقد لا يتمكن من ذلك أحيانا، لكن الذي أجزم به، أن كتاب معالي الشيخ عبدالعزيز التويجري رحمه الله (لسراة الليل هتف الصباح) كتاب موضوعي، لا مجال فيه للعاطفة والهوى، ولا نظير له قط في الكتب المؤلفة في موضوعه (وهو: تاريخ بلادنا المملكة العربية السعودية) من حيث جودته وعمقه وصدقه وغزارة معلوماته، وكنت قرأت الكتاب منذ سنوات طويلة، ولا زلت أطلع عليه كلما احتجت إلى معلومة، أو وثيقة.

ولو كان لي من الأمر شيء لجعلت هذا الكتاب أو بعض ما جاء فيه من وثائق وتعليقات ضمن مقررات التعليم، كيف لا وهو سيرة ومسيرة، خطته أنامل الملك عبدالعزيز رحمه الله، وما أحسن أن يقرأ الطلاب ما كتبه موحِّد بلادهم بيده، ليعلموا ما لاقاه الملك ورجاله من عناء وتعب في سبيل إسعادهم، فقد عاش ورجاله في البراري والأودية والشعاب في الحر والبرد والخوف مشيا على جماهم تارة، وعلى أقدامهم تارات، ليعيش أبناء هذا الوطن في القصور والفلل تحت المكيفات آمنين مطمئنين، ويدرسوا في أرقى الجامعات، وهذا من فضل الله ثم جهود الملك المؤسس ورجاله، وهذا الكتاب الاستثنائي يتميز بميزات كثيرة منها:

١ - أنه يعطي قارئه صورة كاشفةً لحال بلادنا قبل توحيدها، وهذا يجعله يستشعر النعمة العظيمة على هذه البلاد وأهلها، بأن هيأ الله لها الملك عبدالعزيز

رحمــه الله ورجاله، ومنحه صفات قـلَّ أن تجتمع في حاكم، فجمع الله به الناس بعد الفُرقة، وألَّفَ به بعد العداوة، وأغنى به بعد العَيلة، وأمَّن به بعد الخوف.

٢ - أنــه يتضمــن وثائـق كتبها الملـك عبدالعزيز رحمه الله لا تتأثـر بتحليلات مؤرخٍ ولا عواطفه، وهي تصف الواقع والمواقع وتفاصيل ما جرى، فيشعر قارئها أنه يعيش مع الملك عبد العزيز ورجاله، وكأنهم ما سـاروا مسيرا، ولا قطعوا واديا إلا هو معهم.

٣ - عمـق التعليقـات على وثائق الكتاب، لاسـيما والمؤلف يبدي تسـاؤلات تنشِّـط الذهن للتفكير والاستنباط، ويضع تلك التسـاؤلات أمام القارئ، ويجعله يسـتنبط فرائد الفوائد منها، ولا يُمارس الوصاية عليه، ولا على فكره واستنتاجاته، ولا يقدم أحكاما جاهزة، يفعل ذلك بأدبٍ جم، وتواضعٍ عجيب، وثقافة عالية.

٤ - عفة لسـان الشـيخ التويجري رحمــه الله، فهو لم يقلل مـن قيمة أحد أخطأ نتيجة الظروف ومجريات الأحداث، أو عدم استشراف المستقبل، ولم يقلل من شأن مـن كان له موقف من بعض المسـتجدات، بل يدعو لهم ويعتذر عنهم بأنهم لم يروا لها نظيرا، ولم تكن بأرض قومهم، ولم يبْلغهم علم عنها، فلا يتنقص ولا يتشـمَّت، وهذا قمة النزاهة والأدب والعقل.

٥ - أن هذا الكتاب يعطي قارئه، شعورا قويا بوجوب الحفاظ على هذا المنجز الأمنـي، وهذه الوحدة العظيمة، وهـذه الأسرة المباركة (آل سـعود)، فهذا الأمن وتلـك الوحدة لم يتحققان بعد توفيق الله إلا بشـق الأنفس. ولعل من المناسـب أن أضع أمام القارئ الكريم مقتطفات من مقدمة الشيخ التويجري للكتاب، كتبها عام ١٤١٦هـ، يقول رحمه الله:

قارئي العزيز: ما أردت بهذه اللمحات أن أضللك، بل أحترم حريتك وثقافتك وفكـرك وتوجهاتك، فأنت ابـن العصر وقارئه ومجُادلُه بعقلـك ووعيك لمحدثاته ومُتغيراتـه، لم تعد حتـى غرفة نومك في عزلة عن هذا العـالم، يوم خطرت لي فكرة كتابة هذا الكتاب ترددتُ كثيراً وتساءلتُ: أَمِنَ الممكن أن يكتب من سيقال عنه إنه غير محايد؟ لكني وقد حاولت أن أشد بأخطمة الأحداث أو بشيء منها، وأنيخها في طريق المارين بها عبر الأجيال، اعتمدت على الله، ثم على توثيق شيء من الأحداث في مسـارها مع الملـك عبدالعزيز وشـعبه رحمهـم الله، وكان دوري في ذلك كدور حامل البريد... وحامل البريد (هكذا بثقةٍ وتواضعٍ جم يصف نفسه بحامل البريد، والحقيقة أنه سياسي ومؤرخ وأديب ورجل دولة من الطراز الأول) قد لا تشق معرفته على متسائل عنه وعن ثقافته وشيء من حياته، فهو الرجل البسيط ذو الشخصية التي لا يستطيع أن يدّعي غيرها أو يغالط فيها نفسه ويغالط الآخرين... ثقافتي اكتسبتها مـن تجاربي في الحياة، وبما تيـسر لي قراءته من كتب، جيبي خالٍ من الشـهادات...

ويقول:

لعـلي فيما كتبته لم أتجاوز مجرى الأحداث والتصورات فما قصدت إلا الاعتدال وتكريم سـاقيتنا الواحدة من التلوث وقذف الأحجار الثقيلة فيها لأنها سـاقيتنا – نحن شـعب المملكة العربية السعودية – التي ظمئنا طويلا إلى مائها العذب لذلك جـاءت أوراقـي لا تؤرخ لهزائم وانتصـارات لمعركة هنا أو هنـاك، بل نرى أن من التقـوا والملك عبدالعزيـز على الطريق الواحـدة هم منا وإلينا ولا نـرى في تاريخنا الواحد منتصرا أو مهزوما ولا غالبا أو مغلوبا، إنه مبدأ خلقي متسامح استخلصناه من السـيرة العظيمة للملـك عبدالعزيز وحرصنا على اتباعه، هـذا هو عبدالعزيز،

سـنقرؤه في فصول الكتاب، فآمل أن يتسع صدر القارئ لجزء هام من تاريخ الآباء والأجداد من الماضي، الذي قال عنه أحد الحكماء: من تجاهل الماضي واسـتهان به، فكأنما سدَّد طلقة مميتة إلى حاضره ومستقبله!!

ولا أظـن أن مـا ورد في الكتـاب يـؤذي أحـدا أو يؤلمه، في عـصر الجامعات والمـدارس وتطور المفاهيـم ونمو الوعـي الاجتماعي... رحم الله مؤسـس دولتنا الحديثة، فقد أسـلمها لأهله وشـعبه آمنة مسـتقرة، بعد أن بذر فيها أفضل البذور، وغرس في ترابها أفضل الأشـجار، وسـقاها بعرقه ودمه وكدحه، وذاد عنها الطير حتـى نضجـت الثمرة، بعـد معاناة وجوع وظمأ وشـح عليه وعلى رجاله بأبسـط العيش.

وقولوا للناس حسنا

يقول الله تعالى ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]، ولفظ الناس عام يشمل كل الناس مسلمهم وكافرهم، فالواجب اختيار القول الحسن، حتى وإن كان المقام مقام جدال في آراء متضادة، بل حتى لو كان الجدال مع اليهود والنصارى فضلا عن الجدال مع أهل الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[2] ليس بالحسن فقط، وإنما بالتي هي أحسن، قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادِل، أو بغير قاعدة مرضية، وألا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وألا يكون القصد منها مجرد المجادَلَة والمغالَبَة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، إلا من ظَلَم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادِل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود منها ضائع)، وجديرٌ بالكاتب والإعلامي والداعي إلى الله ألا يفقد السيطرة على نفسه عند الردود على المخطئين، سواء كان خطؤهم كبيرا أو صغيرا، ولا ينزلق إلى السب الشخصي والشتم واتهامهم في محبتهم لدينهم ووطنهم، وليحذر من رمي الفتيل هنا وهناك، فهذا السب والشتم كلٌّ يستطيعه لاسيما من فقد الحجة، لكن ذلك لا ينصر دينا،

---

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٦.

ولا يُعز وطنا، وليست هذه مهمة من تصدَّى لنفع الناس، وإنما مهمته بيان الحق، ودمغ الباطل كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[1]، ومن كان هدفه من الرد إقامة الحجة، وبيان المحجة، ورد الناس إلى جادة الصواب، ليكونوا مع دينهم ووطنهم وقيادتهم، فإنه يتلطف بهم، كما قال تعالى: (وَلْيَتَلَطَّفْ)[2]، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فإن قبلوا فهذا هو المطلوب، ومن عاند وآذى البلاد والعباد، فأمره للقضاء الشرعي، فهو الذي يحكم عليه، ويُعزِّره بالعقوبة الشرعية، وهذا لا يُفقده الأخوة في الدين، ولا يُسوِّغ إعانة الشيطان عليه، ومن كانت ردوده ظالمةً ومتهورة، لسلاطةِ لسانٍ بُلي بها، أو لأحقادٍ ينفثها، أو لدنيا يصيبها، فمن الخير له أن يدع الكتابة والإعلام والإرشاد، وينصرف لعلاج نفسه، لئلا تزل قدمٌ بعد ثبوتها.

إن المنهج الحق – فيما أعلم – هو عدم تسويغ الخطأ مهما كان قائله، ووجوب الرد عليه ممن يستطيع ذلك، وبيان الحق بدليله، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فهذا الأسلوب أجدر أن يعيد المخطئين إلى جادة الصواب، إذ ليس الهدف من الردود التنفير، وإكثار الخصوم، وإنما المتعين كسب الأعداء ليكونوا أولياء فهذا واجب شرعي، وتقتضيه مصلحة وطننا، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[3] فإذا كان الذي بيننا

(١) سورة الأنبياء: ١٨.

(٢) سورة الكهف: ١٩.

(٣) سورة فصلت: ٣٤، ٣٥.

وبينه عداوة إذا عاملناه بالتي هي أحسن يكون وليا حميما، فكيف إذا كان مسلما بيننا وبينه زمالة أو قرابة أو مواطنة ونحوها؟

وانظر إلى الأنبياء كيف كانت ردودهم على من لم يكتف برد دعوتهم للتوحيد، وإنما تطاول على شخصياتهم بالسب والشتم، تجد فيها دروسا تربوية، ذكرها الله في كتابه ليسير عليها أتباعهم ممن تصدَّى لنفع الناس، فهذا أول الرسل نوح عليه السلام دعا قومه إلى التوحيد بكل لطف ونصح، فأجابوه بالطعن بشخصه وعدم الالتفات لما يقول، فقالوا له ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] فبمَ أجابهم على هذا الاستفزاز؟ أجابهم بقوله: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وهكذا نبي الله هود دعا قومه إلى التوحيد بكل لين وسماحة، فكان جوابهم هو الطعن بشخصه، إذ قالوا ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[3]، فلم يقل بل أنتم السفهاء الفجرة، وإنما قال بكل رحمة وأدب﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[4]

فإذا كان هذا هو أسلوب الأنبياء مع الكفار، فما بال بعض الكتاب والإعلاميين والدعاة إذا رأى من أخيه المسلم خطأً كبيرا أو صغيرا، سلقه بلسان حاد، وشتمه، وصار يبحث عن عيوبه، فإن وجد صوابا كتمه، وإن رأى خطأً أو ما يظنه خطأً

(١) سورة الأعراف: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف: ٦١، ٦٢.

(٣) سورة الأعراف: ٦٦.

(٤) سورة الأعراف: ٦٧، ٦٨.

طار فرحا به، لا ليصحِّحه، وإنما ليُجهِز على قائله، نعوذ بالله من الصلف واللسانة، والحقد والشماتة، والعجيب أنهم يَدْعُون في مقالاتهم ومؤتمراتهم إلى عدم الكراهية، اللهم إلا إن كانوا يقصدون عدم الكراهية للكفار فقط، أما المسلمون فلا يشملهم ذلك.

والمقصود: أن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نُزِع من شيء إلا شانه.

وقد جاء في كتب السير: «أن هارون الرشيد كان يطوف بالبيت، فعرض له رجُلٌ، فقال: يا أمير المؤمنين إني أُرِيد أَن أُكَلِّمَكَ بِكلام فيه غِلَظٌ، فَاحْتَمِلْهُ لِي. فقال: لا، ولا نِعْمَةُ عَـ[illegible]ٍ، ولا كَرَامَةٌ، قد بَعَثَ اللهُ مَنْ هو خيرٌ منك إِلى مَنْ هو شرٌّ منِّي. فَأَمَرَهُ أَن يقول له: قَوْلاً لَيِّنًا».

هل السكوت جريمة

في حوارٍ مع بعض الشباب وفقهم الله، قال لي بعضهم من يُحسن الظن ببعض الدعاة الحركيين، قال وهو يتحدث عن الأحداث، ويقرأ ويسمع ما يُقال: هل السكوت جريمة؟

فقلت له: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا، أو ليصمت)[1]، هذا هو الميزان الشرعي الصحيح، ولكن الحركيين الصامتين - هداهم الله- لم يقولوا خيرا، ولم يصمتوا عن الشر، وإنما صمتُّوا عن الحق، وتعلم وفقك الله أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، كما أن المُتكلم بالباطل، شيطانٌ ناطق، وهم جمعوا بين الأمرين.

تكلموا في إثارة الناس على حكامهم فيما يُسمى «الربيع العربي»، وتدخلوا في ما لا دخل لهم به من أمور الدول، فصار عاقبة كلامهم سفك الدماء، والخوف، والجوع، وكلامهم الباطل في ذلك مُوثق بالصوت والصورة.

وتكلم بعضهم في تهييج الشباب، وزجِّهم في أماكن الصراع، فمنهم مَن قُتِل تحت رايات عِمِّية، ومنهم مَن أُعيد إلى وطنه ومجتمعه وأهله ليقتلهم، بعد أن تم تعليمه التكفير، وملء قلبه حقدا على وطنه، وفق التوجيهات الاستخباراتية المُعادية.

وتكلم بعضهم بأهمية التكاتف مع قيادات بعض الدول التي يتعاطفون معها

(١) كتاب الرقاق، صحيح البخاري، باب حفظ اللسان، ٨/ ١٠٠، حديث رقم ٦٤٧٥.

حزبيـا، ودعوا للسـمع والطاعة لهم، وحذَّروا من الثورة عليهم، وأشـغلوا الناس في تويتر وغيرها من وسـائل التواصل، مع أن ذلك خارج الحدود، وليس هذا من شأنهم، لكنهم لا يُحسنون الصمت عما لا يعنيهم.

وأكثروا الصخب والضجيج والجمهرة والتداعي، بما يسمونه إنكار المنكرات، والواقع أن ما يفعلونه هو المنكر، وإنكار المنكر كما هو معلوم من واجبات الإسلام، وأحد الأسـس التي تقوم عليها دول الإسلام، كما قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾[1]، ولا يكره هذه الشـعيرة إلا مـن في قلبه مرض، ولكن مما يجب أن تعلمـه أن الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر له أسـاليبه وطرائقـه الشرعية، ليس منهـا التجمعات وتصويرها ونشرها، وإنما هذا من شـأن من يحـب لفت الأنظار، وتهييج الناس، واتخاذ الدين وسيلة للإثارة، كما هو مسلك ابن سبأ اليهودي، الذي قال لمجموعته: (ابـدؤوا في الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تسـتميلوا قلوب الناس)، وكما هو مسـلك ذي الخويصرة، الذي أصابه الغرور، وادَّعى الغَيْرَة على أموال المسـلمين، وأنه يريد تحقيق العدل، فاتهَّم والعياذ بالله رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بعدم العـدل، وقال بكل صفاقـة: (اعدل يا رسـول الله فإنك لم تعدل. قال النبي عليه الصلاة والسـلام: «ويلك فمن يعدل إذا لم أعـدل»[2]، وهـذا الخارجي يخرج مـن ضئضئيه قوم على نفـس منهجه، ولهذا لا

(١) سورة الحج: ٤١.

(٢) صحيـح البخارى، كتاب الأدب، باب ما جـاء في قول الرجل ويلك،ج ٩/ ١٧، حديث رقم ٦٩٣٣.

نستغرب من بعض أتباع ذي الخويصرة في زماننا من المعارضين في الخارج ونحوهم عندما يتحدثون عن العدل والأموال، ويتخذون ذلك وسيلة للتهييج، لا نستغرب ذلك منهم، فمن طعن بعدل رسـول الله، وهو المعصوم عليه الصلاة والسلام، من باب أولى أن يطعن بغيره، ممن هو مظنة الخطأ، وليس بمعصوم؟!

فهؤلاء الحركيون الذين يتكلمون في كل شيء، لما جاء أمر يوجب دفع الصائل والمشـاغب على وطننا المملكة العربية السـعودية، صمتوا صمـت القبور، وقالوا: هل السـكوت جريمة؟ وأنت وفقك الله تُردد قولهم: هل السـكوت جريمة؟ نعم سكوتهم جريمة وخيانة؟

ولـو كان السـكوت هو دأبهم لـكان مُتَفهَّما، فإن من الناس من يسـكت لعدم علمـه، أو لاجتهـاده إن كان من أهل الاجتهـاد أن السـكوت أولى، أما الحركيون الذيـن جـرت العادة أنهم لا يسـكتون، وإنما في كل واد يهيمـون، وفي كل موضوع يتحدثون، حتى وإن لم يُحيطوا به علماً، فسـكوتهم مريـب، لماذا صمتوا بالذات عن قضية وطنية؟ يسمعون من يخطط لتقسيم وطنهم، ولا يردون بكلمة واحدة، كيف يصمتون عن جناية واضحة ضد وطنهم؟ ويدافعون عن أوطان ليسـت أوطانهم، يدافعون عنها إذا كانت تحت ولاية فلان، ويهاجمونها إذا كانت تحت ولاية فلان، مع أن ذلك ليس من شأنهم، هذا هو موضع العجب، ولتعلم وفقك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالرد على الظالم، ولما قال أحد المشركين في غزوة أحد اعْلُ هُبَـلُ، قال النبِي صلى الله عليه وسـلم: «أجيبوه»، قالوا ما نقـول؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجل»، ولما قالوا: لنا العزَّى ولا عُزَّى لكم، قال النبِي صلى الله عليه وسـلم:

«أجيبـوه»، قالوا: ما نقول؟ قال: «قولـوا الله مولانا ولا مولى لكم»[1]، بل إن النبي صلى الله عليه وسـلم دافع عن من ظُلِم ولـو كان حيوانا، ففي صلح الحديبية، قال النـاس: خلأت القصـواء، فقال النبي عليه الصلاة والسـلام: (ما خلأت وما ذاك لها بخُلق، ولكن حبسـها حابس الفيل)[2]، قال ابـن القيم في الحديث من الفوائد: رد الكلام الباطل ولو نسـب إلى غير مكلف فإنهـم لما قالوا: خلأت القصواء يعني حرنت وألحت فلم تسر، فلما نسـبوا إلى الناقة ما ليس من خلقها وطبعها رد عليهم وقال: ما خلأت وما ذاك لها بخلق. ثم أخبر صلى الله عليه وسلم عن سبب بروكها وأن الـذي حبـس الفيل عن مكة حبسـها للحكمـة العظيمة التي ظهرت بسـبب حبسها وما جرى بعده.

(١) أخرجه البخاري، رقم الحديث ٤٠٤٣.

(٢) صحيح البخارى، ٣/ ١٩٣،حديث رقم ٢٧٣١.

من سمع بالدجال فلينأ عنه

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»[1] هذه وصية نبوية، عظيمة النفع، لم يقل عليه الصلاة والسلام {فليذهب إليه ليُقنعه أو يجادله} وإنما قال: «فلينأ عنه» أي: يبعد عنه، ويجتنبه، فالعافية لا يعدلها شيء، والمؤمن العاقل لا يجعل دينه عرضة للخصومات، لأن من فعل ذلك أكثر التنقل، وصار كل يوم له دين، وقد قال رجل من أهل الجدل مُتَّهم بالإرجاء للإمام مالك: اسمع مني، فوالله ما أريد إلا الحق، فإن كان صوابا فقل به أو فتكلم، فقال الإمام مالك: فإن غلبتَني؟ قال: اتَّبِعني. قال: فإن غلبتُك؟ قال: اتبعتُك، قال: فإن جاء رجل فكلمنا فغلبَنا، قال: اتَّبعناه، فقال مالك: يا هذا، إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بدينٍ واحد، وأراك تتنقل من دينٍ الى دين.

ولهذا لما جَاء رَجُلٌ إِلَى الحسن، وقال له تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرتُ ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمِسه، والسلف لا يحبون الجدل، لا عن عجز وضعف، كلا، ولكن لأنهم يعلمون أنه ما ضلَّ قوم إلا أوتوا الجدل، لاسيما الجدل العقيم، الذي لا ينصر حقا، ولا يبطل باطلا، وإنما هو أغاليط، واتباع للشبهات، وإظهار للعضلات، وتصفيةٌ للحسابات، وإضاعة للأوقات.

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (١٩٩٦٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابي داود وقال صحيح.

ونبينا عليه الصلاة والسلام حريصٌ علينا، بالمؤمنين رؤوف رحيم، حذرنا من إتيان الدجال، لما معه من الكذب والتمويه والمظاهر الخادعة، فربما يأتيه الإنسان معجب بنفسه وعلمه وإيمانه، فتستقر شبهات الدجال في قلبه، فيتبعه، ويهلك، لا لأن الدجال على حق، ولكن لأن الشُبه خطَّافة، وقد يكون الإنسان غير راسخ في دينه وعلمه، فتشوش عليه الشبهات، وإلا فقد نبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن هناك من أهل الإيمان من يَرُد على الدجال ويُكذِّبه، رغم فتنته العظيمة والتي منها أنه ينظر إلى السماء فيقول لها: أمطري فتمطر، وينظر إلى الأرض فيأمرها أن تنبت فتنبت، ويأتي على الخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتخرج كنوزها، ومن فتنته أنَّ معه ماءً وناراً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأما الذي يراه الناس ناراً فماءٌ بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه عذب طيب»[1]، مع هذه الفتن العظيمة يقول له المؤمن الموفق: (والله ما ازددت فيك إلا بصيرة؛ أنت الأعور الكذاب، أنت الدجال الذي حذرنا منه النبي صلى الله عليه وسلم)، فمع أن رسولنا عليه الصلاة والسلام بينَّ لنا صفاته وأنه أعور، ومكتوب بين عينيه: كافر، وأن ماءه نار، وناره ماء، مع ذلك كله: أمرنا بالبعد عنه، فقال: (من سمع بالدجال فلينأ عنه)، وهكذا الشأن في دجاجلة زماننا، الذين اتخذوا الكذب والتمويه والتشكيك مهارةً وصناعة، يتعين كذلك النأي عنهم، والإعراض عن جدلهم ولغوهم، سواء نشروه في وسائل التواصل، أو في الفضائيات أو غيرهما، ودليل ذلك قوله تعالى في وصف أهل الإيمان ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم ٢٩٣٤.

(٢) سورة القصص: ٥٥.

ﵟالَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَﵞ[1]، ونبينا عليه الصلاة والسلام أمرنا بالبعد عن الدجاجلة، ومتبعي المشتبهات، لأن من أُشرب هواه لا حيلة فيه، ولو جاءته كل آية، فإن قيل: ألا يمكن المناظرة والحوار لإقامة الحجة، وبيان الحق، قلنا: هذا من شأن العلماء الراسخين في تخصصهم، إذا رأوا المصلحة في المناظرة، وقد يرون المصلحة في الإعراض، لئلا يشتهر الباطل، وكما قيل: (أميتوا الباطل بعدم ذكره)، فهذه أمور يُقدرها الراسخون في العلم، وليس كلأً مباحا لكل من أُعجِب بنفسه، والعاقل يعرض عن الشبهات وعلم الكلام، حتى لا يكون قلبه كالإسفنجة يتشرب الشبهات، فلا يستطيع الخلاص منها، وكثير ممن دخل ذلك من العلماء فضلا عن غيرهم ندم على ذلك أشد الندم، فهذا أبو المعالي الجويني يقول: (لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور)، وقال أبو بكر ابن العربي (شيخنا أبو حامد الغزالي ابتلع الفلسفة فأراد أن يتقيأها فما استطاع)، والناظر في الواقع يرى قوما كانوا من طلبة العلم الأخيار، دخلوا في الشبهات، واندمجوا مع أهل الأهواء، فآل أمرهم إلى كونهم يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، نعوذ بالله من الفتن، ومن الدجل في زماننا: ما تزخر به آلاف الحسابات في مواقع التواصل، وبعض الفضائيات، من إرجاف وتخويف وإشاعات وإثارة للفتن بين الراعي والرعية، وبين الرعية نفسها، يدير تلك الحسابات، ويتكلم في تلك الفضائيات أقوامٌ يظنون أنفسهم محللين سياسين، وخبراء استراتيجيين، ومختصين بالحركات والجماعات،

(١) سورة الأنعام: ٦٨.

والواقع أن كثيرا منهم جهال في حقائق ما يتكلمون فيه، وكل هذا مع الأسف مباح في دجل كثير من الفضائيات ووسائل التواصل، بحجة الإثارة، والاستفزاز وجس النبض ومعرفة مدى ردة الفعل!

الهبوب الغربية والمصدات العقدية

إذا هبَّت ريــاح التيارات والجماعات والحزبيات، فإنها تنزع بشُــبَهِهَا من مرّت عليه، لاسـيما من تبهره الألفاظ البرَّاقة، والأوهام الخدَّاعة، وإلا فالراسخ في العلم – كما يقول ابن القيم – لو ورد عليه من الشُــبَه بعدد أمواج البحر، ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شـكا، لأنه قد رسـخ في العلم فلا تستفزه الشُبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرسُ العلم وجيشُه، مغلولة مغلوبة.

والأمـير الموفَّق خالد الفيصـل أطال الله عمره على طاعته، وأسـبغ عليه نِعَمَه ظاهرةً وباطنة، له كلمات بليغة في هذا الشأن تُكتب بماء الذهب، ومن تلك الكلمات ما جاء في منظومته المسماة (الهبوب)، والتي هي بحق عميقة المعنى، تتضمن نصيحة مشفق، ورؤية حاكم، شخَّص فيها الداء الذي تأتي به رياح الأفكار المنحرفة، وأرشد إلى الدواء الشـافي وهو التمسـك بالكتاب والسـنة، فهما الواقيان مـن تلك الرياح العاتيـة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، والخبير دائما إذا شـخَّص الداء، يصف الدواء، لعِلْمِه أنه ما من داء إلا له دواء، عَلِمَه من عَلِمَه، وجَهِلَه من جهله، وهي بحمد الله منشورة يمكن أن يرجع إليها من شاء.

وقـد تضمنت هذه المنظومـة الرائعة، تشـخيصا دقيقا للداء، وبيانا لأسـبابه، وبيانا للدواء الشـافي وأدلته، وتوكيداً على الحفاظ على العقيدة الصحيحة، وتحذيراً ممـا يُضادها من التيارات والأفكار والأحزاب، سـواء سُـمِّيت (تنويرية) وهي في حقيقتها (ظلامية)، أو سُمِّيت بغير ذلك من المصطلحات الخادعة.

(١) سورة آل عمران: ١٠١.

وفي هذا يقول الأمير حفظه الله: (وشجعوا التغريب الفكري... إلى أن قال: ونقلناها بكل سذاجة، وسميناها تنويرية)، والنور الحقيقي إنما هو باتباع العقيدة الصحيحة، فهي التي أخرج الله بها عباده المؤمنين من الظلمات إلى النور، كما في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1] وهي ليست ضد العلم والتقدم، وإنما تحث عليه، وتُرغِّب فيه، وفي نظري أن السعي ولو بشطر كلمة لتهوين العقيدة، التي يُسميها بعض الناس (الأيديولوجية الشرعية)، إنما هو سعيٌ في إزالة الأساس الذي قامت عليه بلادنا السعودية، علموا ذلك أم لم يعلموا، وما كان ينبغي لهم ذلك، فهذه العقيدة التي قامت عليها بلادنا، هي سعادتنا في الدنيا والآخرة، وأما ما يُسمَّى بالعلمانية، والتنوير، والليبرالية، والديموقراطية، والإخوانية، والسرورية، والصحوية، وغيرها من التيارات والأحزاب والتنظيمات، والتي تشترك كلها في المظاهرات والشرور ومخالفة الشريعة، فقد أغنانا الله عنها بخيرٍ منها، كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس لعاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فقد عاب الله على بني إسرائيل ذلك، فقال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[2]، وكانوا استبدلوا الأدنى: كالبصل والفوم بالذي هو خير: المنّ والسلوى.

فعقيدتنا هي قوتنا، وهي لا تجيز لنا الاعتداء على أي أحد مهما كان دينه ما لم يعتد علينا، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3]، ولكن لسنا ملزومين بدخول جحر الضب خلف

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

(٣) سورة البقرة: ١٩٠.

سنن من كان قبلنا، ممن لا يرضيهم إلا أن نتبع ملتهم، وندَع ديننا، فهذه غايتهم، ورغبتهم، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾[2]، وقد يكون من أنواع قتالهم لنا: الغزو الفكري، والذي منه: وضعهم وكلاء لهم من بني جلدتنا، ممن يتكلمون بألسنتنا، ليقوموا نيابةً عنهم بالطعن في ديننا، والسخرية من ثوابتنا، والأمثلة على ذلك كثيرة ومعلومة.

ومن أنواع أذيتهم: إثارة الفتن والتي منها: احتضانهم في بلادهم للإرهابيين المعارضين الذين يبثون سمومهم وحقدهم على ديننا ووطننا وقيادتنا، ولا ريب أن الاندفاع خلفهم، ومحاولة إرضائهم، لا يجر إلى خير، لأنهم كما أخبرنا الله تعالى لا يريدون لنا الخير، قال تعالى:﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3]، نعم يجب أن نستفيد مما لديهم أو لدى غيرهم مهما كانت عقيدتهم مما برزوا به من صناعات وتقدم تقني ونحوه، ولكن دون التبعية والانهزامية التي تؤدي إلى التقليل من شأن ديننا، وهم كما هو معلوم لا يقدمون شيئا ينفع المسلمين تطوعا منهم وتفضلا، كلا، بل ذلك بمقابل وليس بالمجان.

فالواجب على كل مسلم أن يعتز بعقيدته، ومعاذ الله أن يكون التمسك بالعقيدة، سببا للتخلف، فعلينا بالتؤدة، لئلا نطير في العجَّة، كما يقول أميرنا الناصح

---

(١) سورة النساء: ٨٩.

(٢) سورة البقرة: ٢١٧.

(٣) سورة البقرة: ١٠٥.

خالـد الفيصل: (وطارت عربانك في العجَّة، تهتف حرية حرية)، وقد أوصانا نبينا عليه الصلاة والسـلام بالثبات فقال: (ياعباد الله اثبتـوا)[1]، وإن من نعمة الله التي نحـدِّث بهـا، ونشـكر الله عليها، أن جعل ولايتنـا في حكم آل سـعود، فهم الذين يعتزون بالتوحيـد، ويصدعون به، ويدعون إليه، منذ مئات السـنين ولا يزالون – أعزَّهـم الله – يفعلون ذلك، في وقتٍ تخلَّى عنه كثير من الناس، كما قال ابن باز رحمه الله عن هذه الدولة السعودية: (العداء لهذه الدولة عداء للحق، عداء للتوحيد، أي دولة تقوم بالتوحيد الآن؟... من يدعو إلى التوحيد الآن ويحكم بشريعة الله ويهدم القبـور التي تعبد من دون الله مَنْ؟ أين هم؟ أيـن الدولة التي تقوم بهذه الشريعة؟ غير هذه الدولة، أسأل الله لنا ولها الهداية والتوفيق والصلاح، ونسأل الله أن يعينها على كل خير، ونسأل الله أن يوفقها لإزالة كل شر وكل نقص، علينا أن ندعو الله لها بالتوفيق والإعانة والتسديد والنصح لها في كل حال).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم ٦٤.

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله

يعج واقع بعض الناس في هذا الزمن بكثير من وسائل التواصل الاجتماعي، بعضها مجموعات، وبعضها حسابات خاصة بأسماء أصحابها، أو بأسماء وهمية لا يُعرَف أصحابها، وهي ليست سواء فيما تصدره، فبعضها تصدر الشر والفتن والكذب والظلم والتهييج، وبعضها لا سيما بعض الحسابات التي بأسماء أصحابها تصدر الخير والفوائد العلمية والمنهجية، وبعضها خلط عملا صالحا وآخر سيئا.

وكان المتعين على كل إنسان ألا يكتب إلا ما يرضي الله ورسوله، سواء كان باسمه الصريح، أو كان مستخفيا خلف لوحة المفاتيح بأسماء مستعارة، أو كان مهيجا لغيره بكتابة ما يؤذي به الناس بغير ما اكتسبوا، فإنه وإن تجاوز الرقيب في الدنيا، فإنه لن يتجاوز رقابة الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1]، وقد يكتب الإنسان تهما باطلة، لا يستطيع إثباتها، لكن لأنه لا يكتب باسمه لا يبالي، فيا سبحان الله، كيف يجعلون الله أهون الناظرين إليهم، يقول الله تعالى: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[2]، ألا يخافون أن يدعو عليهم من ظلموه، وشوَّهوا سمعته، وآذوه، ألا يخافون من خفقة صدر من آذوه، ودمعة عينه، وزفرات تظلّمه التي يرتجف منها بين يدي ربه في جوف الليل؛ ومعلومٌ أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها الله فوق الغمام، ويقول: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين. ألا يخاف الظالم

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة النساء: ١٠٨.

المستتر أو الظاهر، من سهام المظلومين التي تتقاذفه من كل جانب عسى أن تصيب منه مقتلاً، وهو يغط في نوم عميق، وغفلة عظيمة، وما أعظم الفرق بين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له، وبين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو عليه، فالدنيا فانية، ومتاعها قليل، والآخرة خير لمن اتقى، والإنسان ليس معصوما قد يقع في شيء من هذا، ولكن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، والندم على ما مضى، والعزم على عدم العودة، والتحلل من آذاهم في الدنيا مقدور عليه، قبل ألا يكون درهم ولا دينار، يقول النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري: (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[1].

صحيح أن الرد على القول الباطل، ونقد المخالفين للحق، سُنَّةٌ ماضية، لكن ذلك يعتمد على شرَطي النَّقْد: العلم، والعدل، وليس الجهل والظلم الذي هو ديدن محبي طيران السمعة في الآفاق، ممن لا يعيشون إلا في الصراعات، ولا يكتفون بالرد العلمي لبيان الحق، وإنما يُجْهِزُون على المردود عليه، ويشتمونه ويسخرون منه، ويضغطون على النص، ليخرجوا منه أقوالا لم يُقُلها، ويفرحون بأي زلة يتوهمونها، ومتى صار من دين الله فرح المسلم بمقارفة أخيه المسلم للآثام؟! فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة.

ومع أن الخير موجود بحمد الله، ولا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، يردون بعلم وعدل وأدب، إلا أنه

(١) صحيح البخاري، ٣/ ١٣٢١، رقم الحديث ١٢٤٦.

مع الأسف يوجد أناس في هذا الزمن ضعفت ديانتهم، وضعف علمهم ومروءتهم – فصار دأب بعضهم إشاعة السوء في الذين آمنوا، عَينٌ لتتبع عوراتهم، ولسانٌ لإشاعة مقالة السوء عنهم، وأصابع تكتب عنهم في وسائل التواصل ونحوها ما لا يرضي الله ورسوله، ولو سألت هؤلاء المشاغبين عن مستندهم الذي يصكون به مخالفيهم صكَّ الجندل، لوجدت نهاية ما لديهم من بيّنات هي: وساوس غامضة، وانفعالات متوتّرة، وحسدٌ قاطع، وتوظيفٌ لسوء الظن، والظنُّ أكذبُ الحديث، وبناءٌ على الزَّعْم، وبئسَ مَطِيّة الرجل زعموا.

يقول الشيخ بكر أبوزيد عن هؤلاء: وبالجملة؛ فهذا القطيع هم أسوأ غُزاة الأعراض بالأمراض، والعَضّ بالباطل في غَوَارب العِبَاد، والتفكُّه بها؛ فهم مُقَرَّنون بأصفاد الغِلّ، والبغضاء، والحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب، والبهت، والإفك، والهمز، واللمز، جميعُها في نَفاذ واحد، ومِنْ طرائقهم ترتيب سوء الظن، وحمل التصرّفات قولاً وفعلاً على محامل السوء والشكوك.

ومنه التناوش من مكان بعيد لحمل الكلام على محامل السوء بعد بذل الهمّ القاطع للترصّد، والتربّص، والفرح العظيم بأنه وجد على فلان كذا، وعلى فلان كذا! وكما تقدم ليس من دين الله فرح المسلم بمقارفة أخيه المسلم للآثام؟!

ألا إنَّ هذا التصيّد داءٌ خبيث، متى تمكّنَ من نفس أطفأ ما فيها من نور الإيمان، وصَـ ءَ القلبَ خرابًا يبابًا، يستقبل الأهواء والشبهات، ويفرزها. نعوذ بالله من الخذلان.

ومِنْ سماجتهم التألي على الله، ألا يغفر الله لفلان المسلم، لكونه عاصيا، فانظر كيف يتحجّرون رحمة الله، ويقعون في أقوام لعلّهم قد حطّوا رحالهم في الجنة.

وتجد من ابتُلي بأذية أهل الإسـلام، كُلَّما مَرَّ على ملأ منهم، اختارَ منهم ذَبيحًا، فرماه بقذائف من التغريدات الظالمة، والتُهم الفاجرة، تمرُقُ من فَمِه وجهازه مُروق السـهم مـن الرَّميّة، ثم يَرميـه في الطريق، ويقول: أميطـوا الأذى عن الطريق، فإن ذلك من شُعَب الإيمان؟!

فاللهم إنا نعوذ بك من الهوى والفظاظة، ونسألك الهدى والسماحة.

الإعلام سلاح ذو حدين

السلاح بحامله، فإن حمله القوي المتمرس الذي يعرف الكر والفر، فقد فاز، ونفعه سلاحه، وإن حمله من لا يحسن الكر والفر، فإنه سيقتل بسلاحه، ويكون سلاحه وبالا عليه.

وهكذا الإعلام سواء بسواء، هو سلاح فتاك، لكنه لصاحبه أو عليه، بحسب نوعية ما يتكلم به وتوقيته وفقهه للمآلات، هذا إذا كان يتكلم عن أمر يخصه، فكيف إذا كان يتكلم عن بلده، ومجتمعه؟ لا ريب أن العاقبة أكبر، والمسؤولية أعظم.

وما أسوأ أن تكون القضية عادلة، بينما محاميها والمتحدث عنها فاشل، أو براقشي، يجني على قضيته وأهله، فيفرح العدو، ويجني على أهله ومجتمعه، الذين لا يملكون إلا أن يقولوا: (ليته سكت).

ومعلوم أن بعض من ليس له حق ألحن بحجته من صاحب الحق، فيكسب بذلك المتابعين والسامعين والمؤثرين، ويكونون معه على صاحب الحق، والحق لا يهزم، ولكن ظنه الناس ليس حقا، بسبب حامله الضعيف، الذي لا يحسن عرضه، ولا الجواب عن معارضه، واليوم أصبح الإعلام صناعة، وله مراكزه العالمية، وتنوعت وسائله صوتا وصورة، فصارت بعض المقاطع التي تعد لبيان الحق، بإحكام واحترافية، وليس فيها اعتداء أو تجن على أحد، توصل رسائل إيجابية، أكثر مما تفعله المجلدات، رغم أن تلك المقاطع لا تتجاوز ثواني أو دقائق.

ومن نظر إلى قصة الهدهد مع سليمان عليه الصلاة والسلام، يرى كيف تكون صناعة ونقل الأخبار والوقائع بشكل منظم، ورأى الطريقة المثلى للتعامل مع ما يأتي به مستطلعو الوقائع والأحداث، وهو ألا يبنى عليها شيء، إلا بعد التأكد من المصدر الأصلي، ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[1] واختيار الكلمات، ونقل المشهد بتمامه إلى صاحب القرار دون تعجل بالحكم، فالهدهد نقل الصورة والواقع بتمامه إلى سليمان عليه السلام دون إصدار حكم، والأدب الراقي في عرض المعلومة، وعرض واقع المخالف بعلم وعدل، دون تشنج أو بغي، وغير ذلك مما تضمنته الآيات الكريمة: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2] إلى قوله: ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[3].

فكما ترى في القرآن الكريم والسنة النبوية تبيان كل شيء، كما في قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[4]، ومن ذلك أصول الإعلام ونقل الحوادث والأخبار، وما يلحق بذلك من تثبت ودقة ونظام، ومن الأهمية بمكان

(١) سورة النمل: ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة النمل: ٢٠: ٢٢.

(٣) سورة النمل: ٢٧، ٢٨.

(٤) سورة النحل: ٨٩.

اغتنام كل الوسائل التقنية، وما توصل له العلم الحديث، لنشر الحق، ودمغ الباطل، بعد التحرير المناسب وفق الأصول الشرعية، والقواعد المرعية، والآداب المهنية والأخلاقية.

لأن من لديه الحق فهو منصور إذا أحسن عرضه، فلا حاجة إلى السقوط في رديء الكلام وسفاسفه، فضلا عن السب والشتم، الذي يستطيعه كل أحد، لكنه لا ينصر حقا، ولا يبطل باطلا، وإنما هو حيلة من لا حجة له، بل إن صاحب الحق الحصيف مهما علا مقامه وشأنه، إذا تعرض للسب، ممن يريد أن يشوش عليه، وعلى ما يقوله من حق، لا يستفزه ذلك، وإنما يضبط نفسه ولا يقول إلا حقا، ولما استفز الخصوم ابن تيمية، وكذبوا عليه، وفسقوه وبدعوه أجابهم بقوله: (وأنا في سعة صدر لمن يخالفني فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله وأزنه بميزان العدل وأجعله مؤتما بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكما فيما اختلفوا فيه)، فالاتزان مطلوب من كل أحد، لاسيما من شرفه الله بالحديث عن هذا الوطن المملكة العربية السعودية، الذي هو مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، وذلك ببيان محاسنه، وما أكثرها، ودرء الشر عنه وعن أهله، فإعلامنا هو النافذة التي يرانا منها العالم، فما أجمل أن نعكس صورته الحقيقية المشرقة، وما قام عليه من أسس مباركة، قام عليها النظام الأساسي للحكم، ولنحذر من تسويد المشهد، أو التقليل من شأن ما خص الله به هذه البلاد من خصائص لا توجد في غيره، وما أجمل أن يتجنب الإعلاميون الجدل البيزنطي بين مكونات الوطن، فإن البيزنطيين كانوا يتجادلون في ما لا ثمرة منه، والعدو يتربص بهم، فاستمروا في جدلهم لبعض البعض، حتى داهمهم العدو، وليحذروا كذلك من تصويب التهم إلى وطنهم

ومؤسســاته، لأن هذا ما يريده الأعداء ليكون حججا لهم عند اتهامهم لبلدنا، وأما النقد البناء فمقبول شريطة أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم.

هذا ما قاله الملك عبدالعزيز

لله الحكمـة البالغـة: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[(1)]، ولـه الحكمة البالغة باختـلاف الخلـق، وبُعْدِ كثـيرٍ منهم عـن الحـق: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[(2)]، وهـو القـادر عـلى الانتصار من أهـل الباطل الذين لا يحرِّمـون ما حرَّم الله ورسـولُه، ولكـن حكمته اقتضت الابتـلاء ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾[(3)]، ومـن جملـة الابتـلاء: تسـلط أصحاب الغلو من الحركات والتنظيمات المنتسـبة إلى الإسلام كالإخوان ونحوهم على عباد الله الصالحين، الذين يعبدون الله بسـماحة ورفق، وبُعدٍ عن التكلف والتنطع وأذية الخلـق، وبُعْدٍ كذلك عن العُقَد النفسـية والغل والأحقاد والأهواء والاصطفافات والتحزبـات، لقد مرَّ على الناس حينٌ من الدهر وهم مُتأذون من تسـلط أصحاب هـذا التديـن الحزبي الحركـي، فقد سـاموهم بجلافتهم وحزبيتهم سـوء العذاب، فضلا عن جنايتهم على الشريعة، ومع الأسـف كان ذلك باسم الدين، والدين من حزبيتهم وتسـلطهم براء، وما كادت شمسـهم تغرب، ويتنفـس الناس الصعداء، ويرتاحون من تسـلطهم وإزعاجهم وجَلَبَتهم، حتى ظهر- بحماس واندفاع - تيارٌ آخر، يُسمَّى بالتيار الليبرالي، هذا التيار لديه جرأة على أحكام الشريعة، بل وأصول العقيـدة، ومن نظر في كتابات (بعـض) المنتمين إلى هذا التيـار وأقوالهم، فإنه يرى

(١) سورة النحل :٩.

(٢) سورة الأنعام: ٣٥.

(٣) سورة محمد : ٤.

ذلك عيانا بيانا.

وقد قال بعض الناس: هل قَدَرنا أن تتناوب على أذيتنا هاتان المجموعتان الوافدتان، الإخوان والليبرالية، ألا يمكن أن نكون على سيرتنا الأولى قبل مجيء هذين التيارين إلى بلادنا!؟

فقلت: بلى، وكل من خالف الفطرة وسماحة الدين فأمره إلى زوال، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، وغالبية الناس في بلادنا على الحنيفية السمحة، ليسوا من هؤلاء ولا هؤلاء، متوكلون على الله، يقولون لأصحاب الأخونة واللبرلة ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1]، ومتيقنون بأن ﴿ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2]، وأن المكر السيئ لا يحيق إلاَّ بِأَهْلِه، هذه سنة الله، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[3]، والله يمهل ولا يهمل، ومن حكمته سبحانه أنه يداول الأيام بين الناس، فهو القائل سبحانه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4]، ولكن العاقبة للمتقين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون، وأما صخب الإخوانيين والليبراليين وضجيجهم، فهو وإن كان مُؤذيا إلا أنه جفاء سيزول، ويبقى الحق، بدليل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[5]

(١) سورة إبراهيم: ١٢.

(٢) سورة يونس: ٨١.

(٣) سورة فاطر: ٤٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٥) سورة الرعد: ١٧.

وبلادنا المملكة العربية السعودية أُسست على التقوى من أول يوم، ولاتزال، وستظل إن شاء الله، وهي تقوم على الدين الذي شرعه الله، بلا غلو ولا جفاء، وإنما على الوسطية التي ذكرها الله بقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1]، وتضمنه النظام الأساسي للحكم، وهذا ما نعتز به، ونحمد الله عليه، وقادتنا (آل سعود) بدءا من الإمام المجاهد محمد بن سعود المُتوَفى عام ١١٧٩ للهجرة إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان أطال الله عمره على طاعته، هم أنصار دين الله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وقد نصرهم الله تحقيقا لوعده تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2] فلا يصح أن يُزَايد عليهم أحدٌ في ذلك، فهم جميعا متَّبِعُون لقول الملك المؤسس عبدالعزيز رحمه الله: (إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة - كلمة التوحيد- لا أضن به)، هذا ما قاله الملك عبدالعزيز رحمه الله، واللهَ نسأل أن يجعل هذه الكلمة في موازين حسناته، وقد جاء في الحديث: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِّ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُّ بِهَا دَرَجَات)[3]، ومعنى: لا يلقي لها بالا - كما يقول شيخنا ابن عثيمين رحمه الله - (يعني: أنه لا يظن أنها تبلغ به ما بلغ، وإلا فهو قد درسها وعرفها وألقى لها البال، لكن لا يظن أن تبلغ ما بلغت يرفع الله له بها درجات في الجنة)، وهذا من توفيق الله على بلادنا- المملكة العربية السعودية - أن جعل ولايتنا فيمن ينصرون دينه وعباده الصالحين، فمهما أجلب

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) سورة محمد: ٧.

(٣) صحيح البخاري،كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ٨/ ١٠١، رقم الحديث ٦٤٧٨.

الإخوانيون والليبراليـون ومن وراءهم بخيلهم ورَجِلِهــم، فإنهم: كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.

والمتعـين على كل مسـلم أن يحذر تلـك الجماعـات والتيارات الوافـدة، فإنها مـا جاءتنا بخـير، وإنما صنعهـا الأعـداء ضِرَاراً وتفريقا بين المؤمنـين، فالحذر من مساعدتهم في ذلك، قال الملك عبدالعزيز رحمه الله: (في بلاد العرب والإسلام أناس يسـاعدون الأجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسـلام، وضربها في الصميم، وإلحاق الأذى بنا، ولكن لن يتم لهم ذلك إن شاء الله وفينا عرقٌ ينبض).

وأبنـاء الملـك عبدالعزيز وأحفاده هـم على جادته وسـيرته في نصرة الشريعة، فليطمئـن أهل الاسـتقامة، وليرعوِ أهل الغواية، والله غالب عـلى أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الأمن الفكري في الجامعات

الأمن كالهواء، فهل يستغني أحدٌ عن الهواء؟ وهو كالنَفَس فهل يستغني أحدٌ عن النَفَس؟ بالطبع لا أحد يستطيع أن يستغني عن الهواء والنَفَس، وكذلك الأمن سواء بسواء، لا يستغني عنه أحد، وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - فإن المحافظة عليه مسؤولية الجميع، كلٌ حسب قدرته، وتُشكَر وزارة التعليم ووزيرها الفاضل، أن وضعت في جامعات المملكة إدارات ووحدات تُعنَى بترسيخ الأمن الفكري، والإجابة عن الشبهات التي قد تعرض للطلاب والطالبات، لاسيما أن وسائل التواصل الاجتماعي ونحوها تضخ كثيرا من الشُبَه، فكان لابد من جهةٍ تُعنَى بتفنيد هذه الشبهات، بعلم وعدل وإخلاص، وبُعْدٍ عن الصخب والضجيج والفلاشات، وكنت سمعت بعض الناس، ممن له مكانة، يقول: إن الأمن مصطلح بوليسي، وليس من مهمة الجامعات، فآلمني ذلك، وقلت له: قولك هذا فيه نظر، بل ليس عليه أثارةٌ من علم فيما أعلم، وذلك لما يلي:

أولا: الأمن مصطلح شرعي، وليس كما تقول، وتلوتُ عليه الآيات الكريمة في ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[3]،

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) سورة البقرة: ١٢٦.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[2] والآيات في ذلك كثيرة، ومن الأحاديث على سبيل المثال قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ... الحديث)[3]، وبهذا يتبين أن الأمن مصطلح شرعي، وهو من ضرورات الدين والدنيا.

وثانيا: إذا لم يتحدث أساتذة الجامعات عن الأمن ومكانته وسبل المحافظة عليه، وترسيخه في نفوس الطلاب، وخطورة الأفكار والأحزاب والتيارات التي تؤثر سلبا على الأمن والإيمان، فمن يتحدث؟!

صحيح أن هناك أعمالا خاصة برجال الأمن، لا يقوم بها غيرهم، ولكن التحصين الفكري والعقدي، وكشف الشبهات الضالة، وبيان مكانة الأمن، هي من مهمة أساتذة الجامعات، فقُرْبهُم من طلابهم، والإجابة عن تساؤلاتهم، بعلم وعدل، ونظرةٍ واقعية ليس فيها تسويغٍ لأي خطأ أو منكرٍ أو تقصيرٍ، وليس فيها ادعاء للمثالية، سببٌ لإصلاح الأفكار، وإذا صلحت الأفكار صلح السلوك.

هذا ما قلتُه آنذاك، وأضيف الآن فأقول: من المهم أن يُتوَصّل مع الشباب (الطلاب) إلى أن الخطأ أو المنكر، لا يُقَر، بل يجب بذل الجهد في الوقاية منه قبل حصوله، ومعالجته بعد حصوله، وفق المنهج النبوي، وليس وفق منهج دعاة الفتن، الذين يفرحون بالأخطاء ليتخذوها سُلَّماً للإثارة والشر والتهييج، ومما ينبغي أن

(١) سورة قريش: ٤.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٧.

(٣) أخرجه الترمذي برقم، ٢٣٤٦، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ١٩١٣.

يفهمه الشباب وغيرهم أن الأخطاء والمنكرات، لا يسلم منها مجتمع، حتى المجتمع النبوي، وُجد فيه من سرق ومن زنى ومن شرب الخمر...، والخطأ يعالج بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالصخب والضجيج وإثارة الناس، ومع الأسف فإن غالبية دعاة الغَيرة والتهييج تحت ذريعة إنكار المنكر وفق الطريقة السيئة، هم أكثر الناس وقوعا في المنكرات، ولكنهم يرون القذاة في عيون الناس، ولا يرون الجذع في عيون أنفسهم، وبعضهم يعلمون ذلك لكن لهم مآرب أخرى، ومعلوم أن من أصول المعتزلة الخمسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصدون به: الخروج على الحكام، ولكل قومٍ وارث، فلا ينبغي التهويل والمبالغة، فالمجتمع ليس مجتمعاً ملائكياً، فالملائكة هم الذين لا يعصون الله ما أمرهم، أما البشر فمن طبيعتهم الخطأ كما في قول النبي عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم غيركم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)[1]، وليس هذا ترخيصا لفعل الذنوب، كلا، فالذنوب تزيل النعم، ولكن لئلا تَسُود النظرة السوداوية المتشائمة، التي تجعل صاحبها يتنقل من التوجس إلى التوحش، وإنما على الإنسان أن يعيش متصالحاً مع نفسه ومجتمعه، واثقا بدولته، متفائلا بفضل الله ورحمته، قائما بما أوجب الله عليه من النصيحة وفق المنهج الشرعي، بعيدا عن التشاؤم، ففي الحديث الصحيح: (من قال هلك الناس فهو أهلكهم)[2]، وفي الحديث الصحيح أيضا: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم

(١) صحيح مسلم، ٤/ ٢١٠٦، رقم الحديث ٢٧٤٩.

(٢) صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٢٤، رقم الحديث ٢٦٢٣.

من خالفهم حتى تقوم الساعة)[1]، فترسيخ هذه النظرة المتفائلة لدى الشباب تجاه المجتمع والدولة هو مهمة الأكْفاء المتخصصين من أساتذة الجامعات، فهم الذين يقومون بهذا الدور التحصيني عن طريق عرض الأدلة النقلية، والحجج العقلية، برفق ورحمة وسعة صدر، وليس من المعالجة معاداة الدين الصحيح وثوابته، أو التجني على علماء الشريعة الراسخين، فهذا ليس علاجا، وإنما هو داء، وليست المعالجة كذلك في منهج أي حزب، بل تلك الأحزاب كالميازيب، تجمع الماء كدرا، وتُفرقه هدرا، فلا خير فيها، لكون أصحابها ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[2]، ومتى تم اختيار الأكفاء لهذه المهمة في الجامعات، وتم تحديد المهام المنوطة بهم، وفق لائحة واضحة، فإن النتائج ستكون مثمرة إن شاء الله.

---

(١) رواه أبو داود في سننه برقم ٤٢٥٢.

(٢) سورة الروم : ٣٢.

البراطيل تنصر الأباطيل

يُقسم كل من نال ثقة الملك في ولاية أو إدارة أو وزارة قائلا: أقسم بالله العظيم أن أكـون مخلصا لديني ثم لمليكي وبلادي، وألا أبـوح بسر من أسرار الدولة، وأن أحافظ على مصالحهـا وأنظمتها، وأن أؤدي أعمالي بالصدق والإخلاص والأمانة، وهو قســم عظيم، ليس المقصود مجرد النطق به، وإنما العمل بما تضمنه، هذا القسم يســمعه الراعي والرعية، وتقشعر لهوله جلود أهل الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ ﴾[1]، مـع أن مـن جعل مخافة الله نصب عينيه، سـيقوم بأمانتـه على أكمل وجه، ولو لم يُقســم بالله، لكن هذا القســم عهد مؤكد، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[2]، فما أعظم خســارة من أعطى بالله ثم غدر، فحسـبُه أن الله خصمه يوم القيامة، ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى: (ثلاثـة أنا خصمهم يوم القيامـة، ومن كنت خصمَه خصمتُـه، رجل أعطى بي ثم غدر...)[3]، فيا ويح من خان أمانته، وتخوَّل في مال الله بغير حق، لقد توعده رسول الله، صلى الله عليه وسـلم، بالنار فقال: (إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة)[4] رواه البخاري.

بـل وتوعد رجـلا جاهد معه لأنه أخذ شـملة -وهي قطعة كسـاء- لم تُصبْها

(١) سورة الواقعة: ٧٦.

(٢) سورة الإسراء: ٣٤.

(٣) صحيح البخاري، ٣/ ٨٢، رقم الحديث ٢٢٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم، ٣١١٨..

المقاسـم، وقال عليه الصلاة والسـلام: (بـل، والذي نفسي بيده، إن الشـملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسـم، لتشتعل عليه نارا)[1] يا لطيف، هذا رجل جاهد تحت راية نبينا محمد، عليه الصلاة والسـلام، أخذ من بيت المال قطعة قـماش، هذا جزاؤه، تشـتعل عليه نارا، لم يشـفع لـه أنه جاهد مع رسـول الله عليه الصلاة والسـلام، ولا دعوى أن له حقا في بيت المال، يجيز له أن يأخذ منه ما شـاء، كـما يتوهم بعض أهل زماننا، فكيف بمن يلتهـم الريالات والآلاف والملايين بغير وجه حق، وأحيانا يُشرعنها بحيل تزيد في الإثم، فاللهم سلِّم سلِّم.

وما أعظم الفرق بين من يتطلع للولايات ويسـتشرف لهـا، بطريقة مباشرة أو غـير مباشرة، وبين من ليس كذلك، فالأول غالبا يريد الولاية غنيمة ووجاهة، فلا يعينـه الله، والآخر يريد أن يخـرج من الدنيا كفافا ناجيا من تبعـات الأمانة، فيعينه الله إذا جاءه التكليف من غير مسـألة واسـتشراف، يدل على ذلـك الحديث المتفق عـلى صحته، يقول النبي -عليه الصلاة والسـلام- عن هـذه الولايات: (فإنك إن أعطيتهـا عن غير مسـألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسـألة وكلـت إليها)[2]، ولهذا كان رسول الله لا يولي من طلب الولاية أو استشرف لها، وكان يقول: (إنا لا نـولي أمرنا هذا من طلبه، ولا من حرص عليـه)[3]، وكنت كتبتُ قبل عام مقالا في هذه الصحيفة (الوطن) عن أهمية حفظ المال العام، وأيضا كتبت بعده عن مكافحة الفسـاد، وذلك لأن ديننا ونظام الحكم في بلادنا ومناهجنا، كلها تؤكد على النزاهة

---

(١) صحيح البخاري، ٥/ ١٣٨، رقم الحديث ٤٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، ٩/ ٦٣، رقم الحديث٧١٤٦.

(٣) صحيح البخاري، ٩/ ٦٤، رقم الحديث ٧١٤٩.

والحذر من أكل أمـوال الناس بالباطل، فلماذا يسـتحل (بعض) المجتمع -وأرجو أنهم قلة- محارم الله بأدنى الحيل، سواء كان ذلك بالبراطيل أو بغيرها؟ هذا أمر غير مقبـول، فنحن نؤمن أننا مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ذلك اليوم هو الذي يجب أن يضرب له العاقل حسـابا، ويراقب الله، فلا يأخذ ما لا يحل لـه، وإن كان قضيبـا من أراك، أو كان مُغلفاً بلجان وتوقيعـات، فهو أعلم بالحرام وإن أفتاه الناس وأفتوه، وإذا كان حكم القاضي ببراءة شخص لا ينجيه عند الله إن كان يعلم عن نفسه أنه كاذب ومراوغ، فكيف بمن يُشرعنون الفساد، ليكون منظما؟

ولا يليق بمسـلم أن يفعل فعل اليهود الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾[1]، والسـحت: هـي البراطيـل: أي: الرشـوة، وأصل البرطيل -كـما يقول ابن تيميـة- هو الحجر المستطيل سميت به الرشـوة لأنها تلقم المرتشي عن التكلم بالحق، كما يلقمه الحجر الطويل، وإذا دخلت الرشوة من الباب خرجت الأمانة من الكوة.

وقد كان الملك عبدالله -رحمه الله- أنشأ هيئة لحماية النزاهة، ومكافحة الفساد، وكان لها جهود مشكورة، وها هو خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان -وفقه الله- يبني على ما أسـس له أخوه، ويضع لجنة عليا لمكافحة الفسـاد، برئاسـة ولي العهد، وفقـه الله، وأعضـاء من كوكبـة من رجال الدولـة الأكْفـاء، ويمنحها صلاحيات واسعة، لتجتث الفساد من عروقه، وفي نظري أن هذه فرصة لكل من أخذ ما ليس له، أن يعيده إلى هذه اللجنة، ولو لم يُعلَم عنه ذلك، فليس ذلك عيبا، بل العيب هو الاسـتمرار بالخطأ، أما الرجوع إلى الحق ففضيلة، فذلك خير من الفضيحة الكبرى

(١) سورة المائدة: ٤٢.

يـوم القيامة، (يوم التغابـن) إذا جاء على ظهره ما أخذه في مشـهد يوم عظيم، أمام الخلائـق، يكلمه ربه -جلَّ جلاله- ليـس بينه وبينه ترجمان، فينظـر أَيْمن منه، فلا يـرى إلا ما قدم، وينظر أشـأم منه فلا يرى إلا ما قـدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه.

يقول النبي، عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منهـا شـيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير لـه رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت مرتين)[1]، وجـاء في الحديـث: لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسـأل عن أمور منها: عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ هذا هو السؤال الصعب، وحريٌّ بمن نصح نفسـه أن يـرد الحقوق لأهلهـا، مـا دام في دار الدنيا، وأن يكون ورعـا عن الأمور المشـتبهة، فضلا عن المحرمة، ورحم الله شـيخنا ابن عثيمين فقـد كان ورعا زاهدا عالمـا، قال أحد طلبته: سـألني الشـيخ هل أحضرت سـيارتك إلى الكلية؟ فقلت: نعم، فقال: أريدها للذهاب بها إلى بريدة لشراء آلة تصوير لأني لا أريد أن أستعمل سـيارة المعهد العلمي في غرض شـخصي، قال: فذهبنا إلى هناك واختار الآلة التي يريـد، ودفع ثمنها، وقالوا له: نـحضرها لك عصرا، ثم عدنا إلى الكلية، فركب مع السائق سيارة المعهد عائدا من عمله إلى بيته.

وفي حادثـة أخـرى أعطتـه الجامعة التي يـدرس فيهـا مبلغا من المـال مقابل محـاضرات ألقاها في كلية الشريعـة، وكان -رحمه الله- وقتهـا مفرغا لإعداد كتب دراسـية للمعاهد العلمية، فأعاد المال للجامعة، وقـال المحاضرات التي ألقيتها في

(١) صحيح البخاري، ٥/ ١٧٧، رقم الحديث ٤٤٠٦.

الكلية مقتطعة من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسـية للمعاهد العلمية، وبذلك لا أستحق ما صرِف لي، وطلب إرجاعه إلى بيت المال، هذه هي النماذج التي يقتدى بها.

وفي الختام أقول إن مقالي هذا ومقالاتي السـابقة عـن حفظ المال، هي للتذكير العام، ليس مقصودا بها أحد بعينه، وأعوذ بالله أن أحكم على أحد بالفسـاد، فتلك مهمـة القضـاء، ومعاذ الله أن أشـمت بأحـد، فقد جـاء في الحديث الذي حسـنه الترمذي: (لا تظهر الشـماتة بأخيك، فيرحمه الله ويبتليك)[1]، وإنما نـحب لإخواننا ما نحبه لأنفسـنا من الخير، ونكره لهم ما نكرهه لأنفسـنا من الشر، والذكرى تنفع المؤمنين، وفق الله بلادنا وولاة أمرنا ومجتمعنا لكل خير.

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح، ٤/ ٢٤٣، رقم الحديث ٢٥٠٦.

البيعة تقتضي عدم منازعة الأمر أهله

تابعت كغيري ما يقال ويكتب في كثير من وسائل التواصل والصحافة والفضائيات المحلية والعربية والعالمية عن بلدنا المملكة العربية السعودية، فخرجت من ذلك – بعد مزيدٍ من التأمل، بما يلي:

١ – بلدنا كما هو معلوم مستهدف ومحسود، وتدبر له المكائد، وكل ذي نعمة محسود، ولكن الأمر كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾[١]، وقوله: ﴿ شَيۡـًٔا﴾ نكرة في سياق النفي، فيفيد العموم، فلا ضرر وإن قل.

ودلت الآية الكريمة أنه إذا تحقق الشرط (الصبر والتقوى) تحقق المشروط (السلامة من ضرر مكائدهم)، لأن خبر الله صدق، ووعده حق.

٢ – هناك أناس – هداهم الله– ينازعون الأمر أهله، مع أن من مقتضيات البيعة لولي الأمر: عدم منازعته الأمر، كما جاء في الحديث: (وألا ننازع الأمر أهله)، وما كان ينبغي لأي شخص ينتمي إلى هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية – مهما وجد في نفسه – أن يكون ظهيراً للمجرمين في الخارج، ولا أن يكون مادةً إعلاميةً لقنواتٍ لها أهدافها المناوئة، يفرح باستضافتهم له، ويتوهم أنه علامة زمانه، والفقيه بالسياسة، والواقع أنه لا يعلم حقائق الأمور السياسية، بل وليس ملزما بعلمها، لأنه كفي المؤونة، وإنما هو ملزم شرعا (بلزوم جماعة المسلمين

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٠.

وإمامهـم)، ومنهي عن (منازعـة الأمر أهله)[1]، فترك – مع الأسـف– ما أمر به، وفعل ما نهي عنه، وهذا من الخذلان والإعجاب بالنفس، وقديماً قيل:

وقال الطانزون له فقيه — فصعّد حاجبيه به وتاها

وأطرق للمسائل أي بأني — ولا يدري لعمرك ما طحاها

وأصحاب القنـوات المناوئة، يظهرون التعاطف مع هـذا الصنف من الناس، وهـم لا يحبونـه ولا يحبون وطنـه، لكنهم يحتفون بـه مؤقتاً ليقضوا بـه مرحلة، ثم ينفضـون عنـه، وهو يفعـل ذلك ربما لزعمه أنه حسـن النية، ومـن كان عنده علم بالشريعـة يعلم أن سـلامة النية لا تعني صحـة العمل، فلا ينفـع منتقد وطنه عند الأعداء، أن يدعي أنه حسن النية، ومحب لوطنه، وقد أخبرنا الله تعالى عن قوم ضل سعيهم في الحياة الدنيا مع أنهم (يحسبون أنهم يحسنون صنعا)، وأخبرنا عمن﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[2]، فكون الإنسان يعتقد أنه يحسن صنعا، وكونه يرى أن عمله حسـن حسـب نيته، هذا الحسبان وتلك النية لا تنفعه، كما لم تنفع الضالين قبلـه، وهل يقـول عاقل إن انتقاد الإنسـان أهله ووطنه وقيادته أمـام العالم، وأمام الجهات المعادية المتربصة –مهما كانت نيته – هل يقول إن ذلك عمل صالح؟ لاسيما وهـو ينتقد أمورا لا يعلـم حيثياتها، بل وليس ملزماً كما تقـدم بعلمها، لأن القيادة ليسـت له، وإنما لولي الأمر، لكنه –بسـبب مخالفتـه للشريعة – ينـازع الأمر أهله، والعاقل في نظري لا يقدم مصالحه الخاصة العاجلة، على المصالح العامة، مع أنه في حقيقة الأمر، إذا لم تتحقق المصالح العامة، فلن تبقى له مصالح خاصة.

---

(١) أخرجه البخاري،٧٠٥٦، ومسلم ١٨٤٢.

(٢) سورة فاطر: ٨.

٣ – مهما ادعى بعض الغاضبين والمعارضين في الخارج من وجود الأثرة، ومهما صار عندهم من الكراهية، فإن هذا ليس حجة لهم عند الله في مناوأتهم لوطنهم وقادتهم، لأن هذا المسلك مخالف لكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، مع أن كراهيتهم لشيء ليست هي الميزان للصواب والخطأ، بل ربما كرهوا – لجهلهم – أمرا حسنا.

ولو نصحوا لأنفسهم لعملوا بقول النبي عليه الصلاة والسلام كما في الحديث المتفق على صحته: (ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[1]، لم يقل: فنابذوا أو فعارضوا أو فهيجوا أو تظاهروا أو ارتموا في غرف قنوات العدو مهيجين ضد ولاتكم ووطنكم، لم يقل ذلك، بل قال (فاصبروا). ولو كان أي تصرف أحسن من (الصبر) لذكره رسول الله عليه الصلاة والسلام، فهو أنصح الناس وأعلمهم وأفصحهم وأتقاهم وأشجعهم.

وفي الحديث الآخر المتفق على صحته كذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتةٌ جاهلية)[2]، ولا أظن مسلما يخشى الله يسمع هذه الأحاديث إلا ويعمل بها، لأنه يعلم أن الله سائله كما قال تعالى﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3]، ماذا سيجيب ربه إذا قال له بلغك رسولي بهذه الأحاديث، فلماذا خالفتها؟!

٤ – المملكة العربية السعودية فيها فضائل وخصائص وأعمال طيبة كالجبال،

(١) صحيح البخاري، ٤/ ٩٤، رقم الحديث ٣١٤٧.

(٢) صحيح البخاري، ٩/ ٤٧، رقم الحديث ٧٠٥٤.

(٣) سورة القصص: ٦٥.

لا توجـد في أي بلد في الدنيـا، كطباعة المصحف الشريف، وترجمة معانيه إلى لغات العـالم، وتوزيعه مجانـاً، وخدمة الحرمين الشريفين، ونـصرة التوحيد وأهله، ونحو ذلـك مما يصعب حصره، فكان من المهم بيانها والإشـادة بها، لا أن يكون صبوحنا وغبوقنـا هو النقد، وجلد الذات، فالاتزان مطلـب، وكثرة النقد لكل شيء لها آثار سلبية- في نظري- لاسيما على الشباب، لأنه يولد النظرة التشاؤمية السوداوية، وفي الحديث: (من قال هلك الناس فهو أهلكهم)[1].

٥ - إن قضايـا الأمـن والوطن مهمة جـدا، والناصح لدينـه ووطنه، يطالب الجميـع أن يسـهموا في حفـظ أمن وطنهم، كل حسـب قدرته، ولو بشـطر كلمة، ويشجعهم على ذلك، لأن الجميع في سفينة، وخرق السفينة من أي فرد سبب لغرق الجميع، ومنع العابثين من خرق السـفينة سـبب لنجاة الجميـع، وليس من النصح مـا يفعله بعض المزايدين، الذين يقللون من جهـود الآخرين في خدمة وطنهم، أو يشـككون بهـا، وكأنه لا يحب الوطـن ويدافع عنه إلا هم حصريـا، أما غيرهم من الأشخاص والجهات فإنهم - في نظرهم - لم يقوموا بالواجب، وهذا والله ليس من الدين ولا من العقل ولا من مصلحة البلاد والعباد.

٦ - إن البنـاء المتين - كما قال الملـك عبدالعزيز - لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول، ولهذا فإني أنصح نفسي وكل من يطلع على هذا المقال ألا يكون ثغرة في سور الوطن، تدخل منها معاول الأعداء.

الخلاف شر

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ٤٧٦٢.

(الخـلاف شر) كلمتان صادقتـان، قالهما الصحابي الجليل عبدالله بن مسـعود رضي الله عنـه، وأما المناسـبة والسـياق الذي قـال لأجله هاتـين الكلمتين فهو أن أمير المؤمنـين عثمان بن عفان رضي الله عنه صلى بالناس في منى أربع ركعات، وقد ذكر ابن حجر: كلام العلماء في تفسـير اجتهاده هذا، وكان ابن مسـعود يرى القصر ركعتـين لكونـه صلى مع النبي عليه الصلاة والسـلام بمنى ركعتـين، ومع أبي بكر رضي الله عنه ركعتين، ومع عمر رضي الله عنه ركعتين، وكان يقول: ليت حظِّي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان (كما روى ذلك البخاري ومسـلم)، ومع ذلك صلى في منـى خلف عثـمان أربعاً، فقيل له في ذلك: كيف تصـلي أربعا وأنت ترى القصر ركعتين، فقال كلمته الشافية الكافية (كما في سنن أبي داود): الخلاف شر.

وهذا دليل على عمق فهـم الصحابة رضي الله عنهم، فالخلاف والنزاع اللذان يسـببان تفرق الكلمة والإثـارة والشر لا خير فيهما، ولهـذا تُلتَزم أعظم المصلحتين بتفويـت أدناهمـا، وتدفع أعظم المفسـدتين بالتـزام أدناهما، ولا ريـب أن مصلحة الصلاة مع إمام المسـلمين، وجمع الكلمة عليـه، أعظم مصلحة من فعل ما يراه ابن مسعود هو الصواب.

ومفسـدة التشويش على إمام المسـلمين، وعدم الصلاة معه، أعظم مفسدة من تـرك ما يراه ابن مسـعود صواباً، هذا الفقه السـلفي الموافق للنصـوص الشرعية، يحتاجه كثير من المفكرين وحملة الأقلام، وأهل العلم والإعلام.

وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: (ويسـوغ أن يترك الإنسـان الأفضل لتأليف القلـوب واجتماع الكلمة، خوفاً من التنفير عما يصلح، كما ترك النبي صلى الله عليه وسـلم بناء البيت على قواعد إبراهيم؛ لكون قريش كانـوا حديثي عهد بالجاهلية،

وخشي تنفيرهم بذلك، ورأى أن مصلحة الاجتماع والائتلاف مقدمة على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم، وقال ابن مسعود، لما أكمل الصلاة خلف عثمان وأنكر عليه، فقيل له في ذلك، فقال: «الخلاف شر»، فالنزاع والخلاف سببان للفشل، وذهاب الريح، وفرَح الأعداء، وتسلطهم، برهان ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1]، أي: ولا تختلفوا فتتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا، وتذهب ريحكم، يقال للرجل إذا أقبل ما يحبه ويُسرّ به، الريح مقبلةٌ عليه، وإذا ذهبت قوته، ودخل عليه الوهن والضعف، يقال: ذهبت ريحه.

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

صحيح أن الخلاف مقدر كونا، لكنه غير مرغوب فيه شرعا، لأنه شرٌّ وبلاء، قال المُزني عند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[1] ذمَّ الله الاختلاف، وأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فلو كان الاختلاف من دينِهِ ما ذمه، وقال تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[2]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف الذي يضر.

وما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اختلاف أمتي رحمة»، فهذا لم يقله رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال الألباني-رحمه الله -عنه: «لا أصل له، بل هو مناقض لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[3] قال ابن حزم رحمه الله (لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطاً، وهذا ما لا يقوله مسلم، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف، وليس إلا رحمة أو سخط، وأما الحديث المذكور فباطل مكذوب، من توليد أهل الفسق).

وأما الخلافات المعتبرة التي لا تؤدي إلى افتراق، فهي سائغة، لأن فيها فتحا لباب الاجتهاد الذي فيه سعة على المسلمين، فيكون رحمة لهم من هذه الجهة، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم، من خفاء الحكم، ولهذا صنف رجل كتاباً سماه (كتاب الاختلاف)؛ فقال أحمد: (سمِّه كتاب السعة)، وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه؛ لما في ظهوره من الشدة عليهم)، فهو إذًا

(١) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٢) سورة هود: ١١٨، ١١٩.

(٣) سورة البقرة: ١٧٦.

رحمة من جهة الاجتهاد والتوسعة.

واليوم كثرت الأهـواء المضلة عند بعض الناس، وأُعجب كل ذي رأي برأيه، فصار بعض المعجبين بأنفسـهم - هداهم الله - يُشـاغبون بما لا يسوغ الخلاف فيه، ولا ينظـرون في عاقبة أمرهم وخلافاتهم، وما يحدثونه من صخب وشر وفتن، وقد يكونـون جاهلين بحقائق ما يخالفـون فيه، بينما كما تقدم ها هو الفقيه ابن مسـعود رضي الله عنـه، وهـو الذي مُـلىء علما وفهما، لم يُشـاغِب في عرض رأيـه الذي يراه صوابا، وإنما احتفظ به لنفسـه، وتابع الإمام، وقال قولته المشهورة: (الخلاف شر)، ولهـذا كان مـن منصوص اعتقاد أهل السـنة والجماعة قولهم: (ونـرى الجماعة حقاً وصوابـاً، والفرقـة زيغـاً وعذاباً)، ولا تحصـل الجماعة إلا بالائتـلاف، ولا تحصل الفرقة والفشـل وذهاب الريح وتسـلط الأعداء إلا بالتنازع والخلاف، وصدق الله العظيم﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[1].

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

ما ليلك بليل سارق

جاء في موطأ الإمام مالك، أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل، قدم فنزل على أبي بكر الصديق، فشكا إليه أن عامل اليمن قد ظلمه، فكان يصلي من الليل، فيقول أبو بكر: ما ليلك بليل سارق، ثم إنهم فقدوا عقدا لأسماء بنت عميس، امرأة أبي بكر الصديق، فجعل الرجل يطوف معهم ويقول: اللهم عليك بمن بيَّت أهل هذا البيت الصالح، فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به، فاعترف به الأقطع، فأمر به أبو بكر الصديق فقطعت يده اليسرى، وقال أبو بكر: والله لدعاؤه على نفسه أشد عندي عليه من سرقته.

نقلت هذا الأثر كما ورد في موطأ مالك، ووضعته أمام القراء الكرام، فقد يستنبطون منه من فرائد الفوائد الشيء الكثير بقدر القرائح والفهوم، والذي أريد الإشارة إليه من هذا الأثر جملة من المسائل، منها ما يلي:

الأولى: أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن المنكر: السرقة، وهذا ما جعل الخليفة أبابكر -رضي الله عنه- يقول لهذا المصلي في جوف الليل: (ما ليلك بليل سارق)، وأبو بكر -رضي الله عنه- يعني: الصلاة التي تُقام على الوجه الأكمل، لا مجرد الأداء.

الثانية: أن من أخطأ وانتهك حدا من حدود الله فإنه يُحاسب، وإن ظهرت منه أعمال خيرية، فليست تلك الأعمال مانعة من تنفيذ الحكم الشرعي.

الثالثة: من الناس من يُنكِر الشيء، مع أنه هو فاعله، بقصد التمويه، فهذا

السارق يدعو على من سرق، ويبحث عن المسروق مع الناس، وهذا هو ما يفعله تماما بعض الحزبيين، يقول أحدهم في أحد كتبه: (مصلحة العمل الإسلامي تقتضي أن يقوم فريق من رجاله بالأعمال الجهادية -هكذا يسمونها جهادية مع أنها إرهابية-، ويقوم آخرون بالشجب والاستنكار، بتنسيق مسبق، وتوزيع متبادل للأدوار). يُفجّرون ويشجبون، وهذا المسلك ليس من دين الله في شيء.

الرابعة: أن المسلم قد يخلط عملا صالحا وآخر سيئا، ولكن بعض الناس في زماننا كأنهم لا يتصوَّرن وجود هذا الخلط، ولذلك إذا رأوا من ظهرت عليه شعائر التدين، عظَّموه، وصدَّروه في المجالس، وقدَّموه على كبار السن، وربما يستفتونه، ويُنادونه بالشيخ وصاحب الفضيلة، وإن كان حديث عهد بجرائم وجهل وانفلات، وفي المقابل بمجرد وقوع هذا الذي كانوا يعظمونه في جريمة، كالزنا والخمر ونحوهما من الكبائر، فإنهم يُشكِّكون في دينه، وربما زعموا أن ما ظهر منه من تدين كان نفاقا، وكأنهم كانوا يرونه معصوما، وهذا من ردود الأفعال غير المتزنة.

بينما من سلك طريق الاعتدال: لا يبالغ مدحا ولا ذما، من ترك المنكرات وأظهر الاستقامة فإنه يُرجى له الخير، ولكن لا يُصدَّر، ولا يُرفَع فوق منزلته، ومن وقع في الخطأ وإن كان كبيرة من كبائر الذنوب، فإنه لا يُعان الشيطان عليه، ولا يُقَال إن أعماله الخيرية الأخرى كانت نفاقا، إذ لا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب.

ونحن نعلم أن الصحابة هم خير الناس، ومع هذا فأحدهم وقع في الزنا، واعترف بذلك، فرُجم لكونه مُحصَنا، وقد صلى عليه رسول الله، عليه الصلاة والسلام، وأخبر أنه: (ينغمس في أنهار الجنة)[1]، ورجل آخر شرب الخمر، فجلده

(١) أخرجه أبو داود ٤٤٢٨، وابن حيان ١٥١٣.

رسول الله، ولم يقل أحد أن تدينه ليس صادقا، وإنما قال النبي، عليه الصلاة والسلام: (إنه يحب الله ورسوله)[1]، ربما يُبلى بعض الناس بذنب، لكن هذا ليس دليلا على أنه لا يحب الله ورسوله، أو أنه غير متدين، نعم يدل على ضعف الإيمان، وحريٌّ بالمسلم ألاّ يستهين بالذنوب، فقد يموت على ذلك الذنب ويُختم له بسوء العمل، ولكن لسنا كالخوارج المارقين الذين يرون مرتكب الكبيرة خارجا عن الإيمان وواقعا في الكفر، ولا كالمرجئة الضُلاَّل الذين يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، فكلاهما خاطئ، ولكننا -بحمد الله- على طريقة أهل السنة والجماعة، نقول عن مرتكب الكبيرة: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، ولا نُكفِّر أحدا من أهل القبلة بكل بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.

والمقصود: أن الاتزان مطلب في الأمور كلها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[4]، فالاتزان خيرٌ كله، ولهذا أنبت الله في الأرض من كل شيء موزون، أي: مقدر بحد معلوم، كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري، ٦/٢٤٨٩، رقم الحديث ٦٣٩٨.

(٢) سورة الإسراء: ٢٩.

(٣) سورة الفرقان: ٦٧.

(٤) سورة القصص: ٧٧.

(٥) سورة الحجر: ١٩.

من الملك عبدالعزيز إلى من يراه من المسلمين

الملك المؤسس عبدالعزيز، رحمه الله، مجدد لهذا الدين كما قال ذلك العلامة الشيخ صالح الفوزان، حفظه الله، وموحد للبلاد، ومؤسس لهذا الكيان، ومهندس للنهضة والتنمية، قال عنه الفرنسي جان بينيز: (إن الملك ابن سعود إذ يموت وهو الذي أطلق عليه الإنجليز اسم «نابليون الجزيرة العربية»... أنجز المعجزة، لقد أخرج ابن سعود من الرمال أمة جديدة)، وقال عنه البريطاني كنيث وليامز (هل بين ملوك المشرق من يضارع ابن سعود؟ لا أذكر حاكما قويا يخشى الله قد وصل إلى مكانة هذا الملك، فلا شك أنه لا يعدله ملك في العالم الإسلامي)، وقال عنه معالي الشيخ التويجري، رحمه الله: (رحم الله مؤسس دولتنا الحديثة -الملك عبدالعزيز- فقد أسلمها لأهله وشعبه آمنة مستقرة بعد أن بذر فيها أفضل البذور، وغرس على ترابها أفضل الأشجار، وسقاها بعرقه ودمه وكدحه، وذاد عنها الطير حتى نضجت الثمرة، بعد معاناة وجوع وظمأ وشح عليه وعلى رجاله بأبسط العيش).

وأما عطفه على شعبه وتسامحه فهذا أمر مشهور، ولهذا آلت الأمور إلى محبة الجميع له -من نصره ومن ناوأه- لقد تحول خصومه إلى أعوان له ومحبين، يعامل رعيته كأبنائه، ولو قيل للجالسين معه على مائدته ممن كانوا على خلاف معه، نريد نعرض تساؤلات عليكم عن الملك عبدالعزيز، لبادروا جميعا بقولهم: ألغ تساؤلاتك، فنحن من يملك أعظم شهادة للملك عبدالعزيز وأصدقها، إنه من أبر الرجال وأعفهم وأسمحهم، لقد أكرمنا وحفظ لنا مكانتنا، وقد حفظت الوثائق أنه قال لأحد مناوئيه النادمين: (جميع الفايتات أرفعها، دمدوم وجرف مهدوم...

ولــن ترى مــا يغث خاطرك، ولا ينقــص في حقك، وتأتي ظالما، وتعود ســالما...)، وقال أيضا: (ما قد أخذنا والحمد لله ثأرا لأنفســنا، ولا قدمنا هوانا على الأمر الذي نرتجـي به رضا الله وعفوه، ولا لنا غاية إلا راحة المســلمين عموما، ونقدم إن شــاء الله رضا الله على هوانا، وكثرة الكلام ما منه فايدة، الله أعلم بالسريرة، نرجو إن الله يظهرنا على قدر غايتنا للمسلمين).

هــذا الملك الصالــح الذي أمضى حياتــه كلها في التأسـيس والبنـاء والوحدة والتنمية، لم يشــغله ذلك عن نــصرة العقيدة وأهلها، لعلمــه أن عبادة الله وحده لا شريك له هي الغاية من خلق الجن والإنس، وأن العزة إنما تكون بالتمسك بالدين وأحكامــه، وأن من أراد العــزة بغير نصرة التوحيد أذله الله، وهذه إحدى رســائله النافعة، وجهها إلى من يراها من المســلمين في وطنه، جعلها الله في موازين حسناته، قال فيها:

(مــن عبدالعزيز بن عبدالرحمــن الفيصل إلى من يراه من المســلمين وفقهم الله لســلوك الــصراط المســتقيم، وجنبهم طــرق أهــل الجحيم...آمين، ســلام عليكم ورحمــة الله وبركاتــه أما بعد: فــإن أوجب الواجبــات على جميع المكلفــين، توحيد رب العالمــين، وهــو إفراد الله بالعبادة، والبراءة من عبادة ما ســواه، واعتقاد أن كل معبود ســوى الله باطل، وأن من عبد غير الله فهو كافر، وهذا هو معنى شــهادة أن لا إلــه إلا الله، وهو دين الرســل من أولهــم إلى آخرهم، وهو دين الإســلام، الذي لا يقبل الله دينا ســواه، قــال تعــالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1]، ثم تفهمون أن الله ســبحانه مــنّ علينا وعليكم بدعوة شــيخ الإســلام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، وإظهاره لدين الإسلام، وإيضاح

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

ذلك بالأدلة والبراهين من كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وقد بلغنا عن أناس يدعــون أنهم على طريقته أمورا مخالفة لما هو عليه، وهي أنهم يتجاسرون على الإفتــاء بغير علم، ويطلقون التكفير والتضليل بغــير علم، بل بالجهل ومخالفة الدليل، ويتناولون النصوص على غير تأويلها، ويســعون في تفريق كلمة المسلمين، ويتكلمون في حق من لم يســعفهم على ذلك من علماء المســلمين بما لا يليق... فمن كان ثابتا عنده أن الشــيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- مجدد لهذا الدين، الذي هو توحيد رب العالمين، ومتابعة ســيد المرســلين، فهذه كتبه مشــهورة فليعتمد على ذلك... ومن كان عنده شــك فليسأل الله الهداية، ويطلب بيان ذلك من كتاب الله، وســنة رســوله عليه الصلاة والســلام، ويســأل من يثق به من العلماء المحققين، إذا فهمتم ذلك فاعلموا -هداكم الله- أننا إن شــاء الله بحول الله وقوته أنصار لمن دعا إلى ما دعا إليه الشــيخ محمد بــن عبدالوهاب، رحمه الله، قائمون بــما قام به أجدادنا الذين نصروه، ومن خالف ذلك إما بتفريط أو إفراط، فلا يلومن إلا نفسه، وليعلم أننــا قائمون عليــه، ومنفذون فيه ما يقتضيه الكتاب والســنة، والله والله لأؤدبه بهما أدبا يتأدب به الأولون والآخرون، ومن أنذر فقد أعذر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

وكما ترى أخي القارئ الكريم تضمنت هذه الرسالة النافعة عدة أمور:

منها: الدعوة إلى التوحيد، وبيان فضله، ومنها: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب لم يــأت بجديد، وإنما دعا إلى ما دعا إليه رســول الله، صلى الله عليه وســلم، ومنها: أن الملــك عبدالعزيز وأســلافه هم أنصار دعوة التوحيــد الخالص لله تعالى، ومنها: أن الإمام محمد بن عبدالوهاب بريء ممن ينتســب إليه وهو مخالف لمنهجه ودعوته،

ومنهـا: حماية الملـك عبدالعزيز وأسـلافه الذين مضوا لدعـوة التوحيد من الجهلة والدخلاء والغلاة، أسأل الله أن يرحم الملك عبدالعزيز، وأن يحفظ ذريته ويجمعهم على الحق والهدى، وأن يوفق ولي أمرنا الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الأمير محمد بن سلمان لكل خير.

الموقف من الألفاظ المجملة

طريقة أهل السنة والجماعة هي التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية، والحذر من إطلاق الألفاظ المجملة أو الموهمة، لأن الإجمال قد يتضمن معنى باطلا ومعنى صحيحا في آن واحد، فيكون رده ردا لما تضمنه من حق، وقبوله قبولا لما تضمنه من باطل، والموقف الصحيح من هذه الألفاظ والمصطلحات المجملة، هو البيان والاستفسار، فيقبل ما فيها من حق، ويُرَد ما فيها من باطل، وقديما قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في نونيته:

وعليك بالتفصيل والتبيين فا	لإجمال والإطلاق دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا	الأذهان والآراء كل زمان

وإنما قلتُ: التعبير باللفظ الشرعي أولى لأنه صالح لكل زمان ومكان، ولا لبْس فيه، بخلاف لفظ غيره، وإن شئتَ أخي القارئ مثالا فهذا مصطلح (لبس المخيط) يورده الفقهاء في محظورات الإحرام، مع أن هذه العبارة (لبس المخيط) لم يذكرها الله تعالى ولا رسوله عليه الصلاة والسلام، بل ولا الصحابة رضي الله عنهم، ويُذكَر أن أول من قالها إبراهيم النخعي، ولم يكن يرد بها منع كل ما به خياطة، وإنما أراد منع المُحْرِم من لبس ما خيط على قياس عضو من البدن.

ولما كانت هذه العبارة ليست واردة عن معصوم، صارت موهمة لكثير من المسلمين، فمنهم من يسأل عن لبس الساعة أو حزام الإحرام أو النعال ونحوها إذا كان فيها خيط، هل يصح لبسها حال الإحرام أم لا؟ ومنشأ هذه الأسئلة هو عبارة

(لبس المخيط)، بينما كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - واضح لا لَبْسَ فيه، وصالح لكل زمان ومكان، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره، فقد قال - عليه الصلاة والسلام - (لا يلبس المحرم الْقُمُصَ، وَلاَ الْعَمَائِمَ، وَلاَ السراويلات...)[1].

ولما عدل بعض الناس إلى الألفاظ الموهمة أو المجملة أو المحدثة، صار ذلك سببا لنزاع كثيرٍ من الناس، حتى صرنا نرى أناساً يختلفون وهم في الحقيقة متفقون، لكنهم جهال في حقائق ما يختلفون فيه، بسبب إطلاقهم ألفاظا مجملة نفيا وإثباتاً، يقول ابن تيمية - رحمه الله - (كثير من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره، فضلا عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئا، بل يكون قوله نوعا من الصواب، وقد يكون هذا مصيبا من وجه، وهذا مصيبا من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث).

واليوم يتحدث الناس عن ألفاظ حادثة، بعضهم يُسوِّغ من خلالها معنى باطلا، وبعضهم يريد من خلالها معنى صحيحا، وعادة أهل الأهواء أنهم يصفون باطلهم بألفاظ جاذبة ليوهموا من لا يعرف الحقيقة، فالمعتزلة يطلقون على أحد أصولهم الخمسة لفظ (التوحيد)، ويقصدون به معنى باطلاً، وهو (نفي الصفات)، وإنما استخدموا لفظ (التوحيد) لترويج باطلهم، بهذا اللفظ الجاذب، وأهل الأهواء يطلقون ألفاظاً مُنفِّرة على من يقوم بأعمالٍ صحيحة، كقولهم (المجسمة والحشوية والوهابية والجامية)، وهي ألفاظ ابتدعوها للتنفير من الحق، ما أنزل الله

(١) صحيح البخاري، ١/ ٣٩، رقم الحديث ١٣٤.

بها من سلطان، والراسخون في العلم لا يقبلون الباطل وإن أُلبِس عباراتٍ أرقَّ من الحرير، ويقبلون الحق وإن أُلبِس عبارات رديئة، فهمهم مصروف إلى معرفة المعاني.

ومن تلك الألفاظ الحادثة مصطلح الصحوة، هذا اللفظ يُطلقه بعض الناس على من سلك طريقة الحزبيين، ويُطلقه آخرون على النشاط في التمسك بأحكام الشريعة، فصار هذا اللفظ المحدَث المجمَل غطاءً لطائفتين خاطئتين، إحداهما: تروج للصحوة الحزبية، مستدلين بمدح بعض الفضلاء للصحوة، مع علمهم بأن الصحوة التي يمدحها أولئك الفضلاء ليست صحوتهم الحزبية، لكنهم يفعلون ذلك للتلبيس.

وثانيهما: الذين يستغلون نقد بعض الفضلاء للصحوة في نقد كثير ممن نشط في التمسك بأحكام الشريعة، بعد أن كان غافلا عن بعضها، مع علمهم بأن الصحوة التي يذمها أولئك الفضلاء، هي الصحوة الحزبية التابعة لجماعة الإخوان المتزامنة مع الثورة الخمينية، وليست إقبال الناس على دينهم بنشاط، التي يسميها بعض الفضلاء صحوة، والأولى ألا تُسمّى بذلك، فالألفاظ الشرعية، فيها غنية عن هذه الألفاظ المجملة.

ولهذا كان الصحابة يستعملون لفظ (راعِنا) يريدون به معنى صحيحا، لكن اليهود يطلقونه ويريدون به معنى باطلا، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾[1]، فلفظ: انظُرنا، لا يحتمل إلا معنى صحيحا.

العلم يظهر في موطن الإشكال

العالِم العاقل: هو من يخشى الله تعالى، ولا يقدم ما يطلبه المستمعون والمتابعون،

(١) سورة البقرة: ١٠٤.

أو تهواه نفسه من المكانة والمنصب والتصدر والسمعة، لا يقدم شيئا من ذلك على النص الشرعي، ولا يلوي أعناق النصوص لتتلاءم مع ما يهواه هو، أو يهواه غيره، لأن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأما من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق، في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه، لأن أحكام الله تعالى كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، كما يقول ابن القيم.

وما كل من درس العلم، أو حصل على شهادة فيه، يُعد من الراسخين فيه، ذلك أن المعلومات موجودة في الكتب، وفي زماننا هذا بمجرد ضغطة زر على جهاز الحاسوب تحصل على ما تشاء من المعلومات والأحاديث في الموضوع الواحد، لكن هذا لا يكفي، لابد من العالم الرباني الذي يفقهها، وفق منهج السلف، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللهَّ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِأن يَنْتَزِعَهُ انْتِزَاعًا، لَكِن يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)[1] رواه البخاري.

لاحظ أنه ذكر في الحديث أن قبض العلم (بقبض العلماء) لم يقل: (بقبض الكتب)، فالكتب موجودة، لكنها لا تكفي، وإنما تحتاج إلى عالم عاقل يخشى الله، ويفقه مآلات ما يصدر عنه، ولا يستخنفه الذين لا يوقنون، وإلا فإن النتيجة سيئة جدا كما في الحديث، وهي ترؤس الجهال المتعالمين، بفتاواهم وكتاباتهم الضالة المضلة، وفي زماننا هذا كَثُر المتنسبون إلى الفقه والعلم، مع أن بين (بعضهم) وبين الفقه الذي على طريقة السلف، أمدا بعيدا، وما كل من نسب نفسه إلى السلف صادق، فالسلف رحمهم الله يتدافعون الفتوى، وهؤلاء المتعالمون يتنافسون في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٠ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٨.

التصدر للفتوى والظهور، والسلف يقولون في كثير من الأسئلة: لا أدري، وهؤلاء يفتون قبل أن ينهي السائل سؤاله، والسلف يود كل واحد منهم لو أن أخاه كفاه الفتوى، وهؤلاء يقولون نحن أحق بها وأهلها، بل ويجيب أحدهم وهو لم يسأل أصلا، ويتقدم على الراسخين في العلم، فيسبقهم بالتعليق على كل شيء بعجلة وطيش، بينما قال أبو موسى لابن مسعود رضي الله عنهما (ما قلت لهم شيئا انتظار أمرك أو رأيك)، تأخر في الإنكار حتى يرى رأي الراسخين في العلم، فهم أعلم وأتقى، أما هؤلاء فلا ينتظرون عالما، وإنما يبادرون بتسجيل المقاطع ونشرها، ولو عُرض ما تكلموا به على عالم راسخ لقال: يحتاج الأمر إلى رجوع للمجامع العلمية، وإلى أولي الأمر عملا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1] لكن المعجبين في أنفسهم لا يعقلون، وانظروا مواقع التواصل تروا العجب العجاب.

والسلف صانوا العلم عن التبذل والتملق، والطمع، فصانهم العلم، وانتفع الناس بعلمهم، وهؤلاء دنسوا العلم بالتناقض والتملق والسخف والركون إلى المظاهر الزائفة، فهانوا وهوَّنوا شأن العلم في النفوس، والسلف قلَّ كلامهم وكثر علمهم، وهؤلاء كثر كلامهم وقلَّ علمهم، وصاروا يدخلون أنوفهم فيما يعنيهم وما لا يعنيهم، ومع هذا الغثاء والتعالم، الذي نشكوه إلى الله، إلا أن أهل الفضل والفقه والعلم والعقل، والسير على طريقة السلف، موجودون بحمد الله، فالخير في هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة.

ومن أمثلة الخير الذي سطره علماء السلف رحمهم الله ما يلي:

---

(١) سورة النساء: ٨٣.

١ - لما توفي النبي عليه الصلاة والسلام، وحصل ما حصل من عظم هول الموقف، وأنكر بعضهم موته، صعد أبوبكر رضي الله عنه المنبر وقال (أما بعد: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ثم قرأ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1]، قال ابن باز رحمه الله: عن قول أبي بكر هذا: العلم يظهر في موطن الإشكال، ولما ارتد من ارتد، كان له موقف مشهور، أعز الله به الإسلام وأهله.

٢ - طُلِب من الإمام أحمد رحمه الله، أن يقول بخلق القرآن، وهي كلمة كفر، لكون كلام الله من صفاته، وصفاته غير مخلوقة، لكنه رفض ذلك، فسُجن وضرِب، وحصل له من البلاء ما حصل.

ولما خرج من سجنه، اجتمع إليه الناس، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا - يعنون إظهار القول بخلق القرآن - ولا نرضى بإمرة الواثق ولا سلطته، وأرادوا الخروج عليه، فناظرهم الإمام أحمد في ذلك، وقال: (عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر. وقال: ليس هذا بصواب، هذا خلاف الآثار).

وأنت تلاحظ - أخي القارئ الكريم - أن الأمام أحمد تمسك بالآثار التي تنهى عن الخروج، ونظر بنظر الفقيه العالم إلى مآلات الأمور، وعظم شأن الدماء، وأهمية الأمن، ولو كان من علماء الضلال ودعاة الفتن والثورات، لاغتنم هذه الفرصة

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

لتصفية الحسـابات، لا سيما أن الحاكم في زمنه يقول بخلق القرآن، لكنه عالم سلفي، يفـرق بين الموقف الشرعـي، وبين ما تهوى الأنفس، ولذا أعزَّ الله به الإسـلام يوم المحنة، كما أعز الإسـلام بأبي بكر يوم الردة، وهـذا هو العلم الذي يظهر في موطن الإشكال.

٣ - وفي زماننا كان للعلامة ابن باز رحمه الله موقف مشـهور ومشرف، وذلك في حـرب الخليـج الثانية، فقـد أطلت الفتن بقرونهـا، وكثر المفتون والمشـككون، والمتربصون، والجاهلون، وزعم بعضهم أن الاستعانة بغير المسلم لرد الصائل على بلادنا جريمة عظيمة، ومظاهرة للمشركين على المسلمين، وجيشوا الناس، ونازعوا الأمـر أهله، وحصل من الشرور ما حصل، فكان موقف ابن باز رحمه الله نورا بدد الله بـه الظلمات، وعلما أزال به الجهالات، وكلما مر عليه ملأ من أولئك المشـاغبين المهيجين، ردهم بسـلاح العلم والحجـة والبرهان، وذكر لهـم الأدلة الشرعية على جواز ما اتخذته الدولة من إجراءات، وفند شبههم، وتهويلاتهم.

المتناقضون لا حجة لهم

كل مـن كـذب بالحق، أو فعل خلاف ما يقـول، أو نهى عن شيء ووقع في شر منه، أو أثنى على شيء وذم ما هو أولى بالمدح منه، فهو متناقض، قال الله تعالى﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[1] ومعنى مريج: أي: مضطرب ومتناقض ومختلط، والمتناقض لا حجة له، وإنما هو مسـتحق المقت من الله، وهو أشد البغض كـما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2] وهكـذا مـن ينتقد غيره لوقوعه في خطأ، بينما هو واقع فيـما هو أكبر، أو يأمر غيره بالخير وينسـى نفسـه، أو يفعل خلاف مـا يؤمر به، فإنه ناقص العقل، مسـتحق للمقت، لقوله تعـالى:﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[3]، ومـن إعجاب بعض الناس بأنفسـهم أنه يرى القـذاة في عين أخيـه ولا يرى الجذع في عين نفسـه، وهذا سـبيل الذين لا يعقلون قـال الله تعـالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[4]، فكفـار مكة كما تـرى في الآية الكريمة أنكروا القتال في الشـهر الحرام، وهو كما قالوا منكر، ولكنهم فعلوا ما هو أنكر منه، وهو الصد عن المسـجد الحرام

(١) سورة ق: ٥.

(٢) سورة الصف: ٢، ٣.

(٣) سورة البقرة: ٤٤.

(٤) سورة البقرة: ٢١٧.

والكفر به، وإخراج أهله منه، وهذا من التناقض.

والناس اليوم يرون من يقول القول ونقيضه في آن واحد، كأن يمدح شخصا أو مجتمعا في حضرتهم أو في حال ظنه بلوغهم مدحه، بينما إذا خلا عنهم سلقهم بلسان حاد، فهذا من التناقض، بل ومن النفاق، وقد قيل لابن عمر، رضي الله عنهما: «إنا ندخل على أمرائنا، فنقول القول، فإذا خرجنا قلنا غيره، قال: كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم»[1]، ومن التناقض هذه الأيام ما يلاحظ الناس من الظواهر الصوتية لحزب الإخوان والمتعاطفين معهم، فقنواتهم وتغريداتهم توهم أنهم مع فلسطين والقدس وضد اليهود، وإذا ما تجاوزنا تلك الظواهر الصوتية، ودخلنا في الحقيقة، رأينا مؤسس حزبهم، حزب الإخوان، حسن البنا يقول ما نصه:

(أقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم)، ورأينا علم اليهود يرفرف في بعض بلاد المسلمين ولم ينبسوا ببنت شفة، ورأينا اليهود يتفقدون أستديوهاتهم الإعلامية، ورأينا بلاد اليهود والنصارى تحتضنهم ليتهجموا على بلاد التوحيد والسنة، ورأينا بعضهم يضعون الورود على قبر الخميني، وشاهدنا بالصوت والصورة وفدا من حزبهم يعلنون أمام قادة نظام إيران، أن منهجهم مستمد من حسن البنا والخميني، ومن تناقضهم كذلك أنهم يزعمون الغيرة الدينية على القدس، في حين لم يغاروا على مكة قبلة المسلمين، ومهبط الوحي، وأحب البقاع إلى الله، لم يغاروا عليها عندما استهدفها نظام إيران عبر ميليشياته في اليمن، مما يدل على كذبهم وإفلاسهم، وإلا فالمسجد الأقصى في

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٨/١٢٤، وصححه أحمد شاكر والألباني.

وجدان كل مسلم صادق، فهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، والدفاع عنه قربة ودين، لكن هؤلاء المزايدين كاذبون متناقضون، فهم لا للإسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا، وإنما تسلط أعداء الشريعة على الإسلام والمسلمين من خلالهم وبسببهم، وهكذا كل من اختطفته الأحزاب والأهواء، فإنه يكثر التنقل والتلون، ويكون مطية لأعداء الإسلام، وقد جاء في الحديث:

(تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه)[1]، (والكَلَب): داء يصيب الإنسان من عضة الكلب، فإذا أصابه فإنه والعياذ بالله يعوي عواء الكلب ويمزق نفسه، فيكون مسعورا، يفعل ما لا يليق.

فنعوذ بالله من مضلات الفتن، ومن الهوى فإنه يعمي ويصم، ونسأل الله أن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[2].

(١) أخرجه أبو داود، ٤٥٩٧، وأحمد في المسند ٤/ ١٠٢.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧.

إلى جمال خاشقجي هداه الله إلى الحق

من أحمد الرضيمان إلى الأخ جمال خاشقجي هدانا الله وإياه لطاعة الرحمن، وجنبنا وإياه نزعات الشيطان.. آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فالموجب لهذه الرسالة بيان الحق والتواصي به، فإن الدين النصيحة، والمؤمنون نصحة، والمنافقون غَشَشَة، فأرجو أن تتقبل هذه الرسالة بقبولٍ حسن، ولا يحملك ما فيها من صراحة على النفور والإعراض.

فأقول: تعلم أخي جمال - هداك الله - مكانة بلادنا المملكة العربية السعودية وقادتها، فبلادنا هي مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، ودار السلام، وواحة الأمن والاستقرار. وولاتنا هم أنصار دين الله منذ ثلاثمئة سنة ولا يزالون، ونسأل الله أن يديمهم على ذلك مادامت السماوات والأرض، هذه حقائق، لا ينكرها إلا من سفه نفسه، وأنكر الشمس في رابعة النهار، وحينئذٍ لا حاجة - يا جمال - للمزايدة على دولتنا بتعظيم أحزاب وجماعات سياسية تنتسب للإسلام، وهي في حقيقتها جماعات ضرار، تنقض عرى الإسلام عروة عروة، وليس هذا موطن بسط انحرافاتها العقدية والفكرية.

لقد اطلعت - يا أخي جمال- على بعض مقولاتك وتغريداتك، فرأيتها تتضمن منكرا من القول وزورا، وما كان لك أن تناوئ بلادك وقادتك، الذين كان فضلهم عليك كبيرا، ولا أن تكون - هداك الله- للخائنين خصيما، ولو ذهبت أنقل كلامك

وأرد عليه، لطال الكلام جدا، لكني سـأكتفي بالرد على بعض ما سـمعته منك أو قرأته لك، بما تسمح به مساحة هذا المقال.

وبدايـة لابد أن يكـون المرجع عند النزاع والخلاف هو الكتاب والسـنة عملا بقولـه تعـالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[(١)] وشيء، نكرة في سياق الشرط، فيفيد العموم.

وسـأذكر بعض المسـائل التي خالفتَ فيهـا، ونعرضها على الكتاب والسـنة، وبيان ذلك كما يلي:

١ - ذهبـتَ - يـا أخي جمـال- مغاضبا لبلدك، وذكرت أن السـبب أنك تريد الـكلام وعدم السـكوت، لأن ذلك يُنـافي الحرية، وأنك لا تتحمـل اتصالا يأتيك بإيقاف كتابة المقالات ونحوها، هذا ما نشرتَه أنت وأكثرت الكلام فيه.

والجواب: السياسـة - يا جمال- لها أهلها من ولاة الأمور، وقد حمَّلهم الله هذه الأمانـة، وحمَّلنا نحن الرعيـة عدم منازعتهم الأمر، كما في قـول النبي عليه الصلاة والسـلام: (عليهم ما حمِّلوا وعليكم ما حمِّلتم)[(٢)]، فلماذا تُنازِع الأمر أهله، وتُعجَب بنفسـك، وتلجأ إلى القال والقيل والتهييج والإثارة، هذا والله ليس من الإسلام في شيء، بل هو مخالف لمقتضى البيعة الوارد في حديث عبادة: (وألا ننازع الأمر أهله)[(٣)].

ألا تعلـم - يا جمال - أن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - تكلم في مسـألة فقهية،

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث٣٤٣٩.

(٣) أخرجه البخاري، ٧١٥٦، ومسلم، ١٨٤٢.

وهـي تيمم الجنب، فأنكر عليه أمير المؤمنين عمر بـن الخطاب رضي الله عنه، فبينَّ عمارٌ أنه سـمع ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام، وليس من عنده، ثم قال – وهنا الشاهد– (يا أمير المؤمنين بما جعل الله لك عليَّ من الطاعة إن شئتَ لا أُحدِّث لا أُحـدِّث)، الله أكبر صحابي جليـل، يتقرب إلى الله بطاعة من أمر الله بطاعته وهو ولي الأمر، ولو بالسـكوت عن ذكر مسـألة مهمة يعلمها، لم يقل هذا خنق للحرية، ولا أتحمل ذلك، كما فعلتَ أنت يا جمال، فما الذي يجعل هذا الصحابي يمتثل الأمر ولو بالسكوت، وأنت لا تمتثل؟ وكنتُ سمعتُ شيخنا ابن عثيمين يقول: «والله لو أن الدولة قالت امتنع يا ابن عثيمين عن الكلام في العلم والتدريس لامتنعتُ طاعة لله الذي أمرني بطاعتهم، ولو قالوا: لا تؤم الناس، لصرتُ مأموما، ولا أسمح لأحد أن يثير بسـبب منعي شيئا»، واسـتدل بحديث عمار السابق، وأضاف: «الحق ليس معلقا بالأشـخاص، الأشـخاص يموتون ويبقى الحق، وإذا منعـوني لا يعني أنهم منعوا كل أحد من أهل العلم، والحمد لله كُفيت المؤونة، وهذا هو عذري عند الله».

هـذا هو موقـف العلماء الراسـخين، لكنك يا جمـال أعرضت عـن طريقهم، وسـلكت طريقة الإخوان المفلسـين، واللبراليين المنفلتين، مرةً مع هؤلاء ومرة مع هـؤلاء، تتجارى بـك الأهواء، فأنقذ نفسـك، وارجع إلى الحـق، ولا تنزع يدا من طاعـة، فإن النبي ـ عليه الصلاة والسـلام ـ يقول: (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَـيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ)[1].

٢ – تكثر من الهمز واللمز – يا أخي جمال – على سياسـة بلدك، وكأنك أعلم منهـم، وما هكـذا النصح، بل النصح يكون وفق الحديـث الذي صححه الألباني:

---

(١) أخرجه البخاري، ٧٠٥٣، ومسلم، ١٨٤٩.

(من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه)، والإنسان إذا كتب ما يراه لولي الأمر بسرية تامة، برئت ذمته، إن كان قصده الدين واستشعار المسؤولية، أما اللجوء إلى مناكفة الدولة وقادتها عبر القنوات والتغريدات، فلا علاقة لذلك بالنصح من قريب ولا بعيد، وإنما هذا مسلك الخوارج، وأرجو أن تحذر طريقتهم.

ولقد سمعتك – يا أخي جمال– تثني على خطاب أمير قطر، وأنه يأمر بعدم السب والمناكفة، فيا سبحان الله، ألم تعلم يا جمال أنهم في نظام قطر فعلوا ما هو أسوأ من السب، خططوا لتقسيم بلادنا، ولا أدري أسمعتَ هذا بالصوت والصورة في القنوات، أم أن عين الرضا عن كل عيب كليلة؟ لقد جمعوا – يا جمال– شذاذ الآفاق للإضرار بوحدتنا، وصرفوا الأموال وجندوا كل ما يستطيعون للإساءة إلى منبع الإسلام، ومأرز الإيمان، وأنصار التوحيد والسنة، ومنذ عشرين عاما وهم يتبعون خطوات الشيطان، ثم أنت تأتي في قناتهم الشريرة تمدحهم، أليس عندك غيرة على وطنك وقادتك ومجتمعك؟

فاتق الله – أخي جمال – وتب إلى الله، ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا، وارجع إلى الحق فذلك فضيلة، واقتد بالسلف، فقد قال أحدهم عندما تبين له خطؤه: (إِذًا أَرجِع، وأَنَا صَاغِرٌ، إِذًا أَرجِعُ، وأَنَا صَاغِرٌ؛ لأَنْ أَكُونَ ذَنَبًا في الحَقِّ أَحبُّ إِليَّ مِن أن أَكُونَ رأسًا في البَاطلِ)[1].

---

(١) بعد نشر هذا المقال في صحيفة الوطن، اطلع عليه جمال خاشقجي وهو في أمريكا، وكتب تعليقاً عليه في حسابه في تويتر، تضمن أنه يظن أن السمع والطاعة نظرية وليست عقيدة، وهذا جهل منه بالعقيدة الصحيحة.

عقيدة ودين وليست نظرية ورأيا

مسائل الاعتقاد المبنية على الكتاب وصحيح السنة، لا مجال للرأي والاجتهاد فيها، لأنها ليست أفكارا ونظريات، فالأفكار والنظريات تتغير، وقد يضاف إليها، أو يحذف منها، وقد تلغى وتستبدل بغيرها، لكونها بشرية، بينما مسائل العقيدة الثابتة في الكتاب والسنة لا يمكن أن تُلغَى أو تُغيرَّ لأنها أحكام ربانية، ومن مسائل العقيدة الصحيحة (عقيدة السمع والطاعة بالمعروف لولي الأمر)، فكما أن الله تعالى قال في كتابه ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[١] وقال ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٢] فقد قال أيضا ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[٣] فالذي أمر بالصلاة والزكاة وغيرهما من التكاليف الشرعية، هو الذي أمر بطاعة ولي الأمر، وكما نطيعه في امتثال أمره بالصلاة والزكاة، فهكذا يجب أن نطيعه في امتثال أمره بطاعة ولاة الأمور وعدم منازعتهم، ولا فرق، ولا يصح من مسلم أن يؤمن ببعض ما أمر الله به ورسوله، ويكفر ببعض ما أمر الله به ورسوله.

هذه مسألة عقدية ثابتة بالشرع، وليست نظرية متغيرة، يدل على ذلك قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[٤]، وقول النبي عليه الصلاة والسلام (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك

(١) سورة البقرة: ٤٣.

(٢) سورة البقرة : ٤٣.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) سورة النساء: ٥٩.

وأثرة عليك)[1]، وما جاء في حديث سلمة بن يزيد الجعفي -رضي الله عنه- قال: قلت: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة؛ فجذبه الأشعث بن قيس، وقال: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»، وفي رواية لمسلم - أيضاً: فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)، وفي صحيح مسلم قال النبي عليه الصلاة والسلام (من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)، وفي صحيح البخاري يقول النبي عليه الصلاة والسلام (اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[2]، وأخرج ابن حبان في صحيحه أنه لما قدم أبوذرّ على عثمان من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين! افتح الباب حتى يدخل الناس، أتحسبني من قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، حتى يعود السهم على فوقه، وهم شر الخلق والخليقة، والذي نفسي بيده لو أمرتني أن أقعد لما قمت، ولو أمرتني أن أكون قائماً لقمت ما أمكنني رجلاي، ولو ربطتني على بعير لم أطلق نفسي حتى تكون أنت الذي تُطْلِقُني، ثم أستأذنه يأتي الربذة، فأذن له، فأتاها، فإذا عبد يؤمهم فقالوا: أبوذر فنكص العبد، فقيل له: تقدم، فقال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم: أن أسمع وأطيع، ولو لعبد

(١) صحيح مسلم، ٣/ ١٤٦٧، رقم الحديث:١٨٣٦.

(٢) صحيح البخاري، ١/ ١٤٠، رقم الحديث:٦٩٣.

حبشي مجدع الأطراف... الحديث[1]. وفي الحديث المتفق على صحته يقول النبي عليه الصلاة والسلام (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[2]، وفي البخاري يقول عليه الصلاة والسلام: (من كره من أميره شيئا فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية)، والنصوص الشرعية في بيان هذا المعتقد كثيرة، وظن بعض الناس أن ولي الأمر لا يطاع إلا إذا أمر بطاعة الله، غير صحيح، ولو كان الأمر كذلك لما كان لولاة الأمر مزية على غيرهم، لأن كل من أمر بطاعة الله كالصلاة ونحوها يطاع.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله (لقد ظن بعض الناس أن طاعة ولي الأمر إنما تجب فيما أمر الله به ورسوله فقط وهذا خطأ ظاهر، فإنه لو كان الأمر كذلك لم يكن للأمر بطاعة ولاة الأمور فائدة، لأن الطاعة فيما أمر الله به واجب، سواء أمر به ولاة الأمور أم لم يأمروا به، بل لو أمر أي واحد من الناس بما أمر الله به ورسوله، لكان أمره مطاعا لكن ولاة الأمور ينظرون إلى أشياء لا يفهمها كثير من العامة، ينظرون إلى العواقب الوخيمة التي تترتب على ما لم ينظموه، فإذا نظموا شيئا فلا يشترط في طاعتهم أن نعرف وجهة النظر، إنما علينا أن نسمع ونطيع وننفذ الأوامر ولا نخون ولي الأمر في شيء من ذلك).

والعجب أن بعض الناس يسمع ويطيع للقيادات الحزبية وهو منهيٌ عن ذلك شرعا، وينفر من السمع والطاعة لولاة الأمور وهو مأمور بذلك شرعا، وهذا من

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم، ٥٩٦٤.

(٢) صحيح البخاري، ٤/ ٤٩، رقم الحديث:٢٩٥٥.

الانتكاس، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور، والسمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف لا يعني عدم نصحهم لما قد يقع منهم من خطأ، فهم ليسوا معصومين، ويجب نصحهم وفق المنهج الشرعي، وليُعلَم أن نصح ولي الأمر يتضمن مسائل: الأولى: اعتقاد البيعة له، الثانية: السمع والطاعة له بالمعروف، الثالثة: القيام بما يكلفون به من أعمال بالصدق والأمانة، الرابعة: تنبيههم على ما قد يقع من مخالفات بلطف دون إعلام الناس،الخامسة: ألا يغروا بالثناء الكاذب، تزلُّفًا لهم وطمعًا في دنياهم، أو كذبًا عليهم وغشًّا لهم.

وبهذا يتبين أن النصح لولي الأمر لا يحصر في بيان الملحوظات أو الاقتراحات كما يتوهم الجهال، وإنما يقتضي كذلك اعتقاد البيعة له، والسمع والطاعة بالمعروف، وعدم الافتيات عليه، والمنازعة له، وإن رأى ما يكره، وما أعظم الفرق بين من يتخذ السمع والطاعة لولي الأمر بالمعروف دينا وعقيدة، وبين من يتخذها سلما لمطامعه، فإن أعطي ما يهوى رضي وأطاع، وإن لم يُعط سخط وناب

ما ذئبان جائعان

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[1] رواه الترمذي وصححه، فكما ترى - أخي القارئ الكريم - يُبينِّ النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث خطورة الحرص على المال والتعاظم على الخلق، على دين الإنسان واستقامته - ولا يدخل في الحديث من حصل على المال من حله، فقد جاء في الحديث: (نعم المال الصالح للرجل الصالح)[2] - ومعلومٌ أن الذئب إذا أُرسل في غنم فإنه يأكلها، وإذا لم يأكلها كلها فإنه يفرسها ويهلكها، فلا ينجو من الغنم شيء، فما بالك إذا كان الذئب جائعا؟ وما بالك إذا لم يكن ذئبا واحدا بل كانا ذئبين جائعين؟ لا ريب أن الهلاك والفساد يكون أكبر وأعظم.

وهكذا حرص الإنسان على المال والطمع فيه والاستشراف له، وجعله أكبر همه، لكونه يرى أن الحلال ما حلّ في يده مهما كان مصدره، هذا الحرص يفسد الدين أشد من إفساد الذئبين الجائعين للغنم، ومن كان هذا شأنه فإنه يبيع دينه بعرض من الدنيا، وربما يكون خائنا لوطنه من أجل لعاعة من الدنيا، أو تكون له مواقف متقلبة، حسب ما يقبض من مال، وهذا فسادٌ في الدين، ونقصٌ في العقل.

بينما المسلم التقي النقي: يستحيل أن يبيع دينه بعرَضٍ من الدنيا، حتى ولو

(١) أخرجه الترمذي وصححه، (٢٣٧٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٩٧/ ٤، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ٣٧٥٦.

أُعطـي ملء الأرض ذهبا، فالدين والنزاهة هما الرصيد الباقي، وأما المال والمنصب فإنهما فانيان، وصاحبهما فان كذلك، كما يسـتحيل أن يقول باطلا، أو يُسوِّغ منكرا، أو يستشرف للفتن، أو ينازع الأمر أهله، أو يصطف مع أعداء دينه ووطنه وقيادته، وإنما يلتزم بوصية النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري: (تلزم جماعة المسـلمين وإمامهم)، والأحداث تكشف عن معادن الناس، فيتبينَّ – كما يقول ابن حجر رحمه الله – النفيس من الخسيس، ومهما تكن عند امرئ من خليقة، وإن خالها تخفـى على الناس تُعْلمِ، والعبرة بالحقائق لا بالدعاوى، فمن كانت حقيقته الصدق والإخـلاص والنزاهـة، فإنه يُعَدُّ من أسـباب النـصر والـرزق، وإن كان ضعيفا، مدفوعا بالأبواب، بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه البخـاري: (هل تُنْصرُونَ وَتُرْزَقُـونَ إلا بضعفائكم)، وقوله في الحديث الذي رواه النسـائي وصححه الألباني: (إنما يَنْصرُ اللهُّ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتهِمْ وَصَلاتهِمْ وَإِخْلاصِهـم)، ومن كانت حقيقته المنابـذة والإثارة واتباع الهوى، فإنه لا خير فيه، مهما ادَّعى النصح والخير.

وقـد دلَّ الحديث كذلـك على خطورة حـرص المرء على التعاظـم على الناس بالشرف والمنصب والمكانة، وأن ذلك أشد فسادا لدينه من فساد الغنم التي أُطْلِقَت عليها الذئاب الجائعة، ولهذا كان المؤمن منهيا عن طلب الولاية لقوله عليه الصلاة والسـلام لمن طلب الولاية: (إنا لا نولي أمرنـا هذا من طلبه، ولا من حرص عليه)[1]، وقـد جرت العادة أن من حرص على الولايـات، بطريق مباشر، أو غير مباشر وهـو الأكثر، أنه لا يُوفَّق، لأنه يُوكَل إلى نفسـه، ومن وكله الله إلى نفسـه فقد وكله إلى ضَعْـف، وقد جـاء في ذلك صحيح البخاري– رضي الله عنه: (إنك إن سـألتها

(١) أخرجه البخاري ومسلم كما في الصحيحين.

وُكلت إليها).

وأما إذا لم يستشرف الإنسان إلى ذلك، وسأل الله العافية صادقا من قلبه، فأتته الولايـة والمنصب بغير تطلعٍ منه، فإن الله يعينه عـلى الأمانة ويصلح له البطانة، كما قال النبي صلى الله عليه وسـلم لعبدالرحمن بن سـمرة: (فإنك إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا)[1]. فتَطَّلُع الإنسان للرئاسة على الخلق والتعاظم عليهم، ورغبته أن ينقاد الخلق له، ويصرفوا وجوههم إليه، مفتخرا بنفسه، معجبا بها، هذا التعاظم يفسد دين المرء، أشد من إفساد الذئبين الجائعين للغنم.

والمأمول من كل مسـلم أن يتقي الله تعالى، ويكون صادقا في قوله وفعله، قال تعـالى ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[2]، وليكـن سـلفيا على الجـادة، محبا لدينه ووطنـه وقيادته، نزيها عفيفـا، غير مُتَعالٍ على الخلق، بل ميـسرا لهم أمورهم، والله في عـون العبد ما كان العبد في عون أخيـه، حَذِرا من الرياء والتلون وحب الظهور بالباطل، فإن حـب الظهور يقصم الظهور، متجنبا الأحـزاب والتيارات التي هي كالميازيـب، تجمع المـاء كدرا، وتُفرقه هـدَرا، فقد أغنانا الله عنها بالإسـلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث ٦٧٢٧

(٢) سورة محمد : ٢١.

المعاصي سبب زوال النعم وحلول النقم

أخبرنا الله ورسوله أن المعاصي والذنوب سببٌ لزوال النعم، وحلول النقم، ومن أصدق من الله قيلا! ومن أحسن من الله حديثا! يقول تعالى مقررا هذه الحقيقة: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾[1]، وقال تعالى (فلما آسفونا - أي بالذنوب والمعاصي والمخالفة- انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين، فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين)، هذا الانتقام لكل من بارز الله بالعصيان، ولهذا قال تعالى ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[3]، وكما أن الطاعات سبب للنعم، فإن المعاصي تزيل النعم، وتأتي بنقيضها من الخوف والجوع، قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾[4]، والله تعالى يملي لعباده لعلهم يتوبون ويرجعون، ولكن إذا تمادوا ونسوا ما ذُكِّروا به، سلط الله عليهم عقوبة مفاجئة، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

---

(١) سورة الطلاق: ٨، ٩.

(٢) سورة الزخرف: ٥٦.

(٣) سورة الشورى : ٣٠.

(٤) سورة النحل : ١١٢.

﴿ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[1]، ولا يصح أن تكون النعم والخيرات سببا للأمن من مكر الله، ومبارزته بالذنوب والعصيان، قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2]، وبأس الله شديد، وهو قادر على إيقاعه متى شاء كيف شاء، فنعوذ بالله من سخطه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، وقد مزق الله سبأ كل ممزق بسبب ظلمهم، بعد أن كانوا آمنين، في رغد من العيش، يقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[4]، لكن لما عصوا وأعرضوا وظلموا، جعلهم الله أحاديث ومزقهم، وسلط عليهم سيل العرم، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾[6].

فالمأمول من كل مسلم أن يتقي الله، ويحذر الذنوب والمعاصي، مهما زينها

---

(١) سورة الأنعام: ٤٤.

(٢) سورة الأعراف: ٩٩.

(٣) سورة الأنعام: ٦٥.

(٤) سورة سبأ: ١٥.

(٥) سورة سبأ: ١٩.

(٦) سورة سبأ: ١٦.

الشـيطان، فإن عاقبتها وخيمة، حتى أن العبد ليحرم الرزق في ماله وعمره وعلمه بسـبب الذنوب، دليل ذلك قولـه عليه الصلاة والسـلام: (إن العبد ليحرم الرزق بالذنـب يصيبه)، فـالله يأخذ بالذنوب، هذه سـنة الله في عباده، ولن تجد لسـنة الله تبديـلا، قـال تعـالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1]، وإذا كان مـا تقـدم مـن آيات كريمة هو كلام الله تعالى، فالواجب العمل بها، كل يعمل بذلك في نفسـه وأسرته، ولا يجـوز الالتفات إلى متبعي الشـهوات الذيـن يدعون إلى المعاصي ويحسـنونها، ويقللـون من خطرها، كما في كتاباتهم وتغريداتهـم ومقالاتهم، فإن هؤلاء لم ينفعوا أنفسـهم، ولن ينفعوا غيرهم، قال تعالى:﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[2] وقـال تعالى:﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[3]، ومن انفرط أمره خسر نفسه.

يقـول ابن القيم رحمـه الله: (مما ينبغـي أن يعلم، أن الذنـوب والمعاصي تضر، ولا بـد، وأن ضررهـا في القلب كضرر السـموم في الأبدان عـلى اختلاف درجاتها في الـضرر، وهـل في الدنيـا والآخـرة شر وداء إلا سـببه الذنـوب والمعاصي؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنـة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام

(١) سورة العنكبوت: ٤٠.

(٢) سورة النساء: ٢٧.

(٣) سورة الكهف : ٢٨.

والأحـزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السـماء وطرده ولعنه، ومسـخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشـنعها، وباطنه أقبح؟... وما الذي أغرق أهل الأرض حتى علا الماء فوق رأس الجبال؟ وما الذي سـلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمـرت ما مر عليه من ديارهـم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهـم وماتـوا عن آخرهم؟..ومـا الذي أغرق فرعون وقومـه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟ وما الذي بعث على بني إسرائيل قوما أولي بأس شديد فجاسـوا خلال الديـار، وقتلوا الرجال، وسـبوا الذرية والنسـاء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهـم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه، وتبرَّوا ما علوا تتبيرا؟.

كل ذلك العذاب سـببه الذنوب والمعـاصي، والله يقص علينا القصص لنتعظ ونعتبر، ومن رحمة الله بنا أن أرسـل إلينا رسـولا، وأنزل لنا كتابـا، وأعطانا عقولا واختيارا، فكلٌّ مسـؤول عن اختياره لنفسـه، وكل امرئ بما كسب رهين، والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، فمن بارز الله بالمعاصي سينتقم الله منه، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[1].

(١) سورة الروم: ٤٠.

طوبى للغرباء

الغرباء هم الذي يصلحون إذا فسد الناس، وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وهم أناس صالحون قليل، في أناس سوء كثير.

فلا يضرهم كثرة الباطل، ولا كثرة القائلين به، ولا يستوحشون من قلة الأعوان، فيكفيهم استحضارهم أنهم على جادة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، هذه الرفقة تغنيهم عن رفقة من سواهم.

والحق يعرف بالدليل، وليس بالكثرة ولا بالقلة، وما يتوهمه بعض الناس من أن الكثرة دليل على صحة المنهج، غير صحيح، بل الصحيح أن أكثر الناس لا يعقلون ولا يعلمون ولا يشكرون، وأن كثيرا منهم فاسقون، كما قال تعالى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال تعالى (وإن كثيراً من الناس لفاسقون)، وقال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[3]، وقال تعالى ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4]، وقال تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[5]، وقال تعالى ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[6]، وقال تعالى ﴿قُل لَّا

(١) سورة المائدة: ٤٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٣.

(٤) سورة المائدة: ١٠٣.

(٥) سورة الزخرف: ٧٨.

(٦) سورة الإسراء: ٨٩.

يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾[١]، وقال تعالى ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢] وقال تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[٣]، وقال تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[٤]، وقال تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾[٥].

فهذه الآيات وما جاء في معناها، تجعل الإنسان يتمسك بالحق - والحق هو ما أمر الله به ورسوله - ولا يتأثر بكثرة الناس أو قلتهم، صحيح أن الإنسان يفرح بكثرة الأعوان على الخير، لكن قلتهم لا تفت في عضده، ولا تجعله إمعة، يقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، وإنما يوطن نفسه ألا يقول ولا يفعل إلا الحق، ولا ييتئس من قلة الأعوان، فيكفيه أنه في رفقة السالكين للحق من الرعيل الأول، محمد عليه الصلاة والسلام وصحبه، وصبر المسلم على الحق مع قلة الأعوان يعظم له الأجر، كما في الحديث الذي رواه أبو داود (إن من ورائكم أيام، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثله، فقيل: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم)[٦]، وفي رواية (تجدون على الخير

(١) سورة المائدة: ١٠٠.

(٢) سورة الأنعام: ١١٦.

(٣) سورة سبأ: ١٣.

(٤) سورة هود: ١١٦.

(٥) سورة ص: ٢٤.

(٦) أخرجه أبو داود، ٤٣٤١، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٤٩٤.

أعواناً، ولا يجدون على الخير أعواناً)، ولهذا استحقوا هذا الأجر العظيم، والبشارة بالجنة، كما في قوله عليه الصلاة والسلام (طوبى للغرباء)[1]، وقد جاء في الحديث (طوبى: شجرة في الجنة يمشي الراكب المجد تحتها مئة عام لا يقطعها).

وقد أنعم الله على بلادنا السعودية أنها انفردت بنعم عظيمة تميزت بها عن غيرها، ومن ذلك أني لا أعلم دولة على وجه الأرض اليوم ينص دستورها على أن الكتاب والسنة هما الحاكمان على جميع أنظمة الدولة، إلا هذه البلاد السعودية، ولا أعلم دولة على وجه الأرض اليوم ينص دستورها على حماية العقيدة الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا هذه البلاد السعودية، ولا أعلم دولة على وجه الأرض اليوم يعلن ولاتها الاعتزاز بالعقيدة الصحيحة، ويتشرفون أن بلادهم أسست على التقوى من أول يوم، وأنهم سيستمرون على ذلك وإن كره الكارهون إلا البلاد السعودية، والخصائص الطيبة التي انفردت بها هذه الدولة السعودية كثيرة، ولا يعني هذا عدم وجود نقص أو خطأ، فالأخطاء موجودة، بل ووجدت حتى في القرون المفضلة، وفي زمن النبي عليه الصلاة والسلام، وجد من شرب الخمر، ومن زنى، ومن قتل، ومن سرق، ولكنها بحمد الله تعالج، وتقام الحدود، عبر المحاكم الشرعية، والأنظمة المرعية.

ويؤسفني ما أسمعه وأقرؤه من بعض من سفه نفسه، ورق دينه، من (بعض) الإعلاميين المنهزمين، ممن يضيق ذرعا بتلك الخصائص الطيبة، ويجعلها مآخذ وسلبيات، ومن يك ذا فمٍ مرٍ مريضٍ * يجد مراً به الماء الزلالا.

ولهذا تجد أحدهم كلما أراد التسويق لمنكر، أو طمس خير تميزت به بلادنا، قال:

---

(١) رواه مسلم، رقم الحديث ١٤٥.

كل الناس والدول تفعل كذا وكذا، هل كل الناس على خطأ ونحن على صواب؟

هـذه حجتهم البليـدة اليتيمة، وهي حجـة داحضة أبطلهـا الله في كتابه كما في الآيات التي أوردتها في أول المقال.

نعم الأمور الطيبة نأخذها، والحكمة ضالة المؤمن، ونستفيد من التطور العلمي والتقني عند غيرنا، ونترك ما سواها مما يتعارض مع ديننا، ولا ينفع وطننا.

والمأمول من كل مسلم في بلادنا: أن يعتز بدينه، ويفرح بما منّ الله على وطننا من خصائص عظيمة، من أبرزها كونها مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، ومأرز الإيمان، وفيها الحرمان الشريفان، تلك خصائص لا توجد في بلد قط غير البلاد السعودية، ويفـرح أيضا بما منّ الله على قيادتنا من نصرة التوحيد والسـنة، والتشرف بهما، منذ مئات السـنين ولايزالون، وهم مع هذا بحمد الله لا يسـتخفنهم الذين لا يوقنون، وما أحسن قول الملك عبدالعزيز رحمه الله الآتي (أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما، ولا أتوانى في القضاء على كل من يحاول النيل منهما ولو بشعرة، الأول: كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم صل وسلم وبارك عليه، إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن به.

والثاني: هذا الملك الذي جمع به شمل العرب بعد التفرقة، وأعزهم بعد الذلة، وكثرهم بعد القلة، فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه).

حرية التعبير لا تعني إساءة التعبير

بعض النـاس لا يكتفي بقول الباطل، وإنما يحـاول أن يدحض به الحق، وهذا المسـلك وإن تـم تمريره على بعـض الأتباع، إلا أنـه غير صحيح، والحـق لا بد أن يحصحـص، والظواهر الصوتية وعنترياتها العالية، وإن أطرب بها صاحبها جمهوره مؤقتا، إلا أن مآلها للزوال والاضمحلال، لأنها لم تبن على أساس صحيح.

ومن ذلك: أن بعض الناس - هداهم الله - يقع في التهييج والإثارة على بلده، فـإذا قيل له اتـق الله، واترك هذا المسـلك الوخيم، فإنه منهي عنـه شرعا، أجاب: بأن من حقنا إبداء الآراء، ومناقشـة القرارات، والنقد الذي يوجه المسـيرة، ويحقق المصلحة، أتريدوننا صما بكما؟

فانظر أيها القارئ الكريم لهذه المغالطات، والمجادلة بالباطل، ما علاقة مناقشة القرارات، والنقد البناء، بالتهييج والسب والاتهام والإثارة؟ ولكن هكذا يفعل من يتعمد خلط الأوراق، ولبس الحق بالباطل.

فنقول له: ها هو مجلس الشورى يناقش القرارات علنا وينشر ذلك في التلفاز، ويدعو الوزراء ويسائلهم، وها هي الصحف تنشر لكتاب الرأي آراءهم، ونقدهم البناء، ويتفاعل معها المسـؤولون في الوزارات، ويسـتفيدون منهـا، وهناك برامج حواريـة في التلفـاز واللقاءات لإبداء الآراء النافعـة، ولم يقل أحدٌ إن هذا ليس من حقهـم، أو إن عليهـم أن يصمتـوا، وإنما الذي يقال لمسـؤولي الـوزارات: عليكم أن تتفاعلـوا مـع الإعلام، وتجيبوا عن الاستفسـارات، لم يقولـوا كونوا صما بكما، فلمصلحة مَنْ هذه الأغاليط، وقلب الحقائق، وتمرير الباطل باسم الحق؟

ولماذا يُلبِّس مـن يثير الناس ويهيجهم على ولاتهم وبلادهم، ويزعم أن فعلهم

هو من باب إبداء الآراء، ومناقشة القرارات التي تهمهم؟ يدَّعون الإصلاح، وما هكذا يكون الإصلاح، وما هذا هو سبيل المصلحين، فعبدالله من سبأ ومن تبعه من الخوارج زعموا الإصلاح تحت غطاء المطالبة بالحقوق، وهيجوا الناس، حتى قتلوا أمير المؤمنين الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، والمفسدون اليوم يسلكون طريقة ابن سبأ، وإذا قيل لهم: ﴿لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾[1]، هكذا يسمون إفسادهم إصلاحا، والواقع أنه لا علاقة لهم بالإصلاح من قريب ولا بعيد.

فالمصلح: يزن كلامه، وينظر هل كلامه فيه خير فيقدم، أم لا فيحجم، عملا بحديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت).

المصلح: لا يندفع للدخول فيما لا يحسن، حتى وإن زعم أن ذلك يصنع له أمجادا وجمهورا.

المصلح: يدور مع الدليل حيث دار، ويسعى لتحقيق رضا الله، ولا يهمه بعد ذلك أرضي الخلق أم غضبوا، لعلمه أن رضا الله مأمور به، ومقدور عليه، ورضا الناس غير مأمور به، ولا مقدور عليه، ولذلك فهو ليس ممن إذا أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، ولا يستخفه الجمهور، ولا يسير خلف كل ما يطلبه المستمعون، وإن أردت مثالا، فهذا الصحابي الجليل أسامة بن زيد رضي الله عنه طلب منه الناس مطالب تجاه الخليفة، فلم ينقد لما أرادوا وإنما قال: (أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، مادون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون

(١) سورة البقرة: ١١.

أول من فتحه)[1]، فهو رضي الله عنه فعل ما يراه حقا، لا ما يطلبه الناس.

ومـن فعل ما يطلبه الناس من الإثارة نـدم ندما عظيما، ومن ذلك قول عبدالله بـن عكيم: لا أعـين على دم خليفة أبدا بعـد عثمان، فقيل له: يا أبـا معبد! أوَأعَنت عليه؟ قال: كنت أعد ذكر مساويه عونا على دمه).

والشـعبي كذلك ندم ندمـا عظيما في دخوله فيما يهواه النـاس من أمر الولاية، ولهذا لما قيل له: أين كنت يا عامر؟ قال: كنت حيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصـوَّتَ إنسـانٌ فكـدت أطـير.
أصابتنـا فتنـة لم نكـن فيهـا بـررة ... أتقيـاء، ولا فجـرة أقويـاء.

فالمتعين على المسلم أن يحفظ لسانه، فإن ثمة فتن، اللسان أشد وقعا فيها من السيف، والفتنة إذا وقعت - كما يقول ابن تيمية - عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة، وكف أهلها، وهذا شأن الفتن، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[2]، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله.

(١) رواه البخاري رقم ٣٢٧٦، ومسلم رقم ٢٩٨٩.

(٢) سورة الأنفال: ٢٥.

المزايدة جهل في الشرع ونقص في العقل

المُزايَدة: هي المُغَالاَة وإظهار الإنسان أنه أفضل من غيره، بل ولمز غيره ممن هو خيرٌ منه بأنه لم يقم بالواجب، هذه الصفة قاتلة، تدل على أن المتصف بها لديه جهل في الدين، ونقص في العقل، ولها آثار سلبية، على الفرد والمجتمع، وهذا وإن كان ملاحظا عند بعض المتحدثين من محبي الشهرة، وطيران السمعة في الآفاق، من طلاب الدنيا.

إلا أن وجود ذلك عند من يدَّعي بفعله ذلك: الدين، والتقرب إلى الله، أشد خطورة، لكونه جناية على الدين، ومؤدياً لاستباحة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وغالبا هذه الصفة تكون عند الجفاة من الخوارج ومن سلك سبيلهم.

وتأمل معي أخي القارئ الكريم هذا الحديث الشريف، أنقله بنصه كما ورد، فقد روى البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: (ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)[١]، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: (دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدينِ كما يمرق السهم من الرمية...) أرأيت أخي القارئ الكريم هذه المزايدة، يزايد على عدالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو يرى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤)

لم يعدل، فيقول بكل حمق وجفاء وإعجاب بالنفس: (اعدل)، وفي بعض الروايات: (والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله).

هذا هو نفس الخوارج وكِبرْهم وتيههم وجهلهم، وإن شئت مثالا آخر -وما أكثر الأمثلة- فتأمل مزايدة الخوارج واعتراضهم على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عندما قَبِل تحكيم بعض الصحابة رضي الله عنهم، وإنهاء القتال، فمع أنه رضي الله عنه من أعلم الناس بالكتاب والسنة، وأكثرهم غَيرة على دين الله، إلا أن أولئك الخوارج المزايدين أُعجبوا بعلمهم وتدينهم، متوهمين أنهم أعلم منه رضي الله عنه، فقالوا له: لماذا تُحكِّم الرجال في دين الله، أنت مخالف لقول الله تعالى:﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، وقد تولى ابن عباس رضي الله عنهما بيان جهلهم، عندما قال لهم: إن الله صيرَّ حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم؛ فقال: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2] أنشدكم بالله: أحكم الرجال في صلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل، أو في أرنب؟

وقال لهم أيضا إن الله حكَّم الرجال في صلح الزوجين فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[3] فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة.

والمقصود: أن المزايدين من أهل الغلو في الدين، معجبون بأنفسهم، يرون أنفسهم فقط هم الذين يحبون الدين، ويحمون حوزته، ويعملون بكتاب الله، ولهذا

(١) سورة يوسف: ٦٧.

(٢) سورة المائدة: ٩٥.

(٣) سورة النساء: ٣٥.

طبيعتهم في كل زمان ومكان: المنابذة والاعتراض والتجمهر والتهويل والتداعي والصخب والضجيج.

والراصد والمتابع: يرى أن لذي الخويصرة، ودعاة التحكيم، المنابذين لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، أن لهم في زماننا أتباعا، فها نحن نرى أشخاصا يقبعون بين ظهراني الكفار، ويقتاتون على ما يدفعه لهم أعداء الإسلام، يزايدون على غيرهم من الفضلاء، مدعين لأنفسهم أنهم دعاة عدالة وحرية ونزاهة وأمانة، مع أنهم بضد ذلك تماما، فأين الديانة والأمانة ممن يقتات على ما يدفعه له أعداء الإسلام، ليكون صوتا لهم في تدمير وطنه ومجتمعه؟ ولو لم يكون خائنا لبلده وأمنه واستقراره، ما أعطوه دولارا واحدا، وأين الحرية ممن هو عبد للهوى والشيطان وأعداء الإسلام الذين يسيرونه كما أرادوا، ولو لم يفعل لقطعوا عنه المؤونة والمأوى، وكيف يزايد ويدَّعي أنه يدافع عن المجتمع وحقوقه، وهو فاجر كذّاب؟ وعلامة كذبه وفجوره أنه يثير أعداء الإسلام على أمن مجتمعه واستقرارهم، وزوال حكم ولاتهم.

ومن المزايدة كذلك: ما رأيته من بعض الشباب في تعاملهم مع العلماء الراسخين، يأتي أحدهم وهو حديث عهد برضاعة، إلى عالم راسخ زاد عمره في العلم والدعوة على ثمانين عاما، فيواجهه بكل صفاقة: اتق الله يا شيخ لماذا تسكت، وهذا المنكر الذي يحدث هو في ذمتك، ألا تخشى الله، لماذا تداهنون في دين الله؟

هكذا يصرخ ويسيء الأدب، ويزايد على دين العالم وغَيرته، ثم ما يلبث إلا أن يكون مع الخوارج الغلاة، أو مع المنفلتين الشهوانيين، الذين لا همَّ لهم إلا مُناكفة الشريعة وأحكامها وحملتها، لكونه انتقل من أقصى اليمين، إلى أقصى الشمال، وتأمل ذلك تراه عيانا بيانا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

خالد الفيصل ناصر السنة وقامع البدعة

الأمير خالد الفيصل يسلك طريق الاعتدال والوسطية التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقامت عليها هذه الدولة السعودية في جميع أدوارها الثلاثة، جزاه الله خيرا

لم ألتق الأمير خالد الفيصل وفقه الله في حياتي، ولكن الله يعلم أني أحبه، لا لعرضٍ من الدنيا، وإنما لله، والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، وما كان لله يبقى، وما كان لغيره يفنى.

هذا الأمير الموفق يا من تُشغبون عليه: ينفي عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وليس هذا بمستغرب عليه، فالشيء من معدنه لا يستغرب، أليس أبوه هو فيصل العظيم، الذي ملأ الآفاق مجدا وعزا، أليس جده هو عبدالعزيز المؤسس العبقري الحكيم، الذي جمعنا بعد الفرقة، ووحَّدنا بعد الشتات، أليس جده الأول هو محمد بن سعود، الذي نشر التوحيد الخالص لله، وأزال الممارسات الشركية، والمخالفات البدعية، ولذلك فجهود سموه إنما تأتي في سياق جهود آبائه.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ** إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

لست بصدد سرد مواقف الأمير خالد الفيصل في نصرة السنة وأهلها، وقمع البدعة وأهلها، فهي كثيرة ومعلومة، وما لم يظهر منها فإن علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

يعجبني كثيرا في الأمير خالد الفيصل (الاعتدال)، فلا إفراط ولا تفريط، لا يسمح لأحد أن يختطف ساحة الإسلام لتوجهاتٍ حزبية، فلا حزبية في الإسلام، إذ الأحزاب كالميازيب تجمع الماء كدرا، وتفرقه هدرا، والإسلام أسمى من أن يُتخذ سُلما لمآرب حزبية، صحيح أن الحزبيين يغضبون على من تفطَّن لحركاتهم وأهدافهم، فيُكثرون عليه الصخب والضجيج، ويتخذون دعوى الغَيرة على الدين وسيلة لإثارة الرعاع الجهال على من خالف توجهاتهم الحزبية، بأنه ضد الدين، وضد القرآن، وضد الصالحين... الخ أسطوانتهم المشروخة، هذا هو دأبهم، وهذا ما درسوه في محاضنهم الحزبية في الأودية والشعاب ومنابت الشجر ونحوها، وهذا هو منهجهم في تربية الشباب المسكين الذين يسمونهم غوغاء، وفي هذا يقول أحد قادتهم: (نعم الغوغاء يُشْغَب بهم على ولاة السوء، ويُسد بهم السيل)، هذه مكانة الشباب عندهم يشغب بهم على ولاة الخير، الذين يصفونهم: بالسوء لكونهم لم يسمحوا لهم باختطاف الإسلام لمآربهم الحزبية، ويُسد بهم السيل، وكأنهم مجرد أخشاب لا قيمة لها، إلا محرد اتخاذهم أدوات، ولكن شغبهم بحمد الله في تباب، فلا يصح إلا الصحيح، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1].

وكما أن الأمير خالد الفيصل وفقه الله بذل جهدا كبيرا في حماية الدين من اختطاف الحزبيين، فهو كذلك بذل جهدا كبيرا في حماية الدين من عبث العلمانيين والليبراليين، الذين لا همّ لهم إلا مناكفة الشريعة الإسلامية، وتهوينها في النفوس، وذلك بسبب انهزاميتهم وانبهارهم بالغرب، الذين لو دخلوا جحر ضب لدخلوه

(١) سورة الرعد: ١٧.

معهم، فتفطَّن الأمير لدسائسهم وعدوانهم وجناياتهم على الشريعة، وإن زخرفوا القول، فالعبرة عند الأمير خالد بالحقائق وليس بالدعاوى، وفي هذا يقول سموه الكريم: (وشجعوا التغريب الفكري... إلى أن قال: ونقلناها بكل سذاجة، وسميناها تنويرية)، هكذا يقلبون الحقائق، وإلا فالنور الحقيقي إنما هو باتباع العقيدة الصحيحة، ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2].

وأما الغرب فنتعامل معهم بالعدل، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[3]، ونستفيد مما تميزوا به من تقنية وصناعات ونحوهما، ولكن مع المحافظة على ديننا وهويتنا، وعدم الذوبان مع الآخر.

فالأمير وفقه الله يسلك طريق الاعتدال والوسطية التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقامت عليها هذه الدولة السعودية في جميع أدوارها الثلاثة، جزاه الله خيرا، وضاعف مثوبته، وجعل ذلك في موازين حسناته يوم يلقى ربه.

وكثيرا ما يؤكد الأمير خالد على المحافظة على الهوية، والاعتزاز بالدين والوطن وولاة الأمر، ولغتنا العربية الخالدة، وقد وصلتني رسائل بـ«الواتساب» لا أحصيها من بعض المشايخ وأساتذة الجامعات وغيرهم من عامة الناس، يدعون الله بالتوفيق والجنة، للأمير خالد الفيصل، لتوجيهه بإزالة كل ما يُتبرَك به من أحجار وأشجار،

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة النور: ٤٠.

(٣) سورة الممتحنة: ٩.

حماية لجناب التوحيد، من الأوهام والخرافات، فقلت: إن ذلك غير مستغرب أبدا، ذلك أن آل سعود هم أنصار التوحيد والسنة، ولذلك لم يكن قول العلامة ابن باز رحمه الله: (العداء للدولة السعودية عداء للتوحيد) إلا عن بصيرة ومعرفة لما يقوم به ولاة الأمر في هذه الدولة السعودية المباركة.

حفظ الله خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهد الأمين الأمير محمد بن سلمان، وسمو الأمير خالد الفيصل، وأدام توفيقهم للخير.

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم- إلى حُنَين ونحـن حُدَثاء عهد بكفر، وللمشركين سِـدْرة يعكفون عندها وينوطون بها أسـلحتهم يقال لها: ذات أنواط. فمررنا بسـدرة فقلنا يا رسـول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم: «الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفـسي بيـده كما قالت بنو إسرائيل لموسـى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1] لتركبُن سَـنَنَ من كان قبلكم»[2] رواه الترمذي وصححه، وعن المعرور بن سـويد قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صـلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهبـاً، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يا أمير المؤمنين مسـجد صلى فيه رسـول الله صلى الله عليه وسلم هم يأتون يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هـذا، يتبعون آثار أنبيائهم وصالحيهم فيتخذونها كنائس وبيعاً -يعني أماكن للصلاة- من أدركته الصلاة في هذه المسـاجد فليصل فيها وإلا فلا يتعمدها. صححه ابن تيمية والألباني.

مما تقدم: يتضح أن التبرك بالأحجار والأشجار ونحوهما أعمال شركية، لعدم ورود الدليل الشرعي على بركتهما، فضلا عن جواز التمسح بهما ابتغاء البركة والشفاعة، بل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقطع شجرة يقال لها شجرة الرضوان، لما رأى بعض الناس يتقصدونها للصلاة خلفها، مع أنهم لم يتمسـحوا بها، وإنما يصلون

(١) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه برقم ٢١٨٠.

لله تحتهـا، ولم يعرف لعمر رضي الله عنه مخالف ولا منكـر على فعله من الصحابة رضي الله عنهـم، فعـدّ ذلك منهم إجماعـاً، ولم يتحذلق أحد - كبعض أهـل زماننا - ويقول، يلزم من إزالتها، إزالة جبل ثور، فهم أجل من إيراد مثل هذه القياسـات الفاسدة، التي هـي من تلبيس إبليس، لعلمهـم أنه لا قياس مع الفارق، وقـد كان النبي إبراهيم عليه السـلام يحطم تلك المشـاهد التي يدعونها من دون الله، كما قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[1]، وبعـض من لم يعـرف التوحيد، يظن أن الممنوع هو فقـط: اعتقاد أنها هي النافعـة الضارة وليـس الله، وأما من اتخذها فقط للشـفاعة فجائز، وهذا الظن فاسـد، فالمشركون يعتقدون أن الله هو النافع الضار، كما تدل على ذلك الآيات الكثيرة، ولكنهم اتخـذوا الأولياء ونحوهم ليقربوهم إلى الله زلفى، كما قـال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[2] فحكـم بكذبهـم وكفرهـم، وقـال تعـالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾[3] فوصف فعلهم شركا.

وأي عقـول هذه التي تتبرك بالأحجار والأشـجار وتعتقد فيهما النفع؟ ولو لم يعتقدوا فيها النفع ما تبركوا بها.

وأما التبرك المشروع: فهو ما ورد فيه دليل شرعي، سـواء أكان بركة ذات وما

---

(١) سورة الصافات: ٤٣.

(٢) سورة الزمر: ٣.

(٣) سورة فاطر: ١٤.

ينفصل عنها من شعر وعرق، وهذا خاص بالأنبياء والمرسلين لا يقاس عليهم غيرهم، حتى أكابر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهذا النوع انقطع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، ولا يوجد منه شيء اليوم على وجه اليقين، وكل من ادعى أن لديه شيئا، فإنه ليس لديه بينة على دعواه، أو كان بركة عمل واتباع، مثل القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ﴾[1]، فمن بركته أن من أخذ به حصل له النصر، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهكذا المسلم مبارك، وبركته تعني نفعه، كما أن النخلة نافعة، بثمرها وكل أجزائها ينتفع بها الناس، ففيها بركة، وفي هذا جاء في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (وإن من الشجر -يعني النخلة- لما بركته كبركة المسلم)، وليس معنى بركتها التمسح بها وطلب البركة أو الشفاعة منها، وهكذا ما جاء في قول أسيد رضي الله عنه: (ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر)، قاله لما انحبس الناس يبحثون عن عقد عائشة رضي الله عنها، واحتاجوا إلى الماء، فنزلت آية التيمم، ومعلوم أن أسيداً رضي الله عنه لم يتبرك هو ولا غيره بذات آل أبي بكر رضي الله عنه، وإنما المعنى أن الله جعل إنزال آية التيمم، عند حاجتهم للماء، لما انحبسوا يبحثون عن عقد عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها.

فإذا كان لا يتبرك بذات من جاء الحديث أن فيه بركة، ولا يُتبرَك بكل أرض وطئها رسول الله أو مكث فيها، ولم يقل بذلك أحد من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فكيف يُتبرَك بأحجار وأشجار لم يدل الدليل على أن فيها بركة، فضلا أن يُطلب التمسح بها وطلب الزلفى منها إلى الله.

(١) سورة ص: ٢٩.

ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله

أُوْرِدَ على الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله شبهات تتعلق بالتوحيد، ومن ذلك قول بعضهم نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، لكن نحن مذنبون، والصالحون لهم جاه عند الله، ونطلب من الله بهم.

وقد أجابهم الإمام محمد بن عبدالوهاب بما ملخصه: أن الله تعالى أرسل النبي عليه الصلاة والسلام إلى قومٍ مشركين يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله، ويعتقدون أنه هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لا شريك له، لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون نحن مذنبون ونريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، كما قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1] فنزَّه نفسه عن فعلهم، وسماه شركا، مع أنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويعتقدون أنهم لا ينفعون ولا يضرون، وإنما قصدهم التعلق بالشفاعة والجاه، وهذا هو فعلكم سواء بسواء.

وإذا أردت الدليل على أن المشركين يقرون بتفرد الله بالخلق والرزق والنفع والضر ونحو ذلك، فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ

(١) سورة يونس: ١٨.

ﵟاللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَﵞ[1]، وقوله: ﵟقُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَﵞ[2] والآيات في هذا المعنى كثيرة، ولو كانوا يعقلون لعلموا أن توحيد الربوبية، الذي يقرون به، يستلزم توحيد الألوهية، لكن عندهم وعند من سلك طريقهم في زماننا، نقص في توحيد الربوبية، كما ذكر ذلك الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

فإن قالوا: الصالحون لهم جاه عند الله، فالجواب: حتى لو كان لهم جاه عند الله كما تقولون، فإن جاههم لهم، وصلاحهم لهم، وأنتم ليس لكم إلا عملكم، ما علاقتكم بعمل فلان وصلاحه ﵟتِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَﵞ[3] وقد قال الله تعالى ﵟقُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُﵞ[4]، فإن قالوا: هذه الآيات الناهية عن طلب الشفاعة، نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن نطلب الشفاعة من الصالحين، فكيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟

فالجواب: أن معبودات المشركين متنوعة، ليست الأصنام وحدها، بل منهم من يدعو الأولياء كما قال تعالى: ﵟأُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

---

(١) سورة يونس: ٣١.

(٢) سورة المؤمنون: ٨٦، ٨٧.

(٣) سورة البقرة: ١٣٤.

(٤) سورة سبأ: ٢٢، ٢٣.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[1]، ومنهم من يدعو عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه، وقد نهى الله عن ذلك فقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، فإذا كانوا يقرون بالربوبية كما تقدم في الأدلة السابقة، ويتخذون مع هذا الوسائط من الصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى، وأنتم كذلك تقرون بالربوبية لله وحده لا شريك له، وتطلبون الشفاعة من الصالحين، فما الفرق بين ما يفعلونه، وما تفعلونه؟!

فإن قالوا: الكفار يريدون من الصالحين، ونحن لا نريد منهم، ونشهد أن الله هو النافع الضار، المدبر لا نريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، وإنما نقصدهم ونرجو شفاعتهم.

فالجواب أن هذا الذي تنسبونه لأنفسكم هو ما يفعله الكفار سواء بسواء، فإنهم كما تقدم مقرُّون بأن الله هو المدبر النافع الضار الرازق لا شريك له، كما في الآيات السابقة، وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[3] ولكنهم طلبوا الوسائط لتقربهم إلى الله زلفى بزعمهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) سورة المائدة: ٧٥، ٧٦.

(٣) سورة يونس: ٨١.

﴿زُلْفَىٰٓ﴾[1]، وقال تعـالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[2]، ففي هاتين الآيتـين بيـان أنه ليس لهم قصد إلا شيء واحد، وهو طلب الشـفاعة منهم إلى رب الجميع سبحانه وتعالى.

فـإن قالـوا: نحنرنـرو لا نعبـد إلا الله، وهـذا الالتجاء، وطلب الشـفاعة من الصالحين ليس عبادة، فالجواب: أن الدعاء والطلب عبادة، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[3].

فإن قالوا: أتنكرون شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام؟ فالجواب: لا ننكرها، بل هو عليه الصلاة والسـلام الشافع المشفع، ونرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله، كـما قال تعـالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[4] فتُطلب منه سـبحانه فيقال: اللهم لا تحرمني شـفاعته، اللهم شـفِّعني فيه، وأمثال ذلك، وهي لا تكـون إلا بعد إذنه ورضاه كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[5] والله لا يأذن إلا لأهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فكما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[6].

فإن قالوا: النبي عليه الصلاة والسلام أُعطِي الشفاعة، ونحن نطلبه مما أعطاه الله.

---

(١) سورة الزمر: ٣.

(٢) سورة يونس: ١٨.

(٣) سورة الجن ١٨.

(٤) سورة الزمر: ٤٤.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٦) سورة المدثر: ٤٨.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاكم عن هذا، فقال ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1]، ثم إن الشفاعة أُعطيها غير النبي عليه الصلاة والسلام، فصحَّ أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، أتقولون إن الله أعطاهم الشفاعة، فنطلبها منهم؟ فإن قلتم هذا: رجعتم إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه، وإن قلتم: لا، بطل قولكم أعطاه الله الشفاعة، ونحن نطلبه مما أعطاه الله.

---

(١) سورة الجن: ١٨.

القضية عادلة وبعض محاميها فاشل

الـذي أعتقده وأديـن الله به أن بلادنا المملكة العربية السـعودية أُسِّسَـت على التقوى من أول يوم، وأنه لا نظير لها على وجه الأرض اليوم من جهة تحقيق التوحيد والدعوة إليه، وأنه كما قال الشـيخ محمد بن إبراهيـم رحمه الله: (حكومتنا – بحمد الله – شرعية دستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسـلم)، وأنه كما قال الشـيخ ابن باز رحمه الله: (العداء لهذه الدولة السعودية عداء للحق، عداء للتوحيد)، وكما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (أشهد الله تعالى على ما أقول وأُشـهدكم أيضاً أَنني لا أَعلـم أَن في الأرض اليومَ من يطبق شريعة الله ما يطبقه هذا الوطن، أعني: المملكة العربية السعودية)، وكما قال الشيخ الألباني رحمه الله (عَلَم – السعودية– هو العلم الوحيد في الدنيا الذي يكتب عليه إشارة التوحيد.. هـذا العلم يُلَوِح بالإيمان الصحيح والتوحيـد الصحيح المقرون بالإيمان بأن محمداً رسـول الله)، وكما قال الشـيخ صالح الفوزان حفظه الله: (إننا – والحمد لله – نرى مـن حكومة هـذه البلاد قياماً بالواجب نحو الإسـلام وتحكيـماً لشريعته)، ويقول أيضا: (نحن – ولله الحمد – على ثقة من ولاة أمرنا، وعلى ثقة من المنهج الذي نسير عليـه، وليـس معنى هذا أننا قد كملنا وأن ليس عندنـا نقص ولا تقصير، بل عندنا نقص ولكن نحن في سـبيل إصلاحه وعلاجه – إن شـاء الله – بالطرق الشرعية)، ولسـت بصدد بيان ما منَّ الله به على هذه البلاد، وقادتها من نشر للإسلام، وخدمة لقضايا المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربها، وإغاثة للملهوفين والمحتاجين في العالم، وسد رمق الجائعين في بلاد الدنيا، مع أن أهل هذه البلاد كما يحدثنا الأجداد،

مـروا بمجاعات عظيمة، بعضهـم أكل الميتة، وبعضهم لم يجد ميتةً فمات جوعا، ولم يلتفـت لهم أحد من الدول، التي تطالـب المملكة الآن بكل شيء، ومع هذا فبلادنا تعطـي وتنفق رجاء ما عند الله، ليقينها أنه في كل كبد رطبة أجر، وأن ما يقومون به من خير، إنما هو من باب الديانة لا الدعاية، مع أن إبداء الصدقات إن كان لمقاصد خيرِّة فهو مطلوب، كما قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾[1].

وإذا كانت المملكة العربية السـعودية تُحسن، ويُساء لها، وتبذل الخير، ويقابَل ذلـك في الكيد لها، فإن المملكة بصنيعها الخير، كأنما تُسـف الناكرين للجميل الملّ، ولا يزال معها من الله ظهير عليهم.

والحسـدة لن ينالوا خيرا بمكرهم وبغيهم، وإنما بغيهم على أنفسهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وإذا كان مـن واجب حملة الأقلام، ورجـال الإعلام، أن يدافعوا عن المملكة، ويبينـوا الحقائـق، فـإن مهمتهم تلك يسـيرة، لأنهـم يتحدثون عن قضيـة عادلة، شواهدها تحيط بهم من كل جانب، فما عليهم إلا إبرازها بعلم وعدل، وبيان جناية الظالمين، وتناقضهم، وقد قـام بهذا الواجب طائفة من الإعلاميين والكتاب وأهل الفضل والعلم.

والعتـب عـلى (بعـض) الإعلاميـين، الذين يسـلكون مسـلك البراقشـيين، يتحدثـون عن المملكة، فيسـيئون، ويثيرون الناس على بلادنا، وهم يحسـبون أنهم يحسـنون صنعا، إذا سـمع الإنسـان حديث بعضهم، لا يملـك إلا أن يقول: (ليته سكت).

(١) سورة البقرة: ٢٧١.

الناس أيها الناس: بحاجة إلى سماع الكلمة الطيبة، والحجة الدامغة، والأدلة القاطعة، أما السب والشتم والاستعداء، ورفع الصوت، وتطيير الأعين، فهي حيلة العاجز، لا تنصر حقا، ولا تدمغ باطلا، وإنما تُكثر الأعداء والخصوم، وتتسبب في الجناية على عدالة القضية التي يتحدث عنها.

فإذا تحدثنا عن إيران - على سبيل المثال- فلنتحدث عن النظام الخميني، وولاية الفقيه، لا على جنس الفرس أو الطوائف المذهبية، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس)[1]، علينا أن نسل أهل البلد عن النظام الخميني الفاجر، كما تسل الشعرة من العجين، لا أن نجعلهم في سلة واحدة، لأن ذلك من الظلم، ومن صالح النظام الفاسد، وهكذا في شأن قطر، فالبلد والشعب لا خلاف لنا معهما، وإنما خلافنا مع نظام الذميمين وشبكته الإعلامية الظالمة، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وربما شعب دولة قطر الفضلاء هم كذلك متأذون من ذلك النظام المؤذي، فلا يصح وضعهم مع الذميمين وشبكتهم الإعلامية في سلة واحدة.

كم كنت أتمنى أن يستشعر الإنسان وهو يتحدث عن المملكة العربية السعودية أنه يتحدث عن بلد عظيم، له خصائص لا توجد في دولة من دول العالم، فكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتجهون إليه في صلاتهم - لوجود الكعبة فيه - لأن استقبالها شرط في صحة الصلاة، يفعلون ذلك خمس مرات في اليوم والليلة، سوى النوافل والتطوع، والمملكة تطبع المصحف الشريف وتوزعه على جميع المسلمين مجانا، وهي منبع الإسلام، ومأرز الإيمان، فبلدنا له مكانة عظيمة

---

(١) أخرجه مسلم، رقم الحديث ٤٦١٩، وبنحوه، رواه البخاري، برقم ٢٥٤٦.

في قلـوب المسـلمين، فلا يحسـن والحالة هذه أن يتحـدث عن المملكة في وسـائل الإعلام من لا يعرف مآلات الأمور، من المسـتعجلين والمتحمسـين، فالتحدي أن تكثـر الأصدقاء لبلـدك، لا أن تُكثر الأعداء، التحـدي: أن تظهر الصورة الحقيقية للمملكـة بيضـاء نقية، لا أن تدخل في أمور لا تحسـنها، فتثير عـلى بلدك شرا، فإنْ دخلت فيما لا تحسـن، فإنَّ جنايتك على بلدك عظيمة، لكونك صرت براقشـيا، كما يقول العرب، وصرت طير ابن برمان كما يقول العوام:

ياطير ابن برمان جبناك حنّا ياناقل الحية على رأس راعيه.

الحق بنا نواسِك فما جعلك الله بدار هوان

كل من قرأ وتدبر القرآن الكريم، ودرس سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام، وتأمل التاريخ وحوادث الزمان، وسيرة الإنسان، ازداد بصيرة واعتبارا ومعرفة بالمقدمات والنتائج والعواقب المترتبة عليها، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[2]، والعاقل يأخذ العبر، فإن سنن الله ثابتة، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من كان عبرة لغيره.

وحوادث التاريخ، وإن كانت في زمن غير زماننا، ولأشخاص غير أشخاص زماننا، إلا أن فيها عبرة لمن كان له قلب، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولا يلزم أن يكون المشبه كالمشبه به من كل وجه، فإنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك، وقدر فارق، فمن نفى القدر المشترك لم يستفد من التاريخ والأحداث، ومن نفى القدر الفارق فقد أنكر البدهيات، وجمع بين المختلفات.

ومن حوادث التاريخ ومجرياته أن أعداء المسلمين يراقبون المجتمع المسلم، فإذا رأوا أن أي فرد منه يشعر بالضيق من تعامل مجتمعه معه، مهما كان السبب، فإنهم يعرضون عليه اللحاق بهم، لا محبة فيه، وإنما ليكون أداة لهم، وثغرة في جدار

---

(١) سورة يوسف: ١٠٩.

(٢) سورة يوسف: ١١١.

المجتمع المسلم تدخل منه معاولهم.

ففي صحيح البخاري في قصة الثلاثة الذين خلفوا، صدر التوجيه الكريم من رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بمقاطعة ثلاثة من الصحابة، رضي الله عنهم، وعدم الكلام معهم، وهم (كعب وهلال ومرارة)، قال أحدهم وهو كعب بن مالك: فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، وكنا على الحال التي ذكرها الله: ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت علينا أنفسنا، هنا وفي هذا الظرف والتوقيت، حاول أعداء الإسلام والمسلمين استغلال الحدث لصالحهم، يقول كعب بن مالك:

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان، فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك! قال كعب: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضا من البلاء! فتيممت بها التنور فسجرتها بها.

هذا العرض من الملك النصراني، والذي وصل لكعب بن مالك عن طريق أحد أفراد الاستطلاع النصراني، لا يستغرب من أعداء الإسلام، وما زال ورثتهم يستخدمون نفس الأسلوب، ولكن ما أعظم موقف كعب بن مالك -رضي الله عنه- فهو مع كونه آنذاك رجلا مجفوا لا يكلم، مهجورا حتى من أقرب الناس إليه، إلا أنه مع ذلك رأى أن مجرد العرض عليه للانتقال لبلد الكفر ومجتمع الكفر، وترك بلد الإسلام ومجتمعه، بلاء ومصيبة، مهما وعد بالحرية والمواساة والرفاهية، ولهذا مباشرة ذهب إلى التنور فأحرق الخطاب، لم يقل: كيف أعامل بهذه المعاملة

مـن مجتمعي؟ وكيف يؤمر الناس بمقاطعتي؟ وعدم الكلام معي، مع أني شـهدت العقبـة، ولم أتخلـف عن جميـع غزوات النبـي -عليه الصلاة والسـلام- عدا تبوك وبـدر؟ لم يقل ذلـك، فضلا أن يصطف مع أصحاب العـروض القادمة من خارج الحدود، أو أن يبتز قومه بذلك.

وإنما صبر، وصابر، مدة طويلة، ولم يلتفت إلى غير مجتمعه المسـلم، مهما كانت الصعوبات التي مرت عليه في الداخل، ومهما كانت العروض المغرية التي عرضت عليـه من الخارج، فكانت نتيجة صبره، وولائـه الصادق، قول النبي، عليه الصلاة والسـلام لـه: (أبشر يا كعب بخير يوم مـر عليك منذ ولدتك أمـك)[1]، فقد تاب الله عليـه وعلى صاحبيه، وأنزل فيهم قرآنا يتلى، كما قال تعالى: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا... الآية).

فالمواقـف يعرف بهـا الرجـال، ويتميز بها النفيـس من الخسـيس، وقد قالت العرب قديما:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام

بل وحتى غير المسلمين من العجم وغيرهم لا يحترمون من اصطف معهم ضد وطنه، وإن أكرموه بالمال والمأوى، ومن أمثلة ذلك، أنه تقدم إلى «نابليون» في إحدى المعارك ضابط مناوئ لبلده، وأعطاه معلومات أعانته على كسـب المعركة التي كان يخوضهـا ضد بلد هذا الضابـط، ولما جاء يتقاضاه الثمن، رمى له بصرة من الذهب عـلى الأرض، فقال الضابـط: ولكني أريـد أن أحظى بمصافحة يـد الإمبراطور. فأجابه نابليون «هذا الذهب لأمثالك، أما يدي فلا تصافح رجلا يخون بلاده».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث ٤١٥٦.

والمتعـين على كل من لم تنقطع النسـبة بينـه وبين الحياء، أن يحـذر خيانة وطنه ومجتمعـه وقادته، وألا يكـون مع الخصوم ضد بلده، لا تصريحـا ولا تلميحا، مهما سولت له نفسه من أوهام وتعليلات يحاول أن يقنع بها نفسه، والتي هي من تلبيس إبليـس، فلا قيمة لأحد بدون وطنـه وقيادته، لا سـيما إذا كان الوطن هو: المملكة العربية السعودية، مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، ومأرز الإيمان، وقادته هم أنصار التوحيـد الخالـص لله رب العالمين، وإنما الواجب على الإنسـان أن يبذل عمره لعز وطنـه وقادته ومجتمعه، والدفاع عنهم، كما هو الأصـل والواقع في كل فرد في أبناء هذا الوطن العزيز، وأما الشاذ فنادر، و لا حكم له، وإن كنا ندعوا لمن شذَّ بالهداية، والعودة إلى لزوم جماعة المسـلمين وإمامهم، كما هي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الروم أحلم الناس عند فتنة

في صحيح مسلم عن المستورد القرشي أنه كان عند عمرو بن العاص فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو أبْصِرْ ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو بن العاص: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك[1].

هكذا قال الصحابي الجليل عمرو بن العاص - رضي الله عنه، وهو بهذا ليس في مجال الثناء عليهم، فهو يعلم شركهم وفساد عقيدتهم النصرانية، ومن ذلك ما ذكره الله عنهم بقوله ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[2]، وإنما أراد أن يُفَسرِّ سبب ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام من كثرتهم عند قيام الساعة، لاسيما وقد خَبرهم وعرفهم، بل وحاربهم وهزمهم، ولكن هذا لا يعني عدم الاعتراف بما عندهم من صفات إيجابية، فالحق يُقبل، حتى لو قاله الشيطان، كما في حديث: (صدقك وهو كذوب)، يُقبل الحق ويُشاد به لأنه حق، لا لأن فلانا قاله أو فعله، والباطل يُرَد مهما كان مصدره، ولا يُمَرر الباطل ويُسوَّغ لأن فلانا الفاضل قاله أو فعله، والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها، وأهل الكتاب كغيرهم ليسوا سواء، منهم من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٨٩٨.

(٢) سورة التوبة: ٣٠.

يـؤده إليـك إلا مادمت عليه قائما، ومن أبرز ما لاحظـه عمرو بن العاص في الروم مـا هو موضوع المقال، وهو قوله (إنهم لأحلم الناس عند فتنة)، والحلم لا يأتي إلا بخير، في كل وقت، لاسيما عند الفتن، التي تطيش فيها العقول، ويفقد فيها كثير من الناس الاتزان، فهؤلاء القوم الذين أشار إليهم الصحابي الجليل عمرو بن العاص، عنـد الفتن لا تذهب عقولهم، ولا تطيش أفهامهم، ولا يسـتعجلون بردات الفعل الكلاميـة أو الفعلية غير المحسـوبة، ومع هذا فهم أسرع النـاس إفاقة بعد مصيبة، وربما هذا من أسباب تقدمهم المادي، وسيادتهم على أعظم دول العالم المؤثرة.

ومن تأمل الكتاب والسـنة رأى فيهما أسـباب التقدم الدينـي والدنيوي، وما مـن صفة إيجابية في الروم أو غيرهم إلا وقد دل عليها ديننا، وأرشـد إليها، فالحلم والأنـاة والحكمة دل عليها الكتاب والسـنة، وهذا ما ينبغـي أن يكون عليه المؤمن في شـأنه كله، لاسيما في زمن الفتن، وفي صحيح البخاري ـ رحمه الله ـ كتاب خاص بالفتن يضم عدة أبواب، في كل باب مجموعة من الأحاديث، وهكذا في كتب السنة الأخرى.

ولا يليـق بمسـلمٍ مـنَّ الله عليه بمعرفـة الكتاب والسـنة، وما جـاء فيهما من التوجيه في أمر الفتن، أن يكون نصارى الروم ونحوهم أفهم منه في أمر الفتن، وإن تعجـب – أخي القارئ – فعجـبٌ طيش (بعض) المغرديـن والكتاب والمتحدثين ونحوهـم، الذين يسـيئون ويحسـبون أنهم يحسـنون صنعـا، فكثيرٌ من رسـائلهم وتغريداتهـم وحواراتهم الفضائية، تتضمن عبارات متشـنِّجة، وعنتريات متوهمة، وإثارات مهيِّجة، تضر الناس ولا تنفعهم، ثم هم مع ذلك يزعمون أنهم يصدعون بالحق، ولا يخشـون في الله لومة لائم، وهو زعم باطل، ومعاذ الله أن يكون التهييج

والإثارة حقاً.

ومن أراد الخير والحق، فعليه بالتؤدة والطمأنينة وفقه المآلات، لا سيما إذا كان يتحدث عن شأن عام، فلا يُقدِّم الرغبة في كسب الجمهور والأتباع، على محكمات الشريعة، واستقرار الوطن وأمنه، وفي زمن الفتن يكون الحلم هو الصواب، ومن كان ذا علم وحلم وفقه، فإنه إن تكلم تكلم عن علم، وإن سكت كان سكوته عن علمٍ وفِقهٍ للمصالح، لا يستعجل بإشاعة ما يُقال، بل يتبصر قبل الكلام، فينظر هل في الكلام مصلحة للبلاد والعباد في دينهم ودنياهم، فيُقدِم، أم لا، فيُحْجم؟ فما كل ما يُقال صحيح، وما كل ما ثبتت صحته حسن نشره، وما حسن نشره، قد لا يحسن نشره لكل أحد، ودليل ذلك ما ثبت في الصحيحين من قول معاذ رضي الله عنه (أفلا أبشر الناس يا رسول الله؟ فقال: لا تبشِّرهم فيتكلوا). قال أهل العلم: في الحديث من الفوائد: جواز كتم العلم عن بعض الناس للمصلحة، فما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة، فإذا كان هذا في العلم الشرعي الثابت، فما بالك بأمور سياسية متغيرة؟ وقد يكون الإنسان لم يحُط بها من كل الوجوه، وقد يكون علم شيئا منها، وغابت عنه أشياء، ثم هو مع هذا ربما لم يُفكِّر في مآلات ما يقول، لكنها العجلة والاندفاع غير المنضبط وما تهوى الأنفس.

وأما العقلاء فإنهم يضبطون أقوالهم وأفعالهم ويزنونها بميزان العدل الذي أمر الله به ورسوله عليه الصلاة والسلام، واضعين نصب أعينهم تحقيق المصالح العظمى لوطنهم المملكة العربية السعودية، فيكون كلامهم بعلم وحلم ورفق.

ماذا قال العقاد في رحلته البحرية مع الملك عبدالعزيز؟

في عـام ١٣٦٤ من هجرة النبي عليه الصلاة والسـلام، تم إيفاد محمود عباس العقاد لمرافقة الملك عبدالعزيز ضمن الوفد الرسمي في زيارته إلى مصر، فكان مما قاله ما يلي: (إذا عرفتَ الملك عبدالعزيز ثلاثة أيام، فكأنك قد عرفته ثلاث سنوات، أو لازمته في أطول الأوقات، لأن هذا الرجل العظيم مطبوع على الصراحة، ووضوح المزاج، لم تشـتمل نفسـه القوية على جانب من جوانب الغمـوض، فهو في أخلاقه وأعماله ومألوفاته يمضي على وتيرة واحدة، وأول ما يدهشك من منظره قوة النفس والعقل والحس على السواء، وهو الآن يناهز السابعة والستين، ويحتفظ بقوة عضلية لا تتوفر لكثيرين في سن العشرين أو الثلاثين.

ومواعيده في النوم واليقظة منتظمة في جميع المواسـم والأوقات، فيستيقظ قبل الفجـر، ويقضي نحو سـاعة في التهجد وقراءة القرآن، ويصلي الفجر، ثم يسـتقبل بعـض خاصته لإطلاعـه على مهام الأمور التـي تتطلب التعجيل، ثـم يغفي قليلا ويخرج للناس.

ومن عاداته بعد العشـاء أن يُصغي إلى فصول من كتب التفسـير والحديث، أو كتـب الأدب والتاريخ، ثم تُتـلى عليه أخبار الإذاعة التي يتلقاها الموظف المنوط بها مـن أهم المحطات العربية والشرقية، فيُعقب عليهـا أحيانا تعقيبا موجزا، يدل على بُعد النظر، وتتبع الأحوال السياسية في مشارق الأرض ومغاربها.

والملك عبدالعزيز محدث طلق الحديث، يرسل أحاديثه بغير كلفة، ويُعرب عن

رأيـه الصراح بغير مداراة. قص علينا كيف اسـترد الريـاض، وكيف ودعه والده، سأله أحدهم: ماذا كان رأي والدكم بعد فتح الرياض؟ فابتسم وقد بدا على وجهه التأثـر والحنان، وقال: رحمـة الله على والدي، لقد كان يعاملني: كأني أنا الوالد وهو الولـد، وعلى قـدر توقيره وحنانه لذكـرى والده، رأينا آيات العطـف والمحبة على ملامـح وجهه كلما نظر إلى أصحاب السـمو أبنائه النجباء، وهو يسـميهم «ربعه»، ويحب أن يراهم أمامه، وجلالته عظيم العناية باسـتطلاع رأي شعبه، ولكنه يتكلم عن المسائل الكبرى بسـليقة ديمقراطية، يستمدها من أصول الدين، ومن البصيرة النـيرة، ومن أقضيته المشـهورة، أن رجـلا من المغرب طرأ على أهـل مكة، وادعى أنه من سـلالة بيت الشـيبي الذين يتقلدون مفاتيح الكعبة، وأثار الثائرة، وأشـغل النـاس، فلما رُفع أمره إلى الملـك عبدالعزيز دعاه، وقال: أنت طالب دنيا، أم طالب ديـن؟ فقال: بل طالب دين، فقال: هذه الكعبة أمامك اذهب وتعبد الله، وإن قلت طالب دنيا، فليس لك أن تنازع بلا برهان.

وأقـول: رحـم الله الملك عبدالعزيز فـما أعظم نفعه على البـلاد والعباد، ولقد صدق شـيخنا صالح الفـوزان ـ حفظه الله ـ في وصفه بـ(المجـدد)، لقد رحمنا الله به نحن أبناء هذه البلاد السـعودية، وحّد البلاد بعد الشـتات، وجمع الله به العباد بعد الفرقـة، وجعلهم إخوة متحابـين، بعد أن كانوا أعـداء متباغضين، وجعل مفاتيح الـشر من قطاع الطرق ونحوهم، جعلهـم بتوفيق الله مفاتيح للخير، مغاليق للشر، ولهذا انبهر به الغرب والشرق، فقال الفرنسي جان يينيز: (لقد أخرج ابن سعود من الرمال أمة جديدة)، وذلك لأن الله وفقه إلى صفات لا تتوفر إلا في المجددين، أهمها وأبرزها وأُسـها: التمسـك بالدين، والاعتزاز به قولا وعملا، والاطراح بين يدي الله، وإظهار الفقر والحاجة إليه، وهذا اللجوء إلى الله معروف ومشـهور عن الملك

عبدالعزيز رحمه الله، وقد لاحظ العقاد ذلك، فقال: (يستيقظ قبل الفجر، ويقضي نحو ساعة في التهجد، وقراءة القرآن).

هذه عادة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ سواء كان مقيما، أو مسافرا أو متعبا أو محاربا، كان مستعينا بالله، فأعانه الله، كان ناصرا لدين الله فنصره الله ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]، وقد وفق الله الملك عبدالعزيز، أن كان ذا وعي سياسي بعيد المدى، وعقلية عبقرية نادرة، ومهارة فطرية عالية يصل من خلالها إلى ما يريد بكل سهولة، سمعت الأمير نايف رحمه الله يقول: (إن حسن البنا رئيس جماعة الإخوان، طلب من والدي الموافقة على فتح فرع للإخوان في السعودية، فأجابه: بعفويته وذكائه وفقهه لمآلات الأمور: (كلنا إخوان)، (إنما المؤمنون إخوة)، فسُقِط بيد حسن البنا، ولم يعرف ما يقول.

وإذا كان كثير من السياسيين يتميزون بالغموض وعدم الوضوح، فإن الملك عبدالعزيز، يخُالفهم في ذلك، فهو يتميز بالوضوح والصراحة، وهذا ما لفت نظر العقاد، ولهذا كرر هذه الملحوظة عدة مرات، إذ قال: (هذا الرجل مطبوع على الصراحة)، وقال: (يعبر عن رأيه الصراح بغير مداراة)، وقال: (لم تشتمل نفسه على جانب من جوانب الغموض)، ولا ريب أن صراحة الملك عبدالعزيز هي نتيجة لصدقه ونواياه الحسنة، وفي الحديث (الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)، فهو صادق في نفسه، ويحب الصدق والوضوح من غيره كذلك، قال لأبنائه في إحدى رسائله: (...كل ما سألتكم عنه أو ألزم عليكم فيه: تصدقوني فيه، بأي حال يكون).

(١) سورة محمد : ٧.

وقول العقاد إن الملك عبدالعزيز: يتكلم عن المسائل الكبرى بسليقة ديمقراطية، يستمدها من أصول الدين، ومن البصيرة النيرة، يدل على أن من استند على أصول الدين، وكان ذا فهم وبصيرة بالحوادث والمستجدات، فإنه سيعلم الحقيقة خالية من الشوائب، وفي هذا يقول الملك عبدالعزيز: (أنا ترعرعت في البادية، فلا أعرف تزويق الكلام، ولكني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق).

الدعاوى الذرائعية: دعوى الحقوق أنموذجا

الراصد والمتابع لخطابات ودعاوى كل من أراد أن يحق باطلا، أو يبطل حقا، منذ عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا، يرى أنهم يأتون بخطابات ودعاوى مزخرفة، لينفذوا من خلالها إلى تحقيق باطلهم، وربما يقولون كلاما حقا، لكنهم ينزلونه في غير مكانه، لتصغى إليه أفئدة الجهال، ومن ينخدع بالألفاظ والدعاوى دون تمحيص.

وإن شئت أمثلة على دعاوى وخطابات مدعي الحقوق التي يخالفون بها الحقوق، فمنها ما جاء في صحيح مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قضى بدية من مات في بطن أمه نتيجة الاعتداء عليها بحجر، فأراد أحد أدعياء الحقوق والعدل، أن يبطل هذا الحق، بخطابه المسجوع، فقال: (يا رسول الله كيف يُضمَن من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يُطل) أي: يهدر، ويلغى، ولا يضمن.

عندئذ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له: (إنما هذا من إخوان الكهان)[1]، من أجل سجعه الذي سجع)، وهو سجع متكلف أراد به إبطال الحق الذي حكم به الشرع.

ومنها: أن الخوارج يقولون في خطابهم من قول خير البرية، لكنهم ينزلونه في غير محله، بل يريدون به تقرير الباطل، وخديعة من تبهره الألفاظ والدعاوى، دون فهم دقيق لمعانيها ومقاصدها، ولهذا لما اعترضوا على أمير المؤمنين علي -رضي

(١) صحيح مسلم، حديث رقم (١٦٨١).

الله عنه- وشـاغبوا عليه، قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وصف ناسـا، إني لأعـرف صفتهم في هؤلاء، «يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا، منهم، - وأشار إلى حلقه -»[1].

فأهل الأهواء يجمعهم أنهم يتبعون زخارف القول ليمرروا من خلاله باطلهم، ولتصغى إليه أفئـدة من تبهرهم الدعايات وزخـارف الأقوال، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[2].

فالمسـتجيبون لشـياطين الإنس والجن ينخدعون بالألفاظ البراقة، وأما أهل العقول السليمة فإنهم ينظرون إلى المعاني والحقائق وما تؤول إليه، فإن كانت باطلة فاسـدة ردوها على من قالها، كائنا من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة ما هو أرق من الحرير.

وهكذا المشـاغبون في زمن أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- الذين يدّعون أنهم دعاة الحقوق والإصلاح، رفعوا شعار المطالبة بحفظ المال، والعدالة في توزيع المناصـب والولايـات، وإنكار المنكـر، فانخدع بهم من انخدع، حتـى توصلوا إلى غايتهـم وهو الوصول إلى السـلطة، وقتـل أمير المؤمنين، ونهب المـال، الذي كانوا يتباكـون عـلى حفظه، وقالوا (حَـلّ لنا دم عثمان، أفـلا يحل لنا المـال) فنهبوا المال، وسعوا في الأرض فسادا.

(١) صحيح مسلم، حديث رقم (١٠٦٦).

(٢) سورة الأنعام: ١١٢، ١١٣.

ولهذا فأحداث التاريخ تعود، وها نحن نرى كثيرا ممن يسمون أنفسهم دعاة الحقوق، أو الناشطين الحقوقيين، أو المعارضين، أو غيرها من الأسماء، نراهم يسلكون مسلك سلفهم الفاسد، ربما أن الفرق بينهم أن الأوائل من سلفهم يجيدون سبك الألفاظ، ليخدعوا غيرهم بها، أما خَلَفهم من أهل زماننا، فإنهم مكشوفون، لا يحسنون الخطاب، وهم مع ذلك متناقضون، يتحدثون عن خطورة التعاون مع الكفار وموالاتهم، وهم مرتمون بين أيديهم وفي بلادهم، جعلوا أنفسهم أدوات لهم، ويتخذونهم أولياء لهم، ويتحدثون عن الحقوق، وهم مضيعون للحقوق التي أمر الله بها عباده، فالله جعل لولاة الأمور حقوقا شرعية، فنبذوها وراء ظهورهم، يتحدثون عن حقوق الضعفاء والمساكين، وهم يستَعْدون عليهم الشرق والغرب، يتمنون الثورات التي تسفك بها الدماء، وتنتهك بسببها الأعراض، ويُطحَن فيها الضعفاء والمساكين، يتحدثون عن العدل والحرية، وهم واقعون في الظلم، والعبودية لأهوائهم، يقعون في التكفير لمخالفيهم، وهم لا يعرفون شروط التكفير ولا موانعه، يتحدثون عن قضايا الإسلام والمسلمين، وهم بلاء المسلمين، وأدوات أعدائهم، ولذلك لا قبول لهم في المجتمع وإنْ طال بهم المقام، ما دام أنهم مناوئون، ولا قيمة لكلامهم، لأنه ظاهر البطلان لكل عاقل، وإني أسأل الله خالصا من قلبي أن يهديهم، ويعودوا إلى رشدهم، وإلى بلادهم ومجتمعهم، فـ"التائب من الذنب كمن لا ذنب له[1]."، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، والدنيا زائلة، والآخرة باقية، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[2].

---

(١) سنن ابن ماجه: حديث رقم (٤٢٥٠).

(٢) سورة طه: ٨٢.

وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

قـال الله تعـالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[1].

في هــذه الآيــة الكريمة - كما يقول ابــن القيم - عدَّة حكــم وأسرار ومصالح للعبد:

ذلـك أن العبـد إذا علـم أن المكروه قـد يأتي بالمحبـوب، والمحبـوب قد يأتي بالمكـروه، لم يأمـن أن تُوافيه المضرّة من جانب المـسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه عبده.

ومِـن أسرار هذه الآية: أنها تقتـضي من العبد التفويـض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له، لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنهـا: أنـه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسـأله مـا ليس له به علم، فلعل مضرّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربّه شـيئا، بل يسـأله حسـن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنهـا: أنه إذا فوّض إلى ربــه، ورضي بما يختاره له، أمده فيـما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصّبر، وصرف عنه الآفات التي هي عُرضَةُ اختيار العبد لنفسـه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

ومنهـا: أنـه يريحه من الأفـكار المتعبة في أنـواع الاختيارات، ويفـرغ قلبه من

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

التقديـرات والتدبـيرات التي يصعد منها في عقبة وينـزل في أخرى، ومع هذا: فلا خـروج له عما قُـدِّر عليه، فلو رَضيَ باختيار الله؛ أصابه القدر وهو محمود مشـكور ملطـوف به فيـه، وإلا: جرى عليه القدر وهو مذموم غـير ملطوف به فيه، لأنّه مع اختياره لنفسه.

ومتـى صح تفويضه ورضـاه، اكتنفه في المقـدور العطف عليـه، واللطف به، فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدره.

والإنسان – كما وصفه خالقه – ظلوم جهول، فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يضره وما ينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه، بل المعيار على ذلك ما اختاره الله له بأمره ونهيه، فأنفع الأشياء له على الإطلاق طاعة ربه بظاهره وباطنه، وأضر الأشياء عليه على الإطلاق معصيته بظاهـره وباطنه، فإذا قام بطاعته وعبوديته مخلصا له فكل ما يجـري عليه مما يكرهه يكون خيرا له، وإذا تخلّ عن طاعته وعبوديته فكل ما هو فيه من محبوب هو شر له.

فمن صحت له معرفة ربه والفقه في أسـمائه وصفاته، عَلِم يقينا أن المكروهات التـي تصيبه والمحن لتي تنزل به فيهـا ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمـه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظـم منها فيما يحب، فعامة مصالح النفوس في مكروهاتها، كما أن عامة مضارها وأسباب هلكتها في محبوباتها.

وقضاء الرب سبحانه في عبده دائر بين العدل والمصلحة والحكمة والرحمة، لا يخرج عن ذلك البتة، كما قال في الدعاء المشهور: "اللهم! إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسـألك بكل اسـم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت

بـه في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي. ما قالها أحد قط إلاّ أذهبَ الله همّه وغمه، وأبدله مكانه فرجا". قالوا: أفلا نتعلّمهن يا رسول الله؟ قال: «بلى! ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن"[1].

والمقصود قوله: «عدل في قضاؤك»، وهذا يتناول كل قضاء يقضيه على عبده، مـن عقوبة، أو ألم، وسـبب ذلك، فهو الذي قضى بالسـبب وقضى بالمسـبب، وهو عـدل في هـذا القضاء، وهذا القضـاء خير للمؤمن؛ كما قال صلى الله عليه وسـلم: "عجبت للمؤمن، إن الله لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له "[2].

قال العلامة ابن القيِّم: فسـألت شـيخنا [يعني شيخ الإسلام ابن تيمية]: هل يدخُلُ في ذلك قضاءُ الذنب؟ فقال: نعم بشرطه.

فأجمـل في لفظه (بشرطه) ما يترتب على الذنب من الآثار المحبوبة لله من التوبة والانكسار والندم والخضوع والذل والبكاء، وغير ذلك.

وتفويـض الأمـور إلى الله تعالى، لا يعني الاحتجاج بالقـدر على فعل الذنوب والمعـاصي، بدليـل قـول الله تعـالى: (سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾)[3]، فهـؤلاء المشركون احتجـوا بالقدر على شركهم، ولـو كان احتجاجهم مقبولا صحيحا ما أذاقهم الله بأسه.

(١) صحيح ابن حبان، حديث رقم (٩٧٢).

(٢) مسند أحمد، حديث رقم (١٢٩٠٦).

(٣) سورة الأنعام: ١٤٨.

فمن احتـج بالقدر على الذنوب والمعايب فيلزمـه أن يصحح مذهب الكفار، وينسب إلى الله الظلم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمـه الله ـ: (وليس لأحد أن يحتـج بالقدر على الذنب باتفاق المسـلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكـن كل أحـد أن يفعـل ما يخطر له مـن قتل النفـوس وأخذ الأموال، وسـائر أنواع الفسـاد في الأرض، ويحتج بالقـدر. ونفس المحتج بالقـدر إذا اعتدي عليه، واحتـج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فسـاده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بدائه العقول.

وإنما المطلوب أن يفعل الإنسان ما أمره الله به ورسوله، فإذا قدَّر الله عليه أقدارا مؤلمة، ومصائب موجعة، فإنه يصبر، ويحمد الله على كل حال، لعلمه أن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه، ولعلمه أن الله لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له.

رضاع الكبير غير مؤثر لأن الإسلام أبطل التبني

بـين الآونة والأخـرى يتحدث بعض الناس عن مسـألة تأثـير رضاع الكبير، ومعلـوم أن جماهير أهـل العلم يرون عدم تأثـير رضاع الكبير، لكـون الرضاع له وقـت، كما في قوله تعـالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[1]، والكبير تجاوز الوقت المحدد للرضاع، ولحديث «لاَ يُحَرِّمُ مِنْ الرَّضَاعَةِ إِلاَّ مَا فَتَقَ الأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ، وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ»[2].

وبعض العلماء يرى تأثير رضاع الكبير مسـتدلا بحديث سـالم مولى أبي حذيفة الوارد في صحيح مسلم، وفيه قول زوجة حذيفة للنبي -عليه الصلاة والسلام- إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال، وإنه يدخل علينا، فقال لها: (أرضعيه تحرمي عليه...)[3].

وعند التأمل، فإن رضاع الكبير لا يعتد به، ولا تأثير له، ولا يصح الاستدلال بحديث سالم مولى أبي حذيفة ولا القياس عليه، لأنه لا وجود لمتبنًّى في عصرنا مثل حال سالم، لكون الشرع أبطل التبني، وبالتالي فإيراد مسألة تأثير رضاع الكبير غير وارد.

يقول شـيخنا ابن عثيمـين -رحمه الله- في تفسـير قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾[4]. مـا نصه: ظاهر قوله: (أرضعنكم) يعني في وقت الرضاع، أما

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٢) سنن الترمذي، حديث رقم (١١٥٢).

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم (٣٥٩١).

(٤) سورة النساء: ٢٣.

قصة سالم مولى أبي حذيفة، فالجواب عنها، بأحد ثلاثة أوجه، فإما أنها منسوخة، أو خاصة به عينا، أو خاصة به نوعا.

أما القول بأنها منسوخة، فهذا ليس بشيء، لأن الأصل عدم النسخ، ولا بد من إثبات التاريخ، وتعذر الجمع.

وأما القول بأنها خاصة به عينا، فضعيف أيضا، لأن الله -عز وجل- لا يمكن أن يخص أحدا بحكم إلا لمعنى فيه، حتى النبي -عليه الصلاة والسلام- ما خص به من الأحكام إلا لأنه نبي، لا لأنه محمد بن عبدالله، فلا بد من علة يتغير بها الحكم، ويخصص به من اتصف بها، فما هو المعنى الذي يخص به سالم حتى نقول: إن الحكم لا يتعداه، وإنه خاص به؟ لأننا إذا قلنا: إن الحكم لا يتعداه، وإنه خاص به، صار معناه: أنه حكم له بذلك، لأنه سالم مولى أبي حذيفة، وهذا لا معنى له، وعلى هذا فيضعف هذا القول أيضا. بقي الوجه الثالث: وهو أنه خاص به نوعا، فإذا وجد حال مثل حال سالم ثبت الحكم، وهذا لا يمكن أن يكون الآن، لأن ابن التبني قد بطل شرعا، وعلى هذا فلا يرد علينا أبدا، ما دمنا قررنا أنه لا أحد يخصص عينا بحكم من شريعة الله، ولا بد أن يكون هناك معنى يتعدى إلى نوعه، وهذا لا يمكن.

لكن شيخ الإسلام -رحمه الله- له في هذه المسألة قولان:

القول الأول: يوافق ما قلت: من أنه لا بد من مراعاة التبني.

والقول الثاني: يعتبر الحاجة، وأنه متى ما احتيج إلى إرضاع الكبير، رضع، ويثبت حكم الرضاع، ولكن قوله هذا ضعيف، كقول الذين يرون رضاع الكبير، وقد قلنا: إن هذا القول ضعيف، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إياكم والدخول على النساء! فقالوا: يا رسول الله: أرأيت الحمو؟ -والحمو أخو الزوج

أو عمه أو خاله وما أشبه ذلك- قال :الحمو الموت»[1].

ومعلوم أن الحمو يحتاج إلى الدخول إلى بيت أخيه، لا سيما إذا كانوا في بيت واحد، فلو كان إرضاع الكبير مؤثرا لقال: الحمو: ترضعه زوجة قريبه، ليزول الحرج، فلما لم يقل ذلك، علم أن مطلق الحاجة لا يؤثر في ثبوت حكم الرضاع في الكبير، وأنه لا بد أن تكون حاجة خاصة نمشي فيها على كل ما حصل في قضية سالم مولى أبي حذيفة.

وإذا اعتبرنا ذلك صارت هذه الحالة الآن غير موجودة، وبهذا تسلم الأدلة من التعارض، ويحصل الجمع بينها.

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٥٢٣٢).

هوية بلادنا شرف وليست وهما

شرع لنا ربنا أن نتحدث بنعمة الله، فقال تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾[1]، ونهانا أن نبدل نعمة الله جحودا ونكرانا فقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾[2]، ومن نعمة الله التي نتحدث بها أن بلادنا هي مهبط الوحي، ومنبع الإسلام ومأرز الإيمان، وولاة أمرنا هم أنصار الإسلام، وحماة العقيدة، منذ قرون ولا يزالون بحمد الله، ودستور بلادنا هو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا أعلم على وجه الأرض اليوم، دولة ينص دستورها على: أن الكتاب والسنة هما الحاكمان على جميع أنظمة الدولة، إلا دولتنا: المملكة العربية السعودية، فهو بحمد الله منصوصٌ عليه، ومطبقٌ عملياً، ولا يوجد دولة على وجه الأرض اليوم ينص دستورها على أن الدولة تحمي عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة، إلا دولتنا المملكة العربية السعودية، هذا هو دستورنا وهويتنا التي شرفنا الله بها، ومع الأسف توجد الآن بعض المقالات تهوِّن من هذه النعمة، فبعضها يتنقص دستورنا، وكنت كتبت مقالا جوابا عليه هنا بعنوان (إلا دستور المملكة العربية السعودية)، وبعضها يقرر أن العقيدة الإسلامية التي يسمونها (الأيديولوجية الشرعية التي تستند عليها الدولة) سببٌ لسقوط الدولة السعودية الأولى، وكنت أيضا أجبت عنه بمقال في هذه الصحيفة بعنوان (لا تقولوا على

(١) سورة الضحى: ١١.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم (٥٢٣٢).

بلادنا غير الحق)، واليوم نقرأ مقالات تُقرر أنه لا تَقدُم ولا حضارة إلا باتباع النهج الليبرالي، ويقولون بسخرية: ما يُسمّى الهوية السعودية، التي يُسبغ عليها البعض مسحة تقديسية وهمية، ويضيفون: لسنا عبيدا لتلك الهوية.

ثم من التلبيس، أنهم يستشهدون لباطلهم بوقائع لا علاقة لها بما يتحدثون عنه، كقولهم: إن تعليم المرأة كان مرفوضا، بينما هم يعلمون أن هويتنا الإسلامية قامت عليها بلادنا، وأن علماءنا الراسخين هم المشجعون لتعليم البنات، كما تنص عليه الوثائق، ففي الأمر الملكي الذي أصدره الملك سعود جاء فيه: (الحمد لله وحده، وبعد: فلقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات)، لاحظ أن الأمر الملكي أشار إلى رغبة علماء الدين، وأهل الأهواء يكتمون ذلك، وكأن الشريعة وحملتها ضد تعليم البنات، وأن التقدم لا يحصل إلا بالمنهج الليبرالي، وهم يعلمون كذلك أن بعض الأفراد من العوام هم الذين اعترضوا على تعليم البنات، وأن ذلك لا يصح أن يُنسَب لحملة الشريعة، لكن الهوى يُعمي ويُصم.

إن أي تقصير في التقدم والحضارة ليس ناشئا عن ديننا وهويتنا، فالدين يأمر بالعلم والتقدم والقوة، والعلماء يحثون على ذلك، فقول المنبهرين بالغرب والليبرلية (الليبرالية الغربية هي الحل) هو اتباع لسنن القوم، لدخول جحر الضب خلفهم، وإلا فالإسلام فيه دلالة على التنمية والتقدم والقوة والعزة، كما في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[1]،والشريعة تأمرنا أن نستفيد من الآخرين مما لا يتعارض مع ديننا، لكنهم لانبهارهم باللبرلة يرون أن الأمة لن تنمو إلا باتباع النهج الليبرالي، وكأن النهج الإسلامي حجر عثرة أمام الحضارة والتنمية.

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٥٢٣٢).

يكسبون إثما ثم يرمون به بريئا

من المعلوم أن ملالي نظام إيران - كما تنص عليه كتبهم - يُكفِّرون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي مقدمتهم أبو بكرٍ وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويُكفِّرون كل مسلم لا يعتقد عقيدتهم في دعوى إمامة الاثني عشر وعصمتهم، لكونه - في نظرهم - بمنزلة من لم يؤمن بالأنبياء، وهذا تكفير صريح منهم لكل المسلمين، كما ذكر ذلك الخميني في كتاب الأربعين حديثاً ص ٥١٢- ٥١٣، وكما ذكر ذلك شيخهم الكاشاني في كتاب منهاج النجاة ص ٤٨، حيث قال «ومن جحد إمامة أحدهم - أي الأئمة الاثني عشر - فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام»، بل إن ملالي نظام إيران يعتقدون أن إلههم يختلف عن إله المسلمين، يقول شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية: ٢/ ٢٧٩ "لم نجتمع معهم - أي: مع المسلمين- على إلهٍ ولا نبيٍ ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا)، ويعتقدون كذلك جواز قتل المسلمين، يقول نعمة الله الجزائري كما في كتابه: الأنوار النعمانية ٢/ ٣٠٧ «يجوز قتلهم - أي المسلمين - واستباحة أموالهم»، تلك بعض عقائد نظام ملالي إيران، وهي كما ترى تنضح بالتكفير والعنف والشرك.

وهنا نتساءل: كيف لنظام فاسد يُكفِّر الصحابة، وجميع أهل الإسلام، أن يتهم غيره بالتكفير، كيف لفاسد العقيدة أن يتهم من ليس كذلك؟، ومن ذلك إقامتهم

برامج في قنوات فضائية عربية، تهدف إلى الإساءة إلى المملكة العربية السعودية في جميع أدوارها الثلاثة، وتهدف إلى اتهام دعوة التوحيد التي جدد الدعوة إليها الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب رحمهما الله، بالتكفير، حتى أني رأيتهم يقرؤون رسالة اختلقوها، ونسبوها للإمام محمد بن عبدالوهاب كذبا وزورا، وقد كان ضيوفهم في تلك القنوات بعض الأُجراء يتحدثون بما يُطلَب منهم، وكلما ازداد أحدهم كذبا وفجورا، كانوا أشد احتفاء به.

وكل عاقل يسمع ما تضمنه البرنامج، يعلم أنه افتراء، وأن هذا النظام الإيراني يكسب إثما وهو: تكفير الصحابة وأهل الإسلام، ثم يرمي به بريئا وهو اتهام المملكة العربية السعودية بالتكفير ظلما وعدواناً، وهذا ما يجعل كل جهود نظام إيران الشريرة كرمادٍ اشتدت به الريح، لأن ما بُني على افتراء وكذب ماله من قرار، وإنما هو زبدٌ يذهب جُفاء، والعقلاء يعرفون الحقيقة، وربما حتى أُجراء نظام إيران، يعرفون ولوغ نظام إيران في تكفير الصحابة وتكفير جميع أهل الإسلام، ويعرفون عدوانه وتصديره الشر والفتن في بلاد العرب والمسلمين، ويعرفون في المقابل فضائل الدولة السعودية في خدمة الإسلام والمسلمين، بل وإحسانها لكل الناس المكروبين حتى ولو كانوا غير مسلمين، وما قصص علاج المرضى السياميين وغيرهم عنّا ببعيد، يعرفون ذلك، ولكنهم يجحدون ذلك، إما لسوء المعتقد وسفاهة العقل، وإما لأجل لعاعة من الدنيا، وفي الحديث (تعس عبد الدينار والدرهم)[1].

ومع أن الحق واضح، إلا أنه لا بد من نشره، ليدمغ الباطل، تحقيقا لقوله تعالى

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٢٨٨٦).

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1]، وهناك من يسمع لأهل الباطل كما قال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾[2]، فلا بد من توعيتهم وإيضاح الحقيقة لهم، وكم كنت أتمنى من قنواتنا الفضائية، أن تُظهِر الصورة الحقيقية لبلادنا، والصورة الحقيقية لخصومنا وذلك بالحجة والبرهان، ليحق الحق ويبطل الباطل، ولكن بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، فقضيتنا عادلة، وأدلتنا قاطعة، وقضية خصومنا ظالمة، وأدلتهم (من كتبهم لا من كتب خصومهم) دليلٌ عليهم.

(١) سورة الضحى: ١١.

(٢) سورة الضحى: ١١.

ردود الأفعال وفقدان الاتزان

هنـاك أنـاس كانوا من الغـلاة، فلما رأوا سـوء عاقبة الغلـو، ومخالفته للفطرة السليمة، وأذيته للنفس وللبلاد والعباد، صار لديهم ردود أفعال غير متزنة، فانتقلوا مـن الغلو إلى الانحـلال، ولو كانوا من أهـل الاتزان، لكانوا من أهل الاسـتقامة والوسطية، فلا غلو ولا جفاء.

وهنـاك أنـاس يكفرون مرتكـب الكبـيرة (وهم الخـوارج)، فقابلهـم (أهل الإرجـاء) فقالوا لا يضر مـع الإيمان ذنب، وصـاروا يهونون الذنـوب، ويرققون الديـن، ولو كانوا من أهل الاتزان لتركوا هذين المسـلكين، ولزموا المنهج النبوي، ولكن ردود الأفعال غير المتزنة تُحدِث مثل هذا الشطط.

وهنـاك من يُكفِّر مـن كفَّره، من باب ردود الأفعال، ولـو كان من أهل العقل والاتزان والعلم، لما ردّ الخطأ بمثله، ويعجبني في ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية لخصومه الذين ظلموه وكفَّروه: (وأنا في سـعة صَدْرٍ لمـن يخالفني، فإنه وإن تعدَّى حدود الله فيّ بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيـه، بل أضبط ما أقوله وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكماً فيما اختلفوا فيه).

وحتى في أمور الدنيا، هناك ردود أفعال معاكسـة، تفتقر للاتزان والموضوعية، من ذلك على سـبيل المثـال أن هناك من يُؤيد الفهم والتحليـل والنقد في التعليم - وأنـا ممن يؤيد ذلك - ولكني رأيت بعض الناس، لم يكتف بذلك، وإنما صار ينتقد الحفـظ وما يتعلق به، وكأنه لا يمكن الجمع بـين الأمرين، وهذا من ردود الأفعال

غير المتزنة، وإلا فالحفظ مهم جداً، وكون الإنسان لا يستطيعه لا يعني أن يهجوه، وفي صحيح البخاري (فأعلمنا أحفظنا)[1]، وكان جهابذة العلماء يسمون بالحفاظ، ولا تلازم بين الحفظ وعدم الفهم، بل يحفظ ويفهم ويحلل ويستنتج.

وهكذا الإشادة بالشباب وقدراتهم مطلب مهم، ولكن هذا لا يعني تنقص قدرات الكبار، وأذكر أني قرأت مقالات لبعض المتحمسين في هذا الشأن، وكان من رأيه عدم تولية من بلغ الأربعين في الشورى والمجالس البلدية ونحوهما، وفي نظري أن من أسباب هذه الرؤى: عدم الاتزان، وردود الأفعال السريعة، التي تجعل صاحبها لا يستطيع الجمع بين الحسنيين، ولهذا يُنقَل أن رجلا مات ابنه فضحك، وقال: لا أبكي من قضاء الله وقدره، فقيل له: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ منك، وهو القدوة، بكى رحمة بالميت وحزنا عليه، ورضي بقضاء الله وقدره، وقال: ولا نقول إلا ما يرضي الرب، فجمع بين الأمرين: الرضاء بالقضاء، والحزن على الميت ورحمته، وأنت لم تستطع، فصرت تضحك.

والذي ينبغي هو الجمع بين قوة الشباب وحكمة الشيوخ، فالحكمة غالبا عند المجربين من كبار السن الذين هم أهل العلم والعقل وشيوخ الوقار، ومعادن الاختبار، ورأي الشيخ فيه خيرٌ وبركة، فالشيوخ جربوا الأمور، وعركتهم الحياة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى فيهم البركة، فيقول كما في الحديث الذي صححه الألباني: (البركة مع أكابركم)[2]، وهذه شهادة من النبي عليه الصلاة والسلام للكبار، ويعجبني قول الأمير خالد الفيصل وفقه الله:

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم (٧٣٧٠).

(٢) صحيح ابن حبان، حديث رقم (٥٥٩).

ليت عقل العَوْد في سن الشباب وحكمة الستين في عشرينها

وأنا هنا لا أقلل من مكانة الشـاب النابـه، ذي القدرات والمواهب، الذي جمع الله لـه بين قوة الشـباب، وحكمة الشـيوخ، فصار يسـتفيد من الكبـار أهل العقل والحكمة، فذاك فضل من الله يخص به من يشـاء من عباده، وقد ولىَّ النبي صلى الله عليه وسـلم عتاباً رضي الله عنه على مكة وهو شـاب، وولى أسامة بن زيد رضي الله عنه قيادة الجيش إلى الشـام، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكنني أؤكد كما تقـدم على أهمية دمج قوة الشـباب، بحكمة الشـيوخ، ولا يكون مدح أحدهما على حساب تنقص الآخر، بل في كلٍ خير، وجمعهما جمع بين حسنتين.

أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[(١)].

يخبر تعالى عن حالة الظالمين، ممن في قلبه مرض وضعف إيمان، أو نفاق وريب وضعف علم، أنهم يقولون بألسنتهم ما لا يلتزمون به، وهذا ما نراه في كثير من الأحزاب والفِرق والجماعات والتنظيمات المنتسبة للإسلام، يقولون بألسنتهم ما لا يلتزمون به، لأنهم أهل أهواء، يُنادون بـ(الحاكمية)، بل ويُبالغون في ذلك حتى جعلوها نوعا مستقلا من أنواع التوحيد، مع أنها داخلة في أنواع التوحيد الثلاثة المعروفة، فهي داخلة في الربوبية من جهة أن الحكم لله، والله تعالى هو الذي يحكم، وداخلة في توحيد الألوهية لأن التنفيذ والتطبيق هو عبادة لله، عز وجل، وهذا هو توحيد الألوهية، وسبب تلك المبالغة، رغبتهم في اتخاذ (الحاكمية) ذريعة للتجييش واستعطاف الجماهير المسلمة بهدف انتزاع السلطة، وإلا فهم أول من يُخالف حكم الله، ولهذا إذا دُعوا إلى حكم الله، ليحكم فيهم أو فيمن يتعاطفون معه، إذا دُعوا لذلك في المحاكم الشرعية -والتي قضاتها أهل علم متخرجون في كليات الشريعة- نكصوا على أعقابهم، معارضين ومعرضين ومشككين، بينما لو علموا أن الحق لهم لأتوا إليه مذعنين ومسرعين، لا لأنه حكم الله، ولكن لأنه يوافق أهواءهم، ومن رأى القنوات الفضائية التابعة لأنظمة دول معادية، وجماعات حزبية، يرى

(١) سورة النور ٤٨: ٥٠.

ذلـك التناقض عيانا بيانا، كما يرى فجورهـم في الخصومة، وتدخلهم فيما ليس من شؤونهم.

فتـارة يتحدثـون بتهويـل ومبالغـة عن وجـود منكـرات في المملكـة العربية السـعودية، وهدفهم من ذلك الإثارة والتهييج والتشويه، وإلا فالمنكرات هم أحق بهـا وأهلها، وفي دولهم مـن الكبائر والبوائق ما هو ظاهر، ومـع ذلك لا يتحدثون عنها.

كما يُنصِّبون أنفســهم مدافعين عن مواطنين سعوديين قُدِّموا للقضاء الشرعي، ليحكـم فيهـم، والواقع أنهم ليســوا مدافعين، بل هم مسـيئون، لأنهـم يهرفون بما لا يعرفـون، ويتقدمون على القضـاء الشرعي، الذي سـينظر في التهم والدعاوى، فيحكم بما يقتضيه النظر الشرعي، من البراءة أو الإدانة في كل ما قيل من التهم، أو بعضها، فلا سـلطان على القضاء في المملكة العربية السعودية إلا سلطان الشريعة، وقد نصت المادة رقم ٤٦ من النظام الأسـاسي للحكم على ما يلي: (القضاء سـلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية.

وما دام أنه لا سـلطان على القضاة إلا سـلطان الشريعة، فهذا يسر كل مسـلم وكل محـب للعدل، ولا يغضب من ذلك إلا من كره حكم الشريعة من أهل النفاق والشـقاق، وقد قـال تعـالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

أقول قولي هذا: وأنا أحفظ لسـاني من الحكـم على أي موقوف بإدانة أو براءة، لأن ذلك إلى القضاء الشرعي، الـذي يدرس الدعاوى والبينات المقدمة ويعرضها

(١) سورة النساء: ٦٥.

على كتاب الله وسـنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، ثم يُصدِر حكمه الشرعي، وإذا صدر الحكم الشرعي فهو الذي يُعتَمد، ونقول بموجبه، فنرجو أن يكف المناوئون لقضائنـا الشرعي ألسـنتهم، وليُصلحوا أنفسـهم وبلدانهم، وليعلموا أن الشـعب السـعودي مـع قادته، وهو أسـمى مـن أن تؤثر فيه دعايـات وبرامـج الحاقدين، وليعلموا أن الدولة السـعودية أحرص على مواطنيها من كل أحد، فلا مجال لمزايدة المناوئين وإرجافهم وكذبهم، فذلك زبدٌ سيذهب جفاءً.

الحاكم الذي فدى شعبه بنفسه

عندما أقول إن بلادنا وولاتنا خصَّهم الله بميزات يحسدنا عليها كثيرٌ من الناس، فإني أتكلم بحمد الله بعلم وعدل، وأذكر أدلة نقلية وعقلية، وحوادثَ تاريخية واقعية، فأرجو ألا يعتب عليّ بعض الناس، ويظنون أني أُبالغ، كلا، لم أُبالغ، ولم أكتب شيئا إلا وأملك الدليل على إثباته، ولو سَلِمَت بلادنا وقادتنا من عدوان الألسنة المأجورة الكاذبة، لكان لي مندوحة في كتابة موضوعات أخرى، أمَّا وأهل الإفك يفترون الكذب على بلادنا وقادتنا، فلابد حينئذٍ من رد عدوانهم، فدفع الصائل واجب.

ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، بدليل أن النبي عليه الصلاة والسلام لما سمع كلاما ظالماً، طلب من الصحابة فورا أن يردوا على صاحب الكلام الباطل، وقال لهم كما في صحيح البخاري: «أجيبوه»، وكلما عاود القول الباطل، قال لهم النبي عليه الصلاة والسلام «أجيبوه»، إن ما أذكره عن بلادنا وقادتنا من فضائل هو - عندي- حق لا ريب فيه ولا مبالغة،

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾[١]، أليس ولاتنا هم الذين نصروا التوحيد، وخدموا الحرمين، وطبعوا المصحف ونشروه في العالمَ مجانا، وأعانوا على نوائب الحق... وفضائلهم كثيرة يصعب حصرها؟ فلمصلحة مَنْ؟ يُقَابَلُون بالإساءة والجحود والنكران؟! وكيف يُسْتَكثَر علينا بيان فضائل بلادنا وقادتنا، في مواجهة الزحف الظالم من أهل الباطل؟ لسنا - بحمد الله- ممن

(١) سورة النساء: ٦٥.

يتولى يـوم الزحف، بل ندمغ الباطـل، بنور الحق، فقضيتنا عادلـة، ونملك الحجة والدليل.

وإن شـئتَ مثالا من التاريخ على فضائل ولاتنا، وحبهم لشـعبهم، فهاك هذا المثـال الـذي ذَكَرَتْه كتب التاريخ عن الإمام عبدالله بن سـعود آخـر حكام الدولة السعودية الأولى رحمه الله، والذي فدى شعبه بنفسه، وبيان ذلك: أن الدولة التركية آنذاك تسلطت على بلادنا السعودية ظلماً وعدواناً، وحاصروا الدرعية مدةً طويلة، فدافع الإمام والأهالي بشـجاعة، وكانت المؤن والأسلحة تأتي تباعا لجيش الأتراك من الدولة التركية، بينما نفد سلاح وطعام أهل الدرعية، فخرج إليهم الإمام عبدالله بـن سـعود، وعقد معهم صلحا على أن يُسـلِّم نفسـه لهم، بشرط سـلامة الدرعية وأهلها، فلا يُؤذى أحدٌ منهم، وأن يخرج المحاربون منها، وهذا – كما ترى– موقف مـشرف من الإمـام عبدالله بن سـعود، ليس مسـتغرباً من «آل سـعود»، بينما نرى حكاما يقتلون شعوبهم بالقنابل والمتفجرات، فما أعظم الفرق!!

لقـد ذهب الأتراك المعتدون بالإمام عبدالله بن سـعود إلى مـصر ثم إلى تركيا، وعرضـوا عليه هنـاك ترك التوحيـد، واعتقـاد مذهبهم الصوفي الخـرافي فرفض، وانشـغل بالذكر وقراءة القرآن، فأعدموه ظلما وعدوانـا رحمه الله، ورفع درجته في عليين، فأضحى شـهيدا في سبيل الله، ومع هذا الأرشيف الأسود للدولة العثمانية، فإن «بعض» من يسـمون أنفسـهم دعاةً وناشـطين، يُعظِّمونهـا، فالحركيون يرونها خلافـة على منهاج النبـوة، والليبراليون يرونها علمانية تحقق أهواءهم وشـهواتهم، ومعلومٌ للراصد والمتابع أن الإخوانيين والليبراليين وجهان لعملة واحدة، فغايتهم واحـدة، وإن اختلفت وسـائلهم وشـعاراتهم، ولهذا يُرسِّـخ «بعضهـم» في أذهان

الشــباب الذين تحــت إشرافهم، حب الدولــة العثمانية، ويُنفِّرون مــن بيان فضائل الدولة الســعودية، ويســخرون ممن يثني عليها بعلم وعدل، ويســمونه «مُطبِّلا أو مُبالِغا»، بينما الذي يمدح دولة الأتراك بجهل وظلم يُعَد عندهم «محتسباً أو مُنفتِحا، وهكـذا كل من آثر الحزبيات والأهواء فإنــه يقول غير الحق، ويكون متناقضا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

العلم نقطة كثّرها الجاهلون

مـا كان ينبغي لأي كاتب أو متحدث في بلادنا أن يتحدث فيما لا يحسـن، ولا أن يسـتعدي الغرب عـلى بلادنا، مدّعياً أنهـم يحترمون عاداتنا وديننـا، وأن بلادنا تحـارب عاداتهـم، فهذا الادعـاء غير صحيح، ومعلـومٌ أن كل من جـاء إلى بلادنا يُحْتَرَم، ولا يتدخل أحد في خصوصياته وعاداته، لا في نوع أكله ولا لبسه ولا اللغة التـي يتحدث بها، ولا الرياضة التي يُزاولها..الخ، وهـم ينعمون في بلادنا بالأمن وحفـظ الحقوق، وحسـن المعاملة التـي قد لا يجدونها في بلادهـم، مما دعا الآلاف منهم لاعتناق دين الإسـلام، ولغـة الأرقام في مكاتب دعـوة الجاليات في المملكة شاهدة بذلك، ومن بقي على دينه فإنه لا يُتَعرَض له، فلا إكراه في الدين، وقد جعل الإسـلامُ الاعتداءَ على الكافر المعاهـد الذي يعيش في بلادنا، سـببا لدخول النار، والحرمـان مـن الجنة، فقال النبـي عليه الصلاة والسـلام (من قتل معاهـدا لم يَرَح رائحة الجنة)[1]، فلمصلحة مَنْ تُقلَب الحقائق، ويُقال إن بلادنا تُحارِب عاداتهم؟

إن كثـيراً مـن أفـراد مجتمعنـا يُسـافر إلى بلادهـم، فيلبس لبسـهم، ويتحدث بلغتهـم، وهـم إذا أتونا لا يفعلون ذلك، بل يلتزمون بلباسـهم، ويعتزون بلغتهم، فـلا يتحدثون إلا بها، وما تدخل أحدٌ بعاداتهـم، فضلا عن محاربتها، ولكن الجهل والانبهار بالآخر، يُعْمي ويُصِم، ويجعل بعض الناس يتحدث فيما لا يفقه مآلاته.

ومن ذلك أيضا قولهم: بحرية ممارسة الكفار عباداتهم الشركية في بلاد الإسلام، وبناء الكنائس، بحجة أنهم يسمحون بعبادة الله في بلادهم، وكأنه لا بد من المماثلة،

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٣١٦٦).

واتبـاع سَـنَنِهم القذَّة حـذْو القذَّة، فهذا قـول خاطئ، وقياسٌ مـع الفارق، فنحن نعامل الكفار بمقتضى شريعة الله، لا بأهواء أنفسـنا، فسماحهم للكافر بالدخول في دين الإسـلام، لا يُسـوِّغ - في حكم الإسلام -السماح للمسـلم بالخروج من دينه، وسـماحهم للمسـلم أن يتزوج من نساء بلدهم، لا يُسوِّغ السـماح لهم بالزواج من مسـلمة؟! وسـماحهم في بلادهم للفحشاء والمنكر، لا يسـوغ تمكينهم من ذلك في بلاد الإسـلام، ليست المسألة مماثلة، بل لنا ديننا ولهم دينهم، ولنا مرجعيتنا ونظامنا في بلادنا، ولهم مرجعيتهم ونظامهم في بلادهم.

والمسـلم يؤدي الصلاة في أرض الله في أي دولـة بغض النظر عن ديانتها، ولو مُنع من الصلاة في المسجد، فإنه يصليها في بيته، فلا تسقط الصلاة عن المكلف، ثم إن الأرض لله، وقد أذن الله أن يُعبَد فيها وحده لا شريك له، ونهى أن يُشرَك به، فلا تقاس المسـاجد التي يُذكَر فيها اسـم الله وحده لا شريك له، بالكنائس التي يُشرك بها مع الله، ويُكفَر بها، ولا يُسوِّي بينهما مَن عرف التوحيد وما يناقضه.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: (إن قال قائل: إذا كانوا لا يمنعوننا من إحداث المسـاجد في بلادهم، فهل لنا أن نمنعهم من إحداث الكنائس في بلادنا؟ الجواب: نعـم، وليس هذا مـن باب المكافأة أو المماثلـة، لأن الكنائـس دور الكفر والشرك، والمسـاجد دور الإيمان والإخلاص، فنحن إذا بنينا المسـجد في أرض الله فقد بنيناه بحق، فالأرض لله، والمسـاجد لله، والعبادة التي تقام فيها كلها إخلاص لله، واتباع لرسـوله صلىّ الله عليه وسلّم، بخلاف الكنائس والبِيَع، ومن سفه بعض الناس أنه يقـول: لماذا لا نمكنهم من بناء الكنائس في بلادنا كما يمكنوننا من بناء المسـاجد في بلادهم؟ الجواب: نقول: هذا من السفه، ليست المسألة من باب المكافأة، إذ ليست

مسائل دنيوية، فهي مسائل دينية، فالكنائس بيوت الكفر والشرك، والمساجد بيوت الإيمان والإخلاص فبينهما فرق، والأرض لله، فنحن إذا بنينا مسجداً في أي مكان من الأرض فقد بنينا بيوت الله في أرض الله بخلافهم).اهـ.

هذا هو دين الله، ولكن تكلم في العلم - كما قال الشافعي - من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه، لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة له إن شاء الله، ولا آفة على العلوم وأهلها - كما يقول ابن حزم- أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويحسبون أنهم يصلحون.

دعاة على أبواب جهنم

أخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– بأن الكفار مستمرون في بذل الجهود في صرف المسلم عن عقيدته الصحيحة، كما قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[1]، فهدفهم ترك المسلم دين الإسلام، والتنكر له، ومحاربته، ثم لا يهمهم بعد ذلك أن يكون يهوديا أو نصرانيا أو ملحداً، لعلمهم أن العقيدة الصحيحة أمان من جميع الإنحرافات، ولهذا يحرصون على صرفهم عن عقيدة الإسلام، التي تجعل أصحابها هم الأعلون كما قال تعالى ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[2]، وهذا مالا يريدونه، وقد قال تعالى ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3]، وإنما يودون أن نكفر بالله كما كفروا فنكون وإياهم سواء، كما قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[4]، ولهم في تحقيق ذلك مسالك منها:

١– إظهار أن تخلف المسلمين في الصناعات والتقنية ونحوهما ناشئ عن دينهم، وبالتالي لكي ينهض المسلمون لا بد من دين معتدل هم يضعون مواصفاته، كما نشروا ذلك في بعض منظماتهم، ومن تلك العلامات التي ذكروا أنها علامات للمسلم المعتدل في نظرهم ما يلي:

أ– أنه يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

(١) سورة البقرة: ٢١٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٣) سورة البقرة: ١٠٥.

(٤) سورة البقرة: ١٠٥.

ب- أنه يؤمن بحرية المرأة في اختيار «الرفيق»، وليس الزوج.

ج- أنه يدعم التيارات الليبرالية.

ومعلوم أنه لا يهمهم نهضة المسلمين، وإنما هي وسائل شيطانية لتحقيق أهدافهم.

٢- ومن وسائلهم كذلك: استخدام وسائل التواصل للدعوة إلى التمرد على الوالدين والأسرة والمجتمع والدولة، وإشعارهم أنهم مظلومون، وأن حريتهم مقيدة، وبالتالي يقولون لضحاياهم من الشباب والشابات، كما قال الكفار من قبل لكعب بن مالك (الحَقْ بنا نواسك)، أي أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- ومجتمع الصحابة ظلموك، ونحن أرحم بك منهم، فالحَق بنا نواسك، ومعلوم أن كعب بن مالك طردهم شر طردة، وأحرق كتابهم، لكن المقصود: أن الكفار في زماننا يستخدمون نفس الأسلوب، وليس قصدهم حقوق الإنسان، وإلا فكثير من الناس في بلادهم يعيشون في الشوارع في حالة بئيسة، لم يلتفتوا إليهم.

ومن اختار منهم الإسلام يتعرض للتضييق، وعدم الحماية، فأين منظماتهم التي تدعي مراعاة حقوق الإنسان؟ لا ريب أن شعار حماية الحريات كذب وافتراء، والحقيقة إنما هي عداوة للإسلام، ورغبة في تركه، وقد صدق الله في وصف هدفهم الحقيقي، كما في قوله تعالى ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾[1]، وإلا فهم أعداء الحقوق، يسعون لتفكيك الأسر المسلمة، ويمردون الصغار على والديهم، فيصيبون أسرهم ووالديهم بالعذاب والقلق، ويهيجونهم على ولاتهم ودولهم، وإذا سلخوهم من دينهم وهويتهم وكرامتهم، رموهم في الملاجئ والشوارع.

٣- استخدام منظمات الكفار الغربية بعض المسلمين ممن قلّ عقله، وكثر سفهه،

(١) سورة البقرة: ١٠٥.

وجهل حقيقة دينه، في الكتابة في وسائل التواصل أو الصحف أو غيرها، للتهوين من تطبيق الشريعة الإسلامية، وأن الأحكام الشرعية ليست صالحة لكل زمان ومكان، فيقدمون عقولهم وأهواءهم على أحكام الله ورسوله، كقول بعضهم بعدم مناسبة قوله تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[1]، لزماننا، وأن الذي ينبغي الآن المساواة في الميراث مراعاة للمتغيرات الاجتماعية، وما علموا أن المرأة أحيانا يكون نصيبها أكثر من نصيب الذكر، فهذه قسمة قسمها الله من فوق سبع سموات، وهو الذي خلق خلقه، والعليم بما يُصلحهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[2]، وتقديم بعض الناس أهواءهم وعقولهم على حكم الله ورسوله سفه في العقل، وجهل في الشرع.

إن التهوين من أحكام الشريعة، ومن دستور بلادنا، وهويتنا العربية والإسلامية، هي من أعظم الأسس التي تقوم عليها الفتن، ويخْدم به العدو، ويحصل بسببها التمرد الأسري، والمجتمعي، وبالتالي زجّهم إلى دول كافرة توظفهم لأغراض سياسية، وأنا هنا لا أقصد شخصا معينا أو أشخاصا، وإنما أعالج موضوعا أراه في غاية الأهمية والخطورة، وأراه أحد مهددات الأمن الوطني. فعلى المسلم أن يتق الله ولا يكون ظهيرا للمجرمين، ولا أداة لأعداء الملة والدين، وعلى حملة الأقلام ومسؤولي القنوات والصحف أن يتقوا الله، وكما أنهم -مشكورين- لا يسمحون في نشر فكر الغلو والخوارج، فعليهم أيضا ألا يسمحوا في نشر فكر الانحلال والاعتراض على الشريعة، ففي كلٍّ شر، فدعاة الغلو والانحلال كلاهما دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٥.

(٢) سورة الملك: ١٤.

لا مساومة على العقيدة

من مسلمات عقيدة أهل السنة والجماعة أن الدين عند الله الإسلام، فلا يقبل الله غيره من الأديان كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1]، وأن كل من سمع بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من يهـودي أو نـصراني أو غيرهما ثم لم يُؤمن به فهو من أهل النار كما في قول النبي عليه الصلاة والسـلام في الحديث الذي رواه مسـلم :(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَـدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يهُودِيٌّ وَلاَ نَصرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِـلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِـنْ أَصْحَابِ النَّار)، وأن الله خلق الخلـق لغاية واحد وهي عبادته وحده لا شريـك له، كما قـال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، وأن عبادة الله إنما تكون وفق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن عمل عملا ليس عليه رسـول الله فهو مـردود على صاحبه كما في الحديث المتفـق على صحته: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)، وأن الله أنزل كتابه، وأرسـل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، كما في قوله عليه الصلاة والسـلام في الحديث الـذي رواه البخاري : (كل أمتي يدخل الجنـة إلا مـن أبى! قيل: ومن يأبى يا رسـول الله؟! قال: مـن أطاعني دخل الجنة، ومـن عصـاني فقد أبى)، ولا يسـتوى من يُلقى في النار بمن يدخـل الجنة آمنا، كما قـال تعـالى ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة الذاريات: ٦٥.

﴿ تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١]، وعندما جعل الله لعباده مشيئة، وأقام عليهم الحجة، وبين لهم طريقه المستقيم وأمرهم باتباعه، وبين لهم سبل الضلال والكفر ونهاهم عنها، قال لهم ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن ﴾ أي فله الجنة لأنه أطاع الله، ﴿ وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ أي فله النار لأنه عصى الله، وقوله ﴿ وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ ليس إذناً شرعياً له في الكفر، وإنما ذلك بيان لسوء عاقبة من اختار الكفر على الإيمان .

ومن مسلمات العقيدة كذلك : الاختلاف الكوني، وأن الكفر باق، والايمان باق، ولله الحكمة في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[٢]، ومع أنه أمر بالدعوة إلى التوحيد الخالص، فقد بين أن الهداية بيده وحده، كما قال ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[٣] وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[٤]فلو شاء الله لهدى الناس جميعا كما قال تعالى﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[٦]، وإنما

---

(١) سورة فصلت: ٤٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٣) سورة فاطر: ٨.

(٤) سورة القصص: ٦٥.

(٥) سورة يونس: ٩٩.

(٦) سورة الأنعام: ٣٥.

على الداعي إلى الله البلاغ فقط كما قال تعالى: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[١].

وكفر الكفار لا يعني الاعتداء عليهم، ولا ظلمهم، كما قال ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٢] ولا يعني عدم التعامل معهم، فقد تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع الكفار بالتي هي أحسن، ومات ودرعه مرهون عند يهودي بشعير اشتراه لأهله، ولا يعني كذلك عدم البر والقسط لمن لم يعتد على المسلمين كما قال ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٣]، ولكن أيضا لا يعني ما توهمه (بعض) الكتّاب ممن يجهل العقيدة الصحيحة من دعوتهم لإزالة الفواصل الدينية، باعتبار ما يتوهمونه من أن الجميع على حق، يُؤمنون بإله واحد .

كيف يكون اليهود الذين يقولون (يد الله مغلولة) على حق ؟ وكيف يكون النصارى الذين يقولون (المسيح ابن الله) على حق ؟ كيف يكون من سمع بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به على حق ؟

كيف تُنفى الفواصل الدينية، والله تعالى يقول ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾[٤] ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟

---

(١) سورة الشورى: ٤٨ .

(٢) سورة المائدة: ٨.

(٣) سورة الممتحنة: ٨.

(٤) سورة البقرة: ١٣٧ .

ﭐلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، ومعنى هذا أنهم إن لم يتوبوا من الكفر والشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فليسوا إخوانا لنا في الدين، فكيف يقال لا فواصل دينية بيننا ؟

إنني أتمنى من الكُتَّاب الذين يجهلون العقيدة الصحيحة أن يتقوا الله ويحفظوا ألسنتهم من القول على الله بلا علم، لو أن أحدا سب أحد والديهم لأقاموا الدنيا، بينما من يسب الله (كاليهود) مدعين أن يد الله مغلولة ، وأن له ولدا (كما يقول النصارى)، يطالبون بنفي الفواصل العقدية معه، فيا سبحان الله !!

إن ربنا عدو للكافرين كما قال تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2]، ونحن أيضا أعداء في الدين لمن يعادي ربنا، ويصفه بالنقائص، ولكننا لا ن عتدي على من لم يعتد على ديننا وبلادنا عملا بقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[3]

(١) سورة التوبة: ١١.

(٢) سورة البقرة: ٩٨.

(٣) سورة البقرة: ١٩٠.

المحتويات